الطريق إلى
بناء الانسان المسلم
حوار مع دكتور: رشدي فكار

الأمة
Al Ummah

اسلامية . شهرية . جامعة

العدد الخمسون ـ السنة الخامسة ـ صفر ١٤٠٥هـ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٤م

شبابنا في وجه الاعصار الغربي!

■ مسجد النيلين - أم درمان - السودان ■

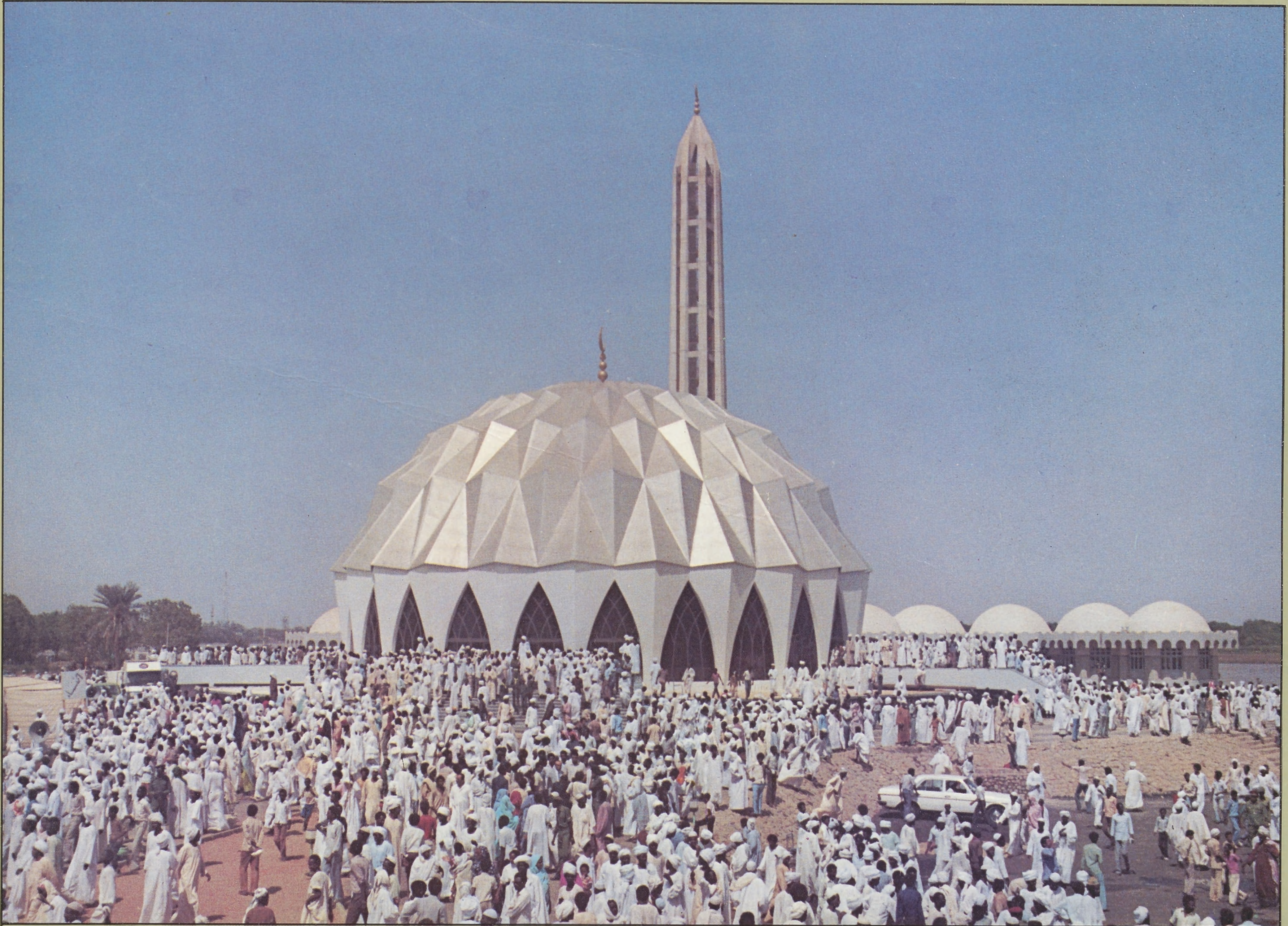

تصوير : كمال جعفر

126659578

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمة
Al Ummah
اسلامية شهرية جامعة

تصدر في غرة كل شهر عربي عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر

An Islamic Monthly published by the Presidency of Sharia Courts & Islamic Affairs, State of Qatar, at the beginning of every Hijri Month.

من الحمد

صناعة المفكر المستغرب

■■ يقول جان بول سارتر في مقدمة صدر بها كتاب فرانس فانون « معذبو الأرض » مشيراً إلى أسلوب صناعة المفكر الشرقي في الغرب، ومجال استخدامه: « كنا نحضر رؤساء القبائل وأولاد الأشراف والأثرياء والسادة من أفريقيا وآسيا، ونطوف بهم بضعة أيام في أمستردام ولندن والنرويج وبلجيكا وباريس، فتتغير ملابسهم، ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الاجتماعية الجديدة، ويتعلمون منا طريقة جديدة في الرواح والغدو، ويتعلمون لغاتنا وأساليب رقصنا، وركوب عرباتنا، وكنا ندبر لبعضهم أحياناً زيجات أوروبية، ثم نلقنهم أسلوب الحياة الغربية ... كنا نضع في أعماق قلوبهم الرغبة في أوروبا، ثم نرسلهم إلى بلادهم وأي بلاد !؟ بلاد كانت أبوابها مغلقة دائماً في وجوهنا، ولم نكن نجد منفذاً إليها، كنا بالنسبة إليها رجساً ونجساً، ولكن منذ أن أرسلنا المفكرين الذين صنعناهم إلى بلادهم. كنا نصيح من أمستردام أو برلين أو باريس « الإخاء البشري » فيرتد رجع أصواتنا من أقاصي أفريقيا أو الشرق الأوسط أو شمالي أفريقيا ... كنا نقول: ليحل المذهب الإنساني أو دين الإنسانية محل الأديان المختلفة، وكانوا يرددون أصواتنا هذه من أفواههم، وحين نصمت يصمتون، إلّا أننا كنا واثقين من أن هؤلاء المفكرين (!!) لا يملكون كلمة واحدة يقولونها غير ما وضعنا في أفواههم » إلى هنا ينتهي كلام سارتر.

يبقى علينا أن نعرف كم تطورت وسائل الاتصال وأجهزة الإعلام ومراكز المعلومات وصناعة الاهتمامات في السنوات التي أعقبت هذا الكلام، حيث لم تعد الحاجة قائمة الآن لأخذ الإنسان إلى لندن وباريس وأمستردام، ذلك أن وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة تقتحم على الناس بيوتهم، تساهم في تشكيل العقول وصياغة العادات وتنظيم العلاقات الاجتماعية وتربية الأذواق، إنها تختطف الأولاد من آبائهم والأزواج من أزواجهم، تغرقنا بسيل إعلامي وتفرض علينا الاستمرار في مقاعد التلقي، فكيف بنا في مرحلة الأقمار الصناعية الإعلامية القادمة التي سوف تدع الناس أسرى ما يلقى إليهم من خلال صور التحكم الكامل في عقولهم وعواطفهم، فماذا أعددنا في مجال حماية شخصيتنا الحضارية وأداء رسالتنا الإنسانية ؟ وهل تستمر القراءة في واقع العالم الإسلامي التي بدأها الأستاذ عبد القادر عبّار في هذا العدد لندرك مكامن الخطر فنأخذ حذرنا ؟! ■■

المشرف العام
عبدالرحمن بن عبدالله آل محمود
President
Abdulrahman Abdulla Al Mahmoud

رئيس التحرير
يوسف عبدالرحمن المظفر
Chief Editor
Yousuf Abdulrahman Al Muzaffar

مدير التحرير
عمر عبيد حسنه
Editorial Director
Ummar Ubaid Hasna

التحرير والإدارة
Editorial Offices & Administration

هاتف - (بدالة)	٤٤١٥١٠
رئيس التحرير	٤٤٧٠٢٢
مدير التحرير	٤٤١٨٣٠
القسم الفني	٤٤١٨٨٧
هيئة التحرير	٤٤٧٣٠٠
تلكس	٤٩٩٩ الأمة د هـ
برقياً	الأمة الدوحة
ص . ب	٨٩٣ الدوحة - قطر

Tel.: (PABX) 441510	DOHA
Chief Editor	447022
Editorial Director	441830
Editing Staff	441887
Editor Staff	447300
Telex:	4999 Al Ummah DH
Cables:	Al Ummah DOHA

Mailing Address:
P. O. Box 893 DOHA QATAR

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

طبعت بمطابع الدوحة الحديثة - قطر

صورة الغلاف

■■ إن السواد الهائل من الشباب المسلم في العالم يعيش أزمة توجيه فكري واغتراب ثقافي ويعاني من درن الموارد التثقيفية واضطرابها .

الأمة التي يعاني أبناؤها هذه الأزمة وتعصف بها رايات التهويد والتغريب الثقافي والمضاربات السياسية ، لن تستطيع إثبات ذاتيتها في معركة الصراع الحضاري ولن تقوىٰ على الصمود أمام الإعصار المدمر للقوىٰ الثقافية والسياسية المضادة ما لم تعتصم بحصونها الثقافية وتدرك أبعاد ومستلزمات رسالتها الإنسانية ■■

□ الغلاف بريشة : الفنان عصام عزوز □

الإخراج الفني مجدي نجيب

الاشتراك السنوي Annual Subscription

للأفراد

● في قطر ٣٠ ريالاً قطرياً .

● في الدول العربية والآسيوية والافريقية : ٤٠ ريالاً قطرياً او ١١ دولاراً امريكياً او ما يعادلها .

● في الأمريكيتين واوروبا واستراليا ١٢ دولاراً امريكياً او ما يعادلها .

● Asia & Africa, for individuals U.S.$ 11, for Govt. & Private organizations U.S.$ 22.

● America, Europe & Australia for individuals U.S.$ 12, for Govt. & Private organizations U.S.$ 25.

للدوائر الحكومية والشركات والمؤسسات

● في قطر : ٧٥ ريالاً قطرياً

● في الدول العربية والآسيوية والافريقية : ٨٠ ريالاً قطرياً او ٢٢ دولاراً امريكياً

● في الأمريكيتين واوروبا واستراليا : ٢٥ دولاراً امريكياً .

■ ترسل الاشتراكات باسم مجلة الأمة ■

المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة

وكلاء التوزيع

البلد	اسم الوكيل	وعنوانه
قطر	□ دار الثقافة	ص . ب ٣٢٣ الدوحة
الإمارات	□ مكتبة دار الأمان	ص . ب ٤٦٩٥ أبوظبي
«	□ المكتبة الحديثة	ص . ب ١٥٥٤ العين
«	□ مكتبة دبي للتوزيع	ص . ب ١٥٢٦ دبي
البحرين	□ جمعية الإصلاح الاجتماعي	ص . ب ٢٢٢٨٢ المحرق
السعودية	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان	ص . ب ١٤٠٥ الرياض
«	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع	ص . ب ٨٠٧٠ جدة
«	□ « « «	الدمام
عمان	□ المؤسسة العربية للتوزيع والنشر	ص . ب ١٠١١ مطرح سلطنة عمان
الكويت	□ دار القلم : للطباعة والنشر والتوزيع	ص . ب ٢٠١٤٦ الكويت
الأردن	□ وكالة التوزيع الأردنية	ص . ب ٣٧٥٠ عمان
«	□ مكتبة دار الأرقم	ص . ب ٩٢٦٢٨٧ عمان
تونس	□ الشركة التونسية للتوزيع	ص . ب ٤٤٠ تونس 5 ش قرطاج - تونس
الجزائر	□ المؤسسة الوطنية لتوزيع الصحافة	38sis شارع ديدوشي مراد - الجزائر
السودان	□ دار التوزيع	ص . ب ٣٥٨ الخرطوم
لبنان	□ مؤسسة الجزيرة للخدمات والتوزيع بيروت - لبنان	ص . ب ٧٣٨٥ بيروت
مصر	□ شركة توزيع الأخبار	ص . ب ٧ القاهرة
المغرب	□ سبريس	ص . ب ٨ ــ ٧٠ زنقة سجلماسة الدار البيضاء
اليمن	□ مؤسسة سبأ العامة للصحافة والأنباء	ص . ب ٢١٩٥ صنعاء

Distributing Agents

ماليزيا	MUSLIM YOUTH MOVEMENT OF MALAYSIA,	KUALALUMPUR 2207, MALAYSIA
باكستان	PARADISE BOOK STALL	SHAHRAH E-IRAQ KARACHI 3 PAKISTAN
انجلترا	THE MUSLIM INFORMATION SERVICE, 233 SEVEN SISTERS ROAD,	LONDON N4 ENGLAND
	GULF MEDIA CENTRE	43/441 GLARGES STREET LONDON WIY 7PJ U.K.
فرنسا	GROUPMENT ISLAMIQUE EN FRANCE	121, BOULEVARD DE MENLLMONTANT 1, CITE DE L'AVENIR 75011 PARIS FRANCE
المانيا	ISLAMISCHE GEMEINSCHAFT IN	DEUTSCHLAND E.V. MANZER LANDSTR. 176 6000 FRANKFORT A. M. W. GERMANY
	ISLAMISCHES ZENTRUM	BILAL MOSCHEE 51 AACHEN W. GERMANY
هولندا	NVR AL SONNAH IMPORT EN EXPORT	TOLISTRAAT 42 1073 SC AMESTERDAM - HOLLAND
بلجيكا	AL-IMENSPRL	B.D.M. LEMONNIER 196 1000 BRUXELLES, BELGIQUE.

ثمن النسخة

قطر	٣	ريالات	لبنان	٢٠٠	قرش
السعودية	٣	ريالات	مصر	٢٠٠	مليم
الكويت	٢٠٠	فلس	السودان	٢٠٠	مليم
البحرين	٢٠٠	فلس	ليبيا	٢٠٠	درهم
الامارات	٣	دراهم	الجزائر		ديناران
عمان	٢٠٠	بيسة	تونس	٢٠٠	مليم
اليمن الشمالي	٢٠٠	فلس	المغرب		درهمان
اليمن الجنوبي	٢٠٠	فلس	دول آسيا وأفريقيا		نصف دولار امريكي
العراق	٢٠٠	فلس			
الأردن	٢٠٠	فلس			
سوريا	٢٠٠	قرش			

● في الأمريكيتين واوروبا واستراليا دولار امريكي أو ما يعادله .

في هذا العدد

- كلمـة الأمـــــــة ٤
- فتح كاشغــر .... اللواء الركن محمود شيت خطاب ٨
- الأسس القرآنيـة للتقدم
وحـوار حول بعض مقولاته .... الدكتور محمد احمد العزب ١٢
- بطاقـــة من قـــارىء ١٧
- شبابنا في وجه الإعصار الغربي .... عبد القادر عبَّار ١٨
- حديقــة الأمـــــة ٢٢
- (رســائل جامعيـة) :
الأسس التربوية للتغيير الاجتماعي
عنـد مالك بن نبي .... عرض : زكريا فايد ٢٤
- عندما يغتال الجفافُ المسلمين
في أقطـار الســاحل .... عبد القادر سيلا ٢٨
- النشاط التنصيري في مجال التربية .... الدكتور نبيل صبحي ٣٠
- (نــدوات ومؤتمـرات) :
المؤتمر العالمي الأول لتطبيق الشريعة الإسلامية في السـودان ٣٣
- الطريق إلى بنـاء الإنسـان
في حـوار مع الدكتور رشدي فكّار .... أجراه : محمود قظام ٣٨
- تغطية الإعلام الأمريكي للإسلام .... إعداد : خالد سليمان ٤٠
- بعـد السـفر (شعـر) .... خالد البيطار ٤٣
- (قضـايا معاصـرة) :
التبرع بالدم بين الدين والعلم .... الدكتور نبيل سليم علي ٤٤
- تصريحـــات وأقـــوال ٤٨
- قــريب نصرنــا (شعــر) محمد محمد عبد العزيز صادق ٤٩
- الفصحى والمناهج اللغوية الحديثة .... عيسى امين صبري ٥٠
- (الأســرة المسلمـة) :
اهتمام الإسلام بتغذية الطفل .... الدكتور فاروق مساهل ٥٤
أم مسلمـــــة .... الأخت أم عبد الرحمن ٥٧
- رجـاء بن حيوة : عالم غير نظام
الحكم الأموي في دمشق .... صلاح عبد الفتاح الخالدي ٥٨
- معقوليـة الإسـلام .... محمد بدر الدين بن حسن ٦٢
- صفحة من كتـاب (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) ٦٥
- مكتبـــة الأمـــة ٦٦
- (اســـتطلاع) :
الواقــع الإسلامي في ألمانيـا الاتحادية
(علامات على طريق الأجيال الثلاثة) ٦٨
- قصور السياسة التربوية في الوطن الإسلامي محمد الصالح عزيز ٧٨
- بريـد الأمـــة ٨١
- بأقـــلام القـــراء ٨٤
- من قضايا الأدب الإســـلامي :
الأدب مـــرآة حيـاة .... الدكتور صالح آدم بيلو ٨٥
- شـؤون المسلمين في العـــالم ٨٦
- مع الصحافـــة في العــــالم ٩٢
- مسابقـة العـدد الخمسـين ،
وحل مسابقة العدد الثامن والأربعين وأسماء الفائزين ٩٤
- (خـواطـر وافكـار) :
أصول الأفكار وجذورها .... الدكتور عبد العظيم الديب ٩٦

نشاطات التبشير التنصيري في مجـــال التربيـــة

■ إن جذور مأساة لبنان هي في التخريب التربوي الذي قام به ولا يزال المنصِّرون الغربيون بجميع طوائفهم وفرقهم من فرنسيين وأمريكان وإيطاليين وانكليز ، وليس هناك دولة غربية كبيرة لم يكن لها مؤسسات تعليمية ثقافية في لبنان ، ولم تقم المسألة الشرقية أصلاً إلاّ على اساس التدخل المباشر في بنية المجتمع في بلاد المسلمين لتفتيتها إلى محاور عرقية ودينية وطائفية وإثارة موضوع الاقليات ظل مواكباً لتزايد نشاط الإرساليات التنصيرية الذي بلغ أوجه في الحقبة الاستعمارية .. يقول « هوارد بلس ، ثاني رئيس للكلية الانجيلية : ... الواقع أن الفائدة الرئيسة التي تقدمها الكلية للمبشِّر كحقل غني لنشاطاته ، هي في حقيقة أن بدائرته جسماً مختاراً من الشباب قادة المستقبل في بلادهم ينفردون بالاستجابة لفكر جديدة في الأخلاق والدين والمثل » .... (ص : ٣٠) ■

المؤتمـــر العـــالمي الأول لتطبيق الشريعة الإسلامية في الســـودان

■ إن التحول نحو الإسلام كنهج للحياة العامة صار ظاهرة اجتماعية وواقعاً سياسياً يتأكد يوماً بعد يوم في اكثر من بلد إسلامي .. وفي السودان ، تجري حالياً أهم عملية تحوُّل ، في تاريخه الحديث ، نحو تطبيق الشريعة الإسلامية .. وهي وإن قوبلت بردود فعل متباينة إلاّ أنها وجدت في الجماهير السودانية المسلمة خير نصير ومعين واقوى سند وضمانة لاستمراريتها .. وفي « المؤتمر العالمي الأول » الذي عقد مؤخراً بالخرطوم بمناسبة مرور عام على إعلان تطبيق الشريعة ، خرجت الجماهير المسلمـة تجدد تأييدها للتطبيق وتعلن ولاءها لله وتؤكد أن لا مجـال للتـراجع او النكوص وانها لا تـرضى للإسـلام بديـلاً .... (ص : ٣٣) ■

علامات على طريق الأجيال الثلاثة

■ لعل منطق الأشياء كان يقضي بأن تكون الجالية التركية أقرب إلى المانيا بالذات من سائر الجاليات الأخرىٰ ذلك أن المانيا ـ كجزء من العالم الغربي ـ ساهمت بحمل تركيا على أن تكون جزءاً من الغرب بثقافته وحضارته حينما قطعوها عن العالم الإسلامي ، ولكن على الرغم من انسلاخ تركيا الرسمي عن إسلامها لم يتغير موقف العالم الغربي منها ، فلا استطاعت أن تكون قطعة من أوروبا ولا استطاعت أن تحتفظ بموقعها ومكانتها في العالم الإسلامي ، ولا يزال الإنسان التركي في دول أوروبا عامة ، يمثل في نظرهم المسلم الذي يجب أن يتخذ تجاهه موقف من خلال عقدة الحروب الصليبية التاريخية التي ترسبت في وجدان الفرد الأوروبي (ص : ٦٨) ■

كلمة الأمة

هل نُحَل

□□ من الحقائق البادهة أن مشكلة العالم الإسلامي الرئيسة وسقوطه في وهدة التخلف ، وتكريس هذا التخلف إلى درجة أصبح معها وكأنه ضربة لازب لا سبيل معها إلى خروج ، واستمرار العد التنازلي والعجز عن الإبداع الحضاري على مختلف المستويات ، الثقافية والسياسية والاجتماعية والعسكرية ، ليس مردها عدم وجود الكفاءات المبدعة ، وقلة الإمكانات المتوفرة ، وإنما هي في ذلك الصدام الرعيب بين بعض القيادات السياسية والعاملين في الحقل الإسلامي وما يستتبع ذلك من شيوع مناخ الاستبداد السياسي ، وغياب الشورى الحقيقية في الحكم والعدل الاجتماعي في الحياة ، واعتماد الولاءات ومطاردة الكفاءات في أكثر من موقع على خريطة العالم الإسلامي ... وهذا ليس وليد ظرف طارىء ، أو مجيء شخص عابر ، وإنما هو النفق الطويل المظلم الذي أدخلت فيه الحياة الإسلامية حتى كادت تفتقد معه سلامة الحواس ، فكان ما كان من الواقع المأساوي الذي نعيش آثاره ، ونتنفس جراثيمه ، وتستوطن في نفوسنا أمراضه ، ولسوف نظل نراوح في مكاننا ، ونستهلك أنفسنا ، ونبدد طاقاتنا ، ونتوهم أننا قطعنا أشواطاً صوب تحقيق أهدافنا دون أن ندري أننا نعاني من حالة استنقاع تزيد في بؤسنا ، وتساهم بالمزيد من عجزنا ما لم تحل المعضلة الرئيسة ، أو المعادلة الصعبة ، ويصلح الخلل الذي يحكم حياتنا ويتحكم بتصرفاتنا ، ونضع حداً لحرب الاستنزاف هذه بين الثقافة والسياسة ، أو لانفصال السلطان عن القرآن - إن صح التعبير - في عالمنا العربي والإسلامي ...

ولسنا هنا بسبيل استقصاء ودراسة أسباب الظاهرة وتقديم الحلول لها ، فقد لا يكون الحل الذي نراه في متناول يدنا بقدر ما نساهم بتقديم بعض البصائر لمن يمتلكون المقود ، ويقدرون على الحل ، وإنما الذي ينقصهم : العزمة الصادقة والرؤية المبصرة .

ولا شك عندنا أن الذين اختاروا الانتماء للإسلام والالتزام بقيمه حقاً هم الوليد الشرعي والتاريخي لحضارة هذه الأمة وثقافتها ، والامتداد الطبيعي لأصالتها وذاتيتها ، والحارس الأمين لشخصيتها الاستقلالية ورسالتها الإنسانية ، وحمايتها من كل ألوان التبعية السياسية والثقافية ... ولا ينكر ذلك ويتنكر له إلّا معاند أو جاحد .

ولا شك عندنا أيضاً - والأدلة تملأ على الناس حواسهم - أنهم خيرة شباب الأمة ونخبتها المفكرة ، حيث دلت التجارب على أنهم أصدق الناس قولاً ، وأرقاهم خُلُقاً ، وأبصرهم بوسائل الاستعمار ، وأقدرهم على جهاده ومواجهته ، وأكثر الناس وطنية ، فهم وقود معارك الجهاد لنيل الاستقلال ، وعدة الأمة للبناء ، وفي مقدمة الناس نبوغاً وتخصصاً ، قد حفظ الله عليهم طاقاتهم من التبديد ، وأخلاقهم من الانحلال ؛ وهم الخطر الدائب على مصالح الأجنبي الذي لا يكل ولا يمل من تشويه صورتهم والإغراء بمطاردتهم والتهويل من خطورتهم ... من هنا يمكن أن نلمح فداحة الخطب وخطورة الصراع وآثاره المدمرة على الأمة ومستقبلها ، ونحن لا نريد أن نحمل مسؤولية ذلك طرفاً دون آخر ، بل قد يكون الاشتراك في تحمل المسؤولية عن هذا الصدام هو الحقيقة التي لا بد من إدراكها ، ومن ثم مراجعتها ومعالجتها .

ومن الأمور المستيقنة أيضاً : أن القيم الإسلامية هي التي حركت جماهير العالم الإسلامي ، وعبأت طاقاتها لمواجهة الاحتلال وصناعة الاستقلال ، وكانت مانعة لها من الذوبان أيام الغلبة والشدة ، وكانت دافعة لها للانتصار والنهوض من جديد في أيام القوة وتجديد الالتزام ، تشحذ هممها وتوقظ شعورها وتشعرها بالتحدي ، وهذه الحقيقة لا يحتاج إدراكها إلى مزيد عناء ، ولقد أحسن العدو إدراكها ، فكان همه الدائب وخططه الدائمة : محاولة طمسها وإقصاء المسلمين

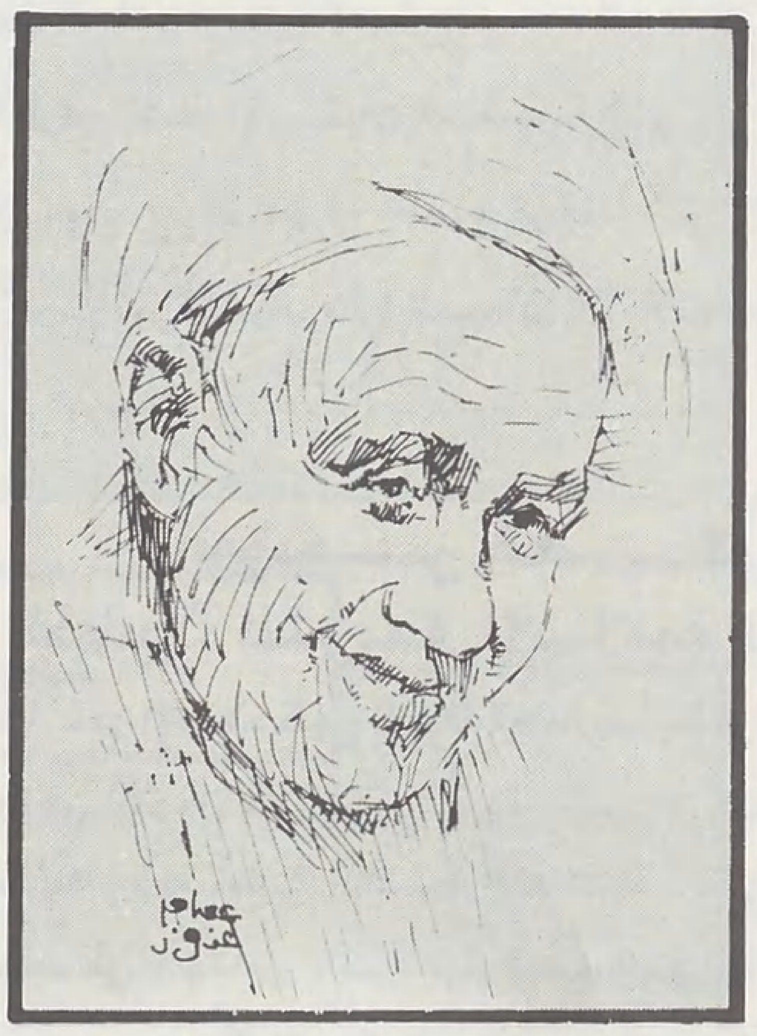

■ الشيخ عبد الكريم الخطابي ■

المعادلة الصعبة؟

عنها ، وتقديم البدائل الفكرية التي لا تمت إلى عقيدة الأمة بصلة ، والتي ما زادتها إلاَّ إنهاكاً وتخلفاً ، وكانت من أهم أسباب الصراع ...

إن معارك التحرير وثورات التحرر ومواجهة المستعمر في مشرق العالم الإسلامي ومغربه حتى في العصر الحديث ، لم تحركها إلاَّ الأهداف الإسلامية ، إن الشعارات الإسلامية هي التي حركت جماهير ثورة الريف في المغرب بقيادة الشيخ عبد الكريم الخطابي وجعلت من علماء القرويين قادة الثورة حيث لم ينفصل العلم عن الجهاد في تاريخنا يوماً من الأيام ، فيكون التحرك الأعمى وتكون الراية العمية ، وكان الاستشهاد في سبيل الله منطلق مسلم التحرير ، وهذا لم يقتصر على منطقة دون أخرى ، وليست ثورة الأمير عبد القادر في الجزائر في مواجهة الاستعمار الاستيطاني ، وفتاوى جمعية العلماء بتحريم التجنس بالفرنسية والحكم على فاعله بالارتداد وأن لا يدفن في مقابر المسلمين عنا ببعيد ، حتى الأهداف التي أعلنتها جبهة التحرير الجزائرية ، وقدم الشعب الجزائري المسلم في سبيل تحقيقها مليون شهيد لم تكن إلاَّ أهدافاً إسلامية ، ولو اتسع المجال للاستشهاد لأتينا على ذكر الكثير من الأقوال والخطب والتصريحات ، إنها الحقائق التي ما تزال حاضرة في وجدان الجيل ولا يحتاج معها إلى دليل ، فهو شاهدها ودليلها ، وإذا عدنا إلى مشرق العالم الإسلامي لنتعرف على حركات التحرير وأهدافها وشعاراتها رأينا الإسلام هو محركها ، وهو هدفها ، وهو شعيرتها ابتداءً من ثورة الشيخ حسن الخراط في سورية ضد الفرنسيين إلى ثورة الشيخ عز الدين القسام في فلسطين إلى ثورة عرابي ومصطفى كامل في مصر ، حتى الجنرال مصطفى كمال أتاتورك - الذي يمكن أن يمثل الخرق الأول ، ويبوء بإثمه ، ويحمل وزر كل خرق على مدى التاريخ الحديث في هذا المجال ، في الصدام بين القيادة السياسية والقيادة الإسلامية - عندما

■ أحمد عرابي ■

■ كمال أتاتورك ■

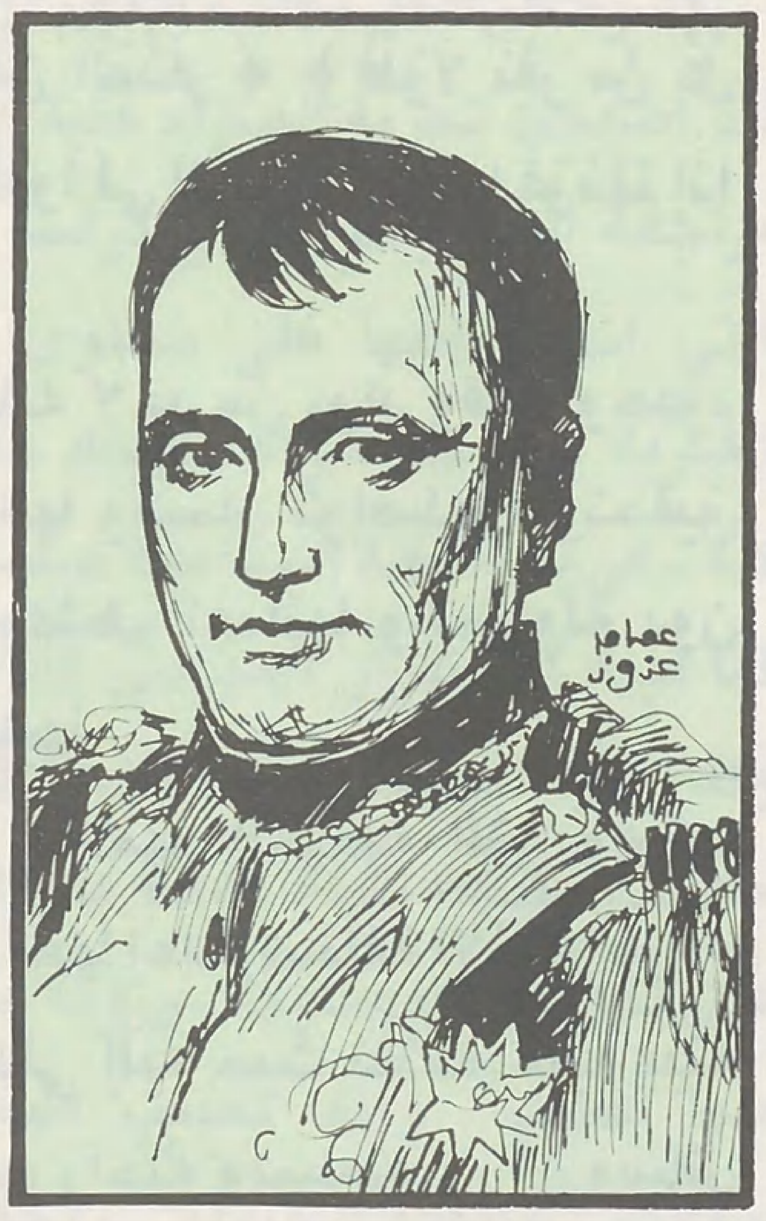

■ نابليون بونابرت ■

أراد تعبئة الأتراك للقتال ضد اليونانيين ، حمل القرآن وطاف بالجنود معلناً أن العدو يريد أن يقضي على دينهم وعلى قرآنهم ، فهبوا للجهاد والاستشهاد في سبيل الله ، ثم كان ما كان ...

وفي حروبنا الحديثة مع يهود ، ما هي الدوافع التي حركت الجنود في حرب رمضان في كل من سورية ومصر ؟ وما هي الشعارات التي سادت جو المعركة وشحذت همم الجنود وحققت النصر ؟

وبماذا خاطب القادة والرؤساء الجنود بين يدي المعركة وأثناءها حيث خوطبوا بأحفاد أبي بكر وعمر وصلاح الدين ؟ إن البدائل الفكرية والشعارات المستوردة انهزمت على أيدي أصحابها قبل غيرهم ، ولم تستطع أن تحقق شيئاً في أوقات الأزمات والشدائد ، وإن الشعوب التي قدمت الملايين من أبنائها للشهادة في سبيل الله تاريخياً ليس من السهولة حملها على التنكر لأهدافها أو تحويل مسارها إلى أهداف باهتة أو بدائل مستوردة تقضي على ثمرة جهادها ، وتجعل جهادها ضد المستعمر وكأنه لا معنى له ، فهل جاهدت ابتداء إلاَّ لهذا ؟ لذلك فأي عدول عنها أو تجاهل لها أو طرح بديل عنها موقع في الصدام والنزاع وبالتالي موصل إلى ذهاب الريح .

﴿ واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ

هل نُحَل

إخْوَاناً ﴾ ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ .

والحقيقة التي لا بد من إيضاحها أيضاً أن هذه الأهداف والتوجهات هي أهداف جماهير المسلمين عامة ، تقف الأمة بمجموعها من ورائها ، وليست أهدافاً محصورة في فئة أو تنظيم أو جماعة أو إقليم أو جيل مهما أُريد لها ذلك ، وأنه من الخطأ العقيدي والتاريخي والثقافي والاستراتيجي اعتقاد ذلك والعمل له ... صحيح أن الأفراد والجماعات والجمعيات يتفاوتون فيما يحققون من كسب للقضية الإسلامية ، ويرجو كل إنسان أو جماعة أن تكون أكثر كسباً ، وإثارة للاقتداء ، وقدرة على إيقاظ الوعي الإسلامي وتجديد ذاكرة المسلمين وشحذ فاعليتهم واستنهاض هممهم للدفاع عن القضية الإسلامية والتضحية في سبيلها ، فيشرفون بدور الريادة والدلالة على الخير ، لكن ذلك لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون وسيلة للحد من شمولية هذه الأهداف وجماهيريتها ، قال تعالى :

﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ... ﴾ .

إنها أهداف الأمة قاطبة لا بد من رواد وقادة وجهود منظمة لتأكيدها وبيانها وضمان تواصلها ، وتحقيق النقل الثقافي لها ، وكشف أعدائها والحيلولة دون اغتيالها والاعتداء عليها .

إن أعداء الإسلام ووسائل إعلامهم العالمية التي وصلت مرحلة من النفاذ والتأثير تحاول معها إعادة صياغة الإنسان وزرع اهتماماته ، وتركه أسيراً لما يُلقى إليه حيث تقتحم عليه بيته وفراشه وطعامه وشرابه وفترات راحته وتسليته ... إن وسائل الإعلام العالمية تحاول باستماتة تهميش القضية الإسلامية والتقليل من شأن الأهداف الإسلامية وقطعها عن محورها العقيدي وخلفيتها التاريخية وصفتها الجماهيرية ، ومحاولة حصرها في إطار فئة أو تنظيم أو جماعة تسعى لتشويه صورتها ، وبذلك تعزلها عن حياة الأمة وأهدافها وتاريخها ، ومن ثم يكون التقليل من شأنها وتصويرها بأن تشكل خطراً على السلطة السياسية لا بد من مواجهته ومن ثم إبادته ، والإغراء بسهولة ضربها والقضاء عليها ، وهذا قد يكون من أخطر أسباب الصدام .

إن الأمة المسلمة لم تتخل عن أهدافها طيلة رحلتها التاريخية الطويلة ، وفترات السكون عن المواجهة الساخنة والمباشرة مع الاستعمار ، أو مع السلاطين الظلمة من الخارجين على عقيدتها ، إنما هو سكون العاجز عن التغيير وهو الرافض للواقع المفروض ، فالإسلام لا يقر الاستعمار ، ولا يقر الاستبداد والظلم ، والأمة لا تجتمع على ضلالة ؛ لذلك كان لا بد من صورة للمواجهة ، فكان التحول إلى العمل التربوي كلون من التحصين للأمة حتى لا ينالها الذوبان ، وحتى تحاصر بذلك الآثار السيئة المتحصلة من انفصال السلطان عن القرآن حتى تتاح فرص التغيير .

من هنا لم يكن المنهج التربوي الذي أخذ المساحة الأكبر من حياة المسلمين حالة سلبية وهروباً من الساحة ، بقدر ما كان لوناً من التحرف للمواجهة في الموقع الفاعل ، إنه الخندق الآخر في المواجهة ، لذلك يمكننا القول : إن الصراع لم يتوقف طيلة الفترات التي تشعر معها الأمة المسلمة بأن السلطان السياسي - سواء أكان مرده الاستعمار ، أو كان مرده الطغيان الجائر - يحاول اغتيال أهدافها أو تحريفها عن مقوماتها ، أو احتواءها ، وإن كانت هذه المواجهة أخذت أشكالاً متعددة ، ولا سبيل إلى إيقاف الصراع إلَّا بالاعتراف الحقيقي لأهداف الأمة والعمل على تحقيقها ، واستلهام شخصيتها الحضارية ومتابعة مسارها التاريخي ، والخطورة كل الخطورة من الذين يرفعون شعارات الأمة المسلمة ويعلنون أهدافها لمرحلة ، أو لكسب سياسي ، أو نشاط انتخابي ، ومن ثم يتنكرون لها ويسعون في وأدها ... إن حصاد الأمة المسلمة التاريخي من هؤلاء كان مراً ، ابتداءً من اعتناق نابليون بونابرت القائد العسكري الفرنسي الذي غزا مصر لاستعمارها الإسلام ، واستمراراً في سلسلة لا نهاية لها .

وهنا لا نريد أن نحمل المسؤولية لطرف واحد في هذه المعادلة الصعبة ، والتي تبدو أنها صعبة إلى حد بعيد ، ذلك أن الإلقاء بالتبعة على الآخرين دون نقد الذات ومحاسبتها عما كان من التفريط وعدم القدرة على دراسة الأسباب وحساب النتائج والاحتمالات ، يعني أننا دون سوية التعامل مع الصورة والقدرة على التأثير فيها ، وبذلك فلا يبقى معنى لوجودنا .

إن قضية الصدام بين القيادة السياسية والعاملين في الحقل الإسلامي في أكثر من موقع على خريطة العالم الإسلامي إنما هو نتيجة لعوامل كثيرة ... من هنا كان من حق الذين يغارون على هذه الأمة أن يبادروا إلى دراسة المقدمات والأسباب التي أوصلت

المعادلة الصعبة؟

القضية إلى ما وصلت إليه ؛ أما الذين ينتفعون بالأزمات ، ويتاجرون بالدماء ، ويحققون مصالح ما كان لها أن تتحقق في الظروف والشروط الطبيعية فلهم شأن آخر ؛ لا بد من دراسة المقدمات بدقة وتحديد العوامل الداخلية والخارجية ومحاولة تفادي الصدام الذي ما يزال يقتل الأجنة قبل ميلادها ، ويعيق الأمة عن أداء رسالتها .

وقد يكون ما يخصنا من الموضوع هنا ، وعلى مستوى العمل في الحقل الإسلامي والدعوة أن نعلم أن المطلوب إسلامياً ليس هو القضاء على الخصم وإنهاء حياته وشدخ رأسه إنما استنقاذه من الكفر والجهل وإلحاق الرحمة به وتغييره من الداخل .

إن معرفة هذه الحقيقة بعيداً عن ردود الفعل والنظرة الجزئية المتعسفة والضيقة للأمور ... سوف تكون لها انعكاسات خطيرة وهامة وسوف تترتب عليها نتائج كبيرة على مستوى العمل الإسلامي ومستوى نسبة الأداء في مجال الدعوة إلى الله أيضاً ... والذي يلمحه الإنسان ابتداءً أن الغاية من البعثة إنما هو إلحاق الرحمة بالناس وتغيير مواقفهم وتحويلهم من الكفر إلى الإيمان ، وأن مما أعطيه الرسول ﷺ وامتازت به رسالته عدم تعجيل العقوبة للظالم والمخطىء حتى تتحقق فرصة التوبة ، وأنه ليست من طبيعة النبوة والدعوة الإكراه والإجبار ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ... ﴾ ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ... ﴾ ولو عدنا إلى شيء من السيرة لوجدنا أن موقف الرسول ﷺ بعد أن لقي من أعدائه ما لقي في الهجرة إلى الطائف ، وكان أشد ما لقي في تاريخ الرسالة حسب رواية السيدة عائشة رضي الله عنها ، وجاءه ملك الجبال قائلاً : يا محمد ، لو شئت لأطبقت عليهم الأخشبين (جبلين في مكة) فكان الجواب الذي يشكل النداء التاريخي الخالد لكل مسلم : « عسى أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً » .

إن عمليات التغيير والتحويل لا يمكن أن تتم بالقضاء على الخصم ، الذي هو محل الدعوة والتغيير ، وإنما بالرفق واللين والحكمة والبلاغ المبين والمدافعة بالتي هي أحسن ، وهذه توجيهات القرآن الكريم وسيرة المبين عن ربه ﷺ ، ومقاصد الشريعة ، وفي تاريخنا من الشواهد والأدلة ما لا يدع استزادة لمستزيد ... فعمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي ذهب لتأديب أخته عندما أسلمت رجع مسلماً أعز الله به الإسلام ، وخالد بن الوليد رضي الله عنه الذي ذهب مقاتلاً للمسلمين في أُحد ، وكان سبب هزيمتهم ، كان أحد قادة فتح مكة المسلمين .

إن هذه الصور لم تنقطع على مدار التاريخ ، فالمغول الذين جاؤوا كالإعصار المدمر انقلبوا مسلمين نشروا الحضارة الإسلامية في العالم ... وسيان في نظر المسلم الحق إن وصل أهل الإيمان إلى السلطة والتمكين في الأرض لأداء الرسالة المنوطة بهم والخروج من عهدة التكليف ، أو وصل الإيمان إلى قيادة السلطة السياسية فتحصلت النتيجة نفسها ، والمسلم متعبد باستفراغ وسعه وبذل جهده في انتقاء الوسيلة الأفضل والطريق الأحكم لتحقيق الأهداف ، فقد يكون الطريق ممهداً لإيصال الإيمان إلى أهل السلطان في مرحلة لا بد من اغتنامها ، وقد يكون الطريق ميسوراً لوصول أهل الإيمان إلى السلطان ، المهم أن تتحصل القضية وليس المهم وصول الأشخاص .

وسوف لن تحل مشكلة العالم الإسلامي ما دام الصراع قائماً ، لقد أصبحت تجربة الصدام غنية أيما غنىً ، ولا بد من عودة إلى مراجعة الحسابات ، وإلى دراسة المقدمات على ضوء النتائج التي انتهت إليها على مستوى القيادة السياسية والثقافية الفكرية على حد سواء ، ويكاد يكمن معظم الحل - إن لم يكن كله - في يد القيادة السياسية صاحبة السلطة والنفوذ والتنفيذ ، فما قيمة الاستمرار السياسي إذا كان على حساب أجيال الأمة وكفاءاتها المبدعة ؟ وما فائدة العمل الإسلامي وجدواه إذا حصدت أجياله كاملة ، وهم عقل الأمة وروحها ، نتيجة الإقدام على معارك غير محسوبة ، ورؤية غير واضحة قد لا يكون للإسلام منها نصيب ، وإنما نصيب المسلمين أن تصفى الحسابات بدمائهم ، وتشوه صورتهم ، ويحال بينهم وبين دعوتهم ؟!!.

إن إنهاء حالات الاستبداد السياسي وإيقاف الصدام ، وإشاعة مناخ الحرية في العالم الإسلامي كفيل بوقف كل السلبيات المترتبة على ذلك ، وكفيل بحل مشكلة التخلف بإيقاف نزف العقول المبدعة من جانب واستقدام العقول المهاجرة التي تساهم بدفع عملية التقدم العلمي في أوروبا وأمريكا من جانب آخر لتأخذ مكانها في إنقاذ العالم الإسلامي من معاناته ، ذلك أن التخلف من لوازم الاستبداد السياسي في عالمنا الإسلامي الذي ضربه علينا أعداء الإسلام ليضمنوا تقدمهم بالعقول والسواعد والأموال الإسلامية ... والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . □□

بقلم لواء ركن : محمود شيت خطاب

فتح كاشغر

■ لا يزال أهل تركستان الشرقية (سينكيانج) مسلمين حتى اليوم، ولكن القابض منهم على دينه كالقابض على الجمر ■

المدينة والسكان

■■ كاشغر : مدينة من أشهر مدن تركستان الشرقية وأهمها ، وكانت عاصمة تركستان الشرقية ، ولها مركز عظيم في التجارة مع روسيا من جهة والصين من جهة ثانية وبلاد ما وراء النهر[1] من جهة ثالثة ، وتشتهر بمنسوجاتها الصوفية الجميلة .

وكانت كاشغر تعتبر قديماً من بلاد ما وراء النهر ، وهي تضم قرى ومزارع كثيرة ، يسافر إليها من سمرقند وإقليم الصُغْد ، وهي في وسط بلاد الترك ، وأهلها مسلمون .

وينسب إلى كاشغر علماء كثيرون ، منهم أبو المعالي طغُرلشاه محمد بن الحسن بن هاشم الكاشغري الواعظ ، وكان عالماً فاضلاً ، سمع الحديث الكثير ، وطلب الأدب والتفسير ، ومولده سنة (٤٩٠هـ) ، وتجاوز سنة (٥٥٠هـ) في عمره .

ومنهم أبو عبد الله الحسين بن علي بن خلف بن جبرائيل بن الخليل بن صالح بن محمد الألمعي الكاشغري ، كان شيخاً فاضلاً واعظاً ، وله تصانيف كثيرة بلغت في الحديث وحده مائة وعشرين مصنفاً وأكثر ، وتوفي ببغداد سنة (٤٨٤هـ) .

وهكذا كان المسلمون في أيام عزهم ، يتنقلون لطلب العلم والرزق من كاشغر شرقاً إلى الأندلس غرباً ، إلى سيبيريا شمالاً ، إلى المحيط جنوباً ، بدون جوازات سفر ولا سمات دخول وبغير حدود ولا سدود ، وقد أصبحت اليوم دولة الإسلام الواحدة سبعاً وثمانين دولة بين ملكية وجمهورية وإمارة ومشيخة ومستعمرة ، يحتاج الذي يريد زيارتها - إن استطاع وسُمح له - إلى عشرات سمات الدخول ومئات العراقيل وآلاف العقبات ، وأصبح المسلم في دار الإسلام غريباً ...

وتركستان الشرقية التي تقع فيها مدينة كاشغر ، يحدها من الجنوب : الباكستان والهند (كشمير) والتبت ، ومن الجنوب الغربي والغرب : أفغانستان وتركستان الغربية ، ومن الشمال : سيبيريا ، ومن الشرق والجنوب الشرقي : الصين ومنغوليا .

وقد اجتاحت تركستان الشرقية القوات الصينية الشيوعية سنة ١٩٤٩م واحتلتها ، فاطلق عليها الصينيون اسم (سينكيانج) ، وهي كلمة صينية تعني : المستعمرة الجديدة ، وتبعهم بهذه التسمية الأوروبيون وبعض المصادر العربية الحديثة ، إلا أن أهل تركستان الشرقية المسلمون ، يحبون أن تسمى بلادهم باسمها القديم : تركستان الشرقية ، ولا يحبون تسميتها بالاسم الصيني الجديد .

وقد لعبت تركستان الشرقية دوراً تاريخياً مهماً في التجارة العالمية ، وكان طريق الحرير المشهور يمر بها ، وهو الطريق الذي كان يربط بين الصين أبعد بلاد العالم القديم وبين الدولة البيزنطية .

وبدأ الإسلام يدخل تركستان الشرقية على عهد عبد الملك بن مروان سنة ست وثمانين الهجرية (٧٠٥م) ، ولكن البلاد أصبحت إسلامية حكومة وشعباً سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة الهجرية (٩٦٤م) بدخول السلطان ستوق بغراخان الإسلام ، فشمل الإسلام البلاد كافة .

ولا يزال أهل تركستان الشرقية مسلمين حتى اليوم ، ولكن القابض منهم على دينه كالقابض على الجمر .

التمهيد للفتح

قطع قتيبة بن مسلم الباهلي النهر - نهر جيحون - في سنة أربع وتسعين الهجرية (٧١٢م) ، متوجهاً إلى فرغانة .

وفرغانة ، اسم مدينة واسم إقليم ، وإقليم فرغانة من أقاليم نهر سيحون في بلاد ما وراء النهر ، متاخمة لتركستان ، وليس فيما وراء النهر أكثر قرى من فرغانة ، وربما بلغ حد القرية مرحلة لكثرة أهلها وانتشار مواشيهم وزروعهم .

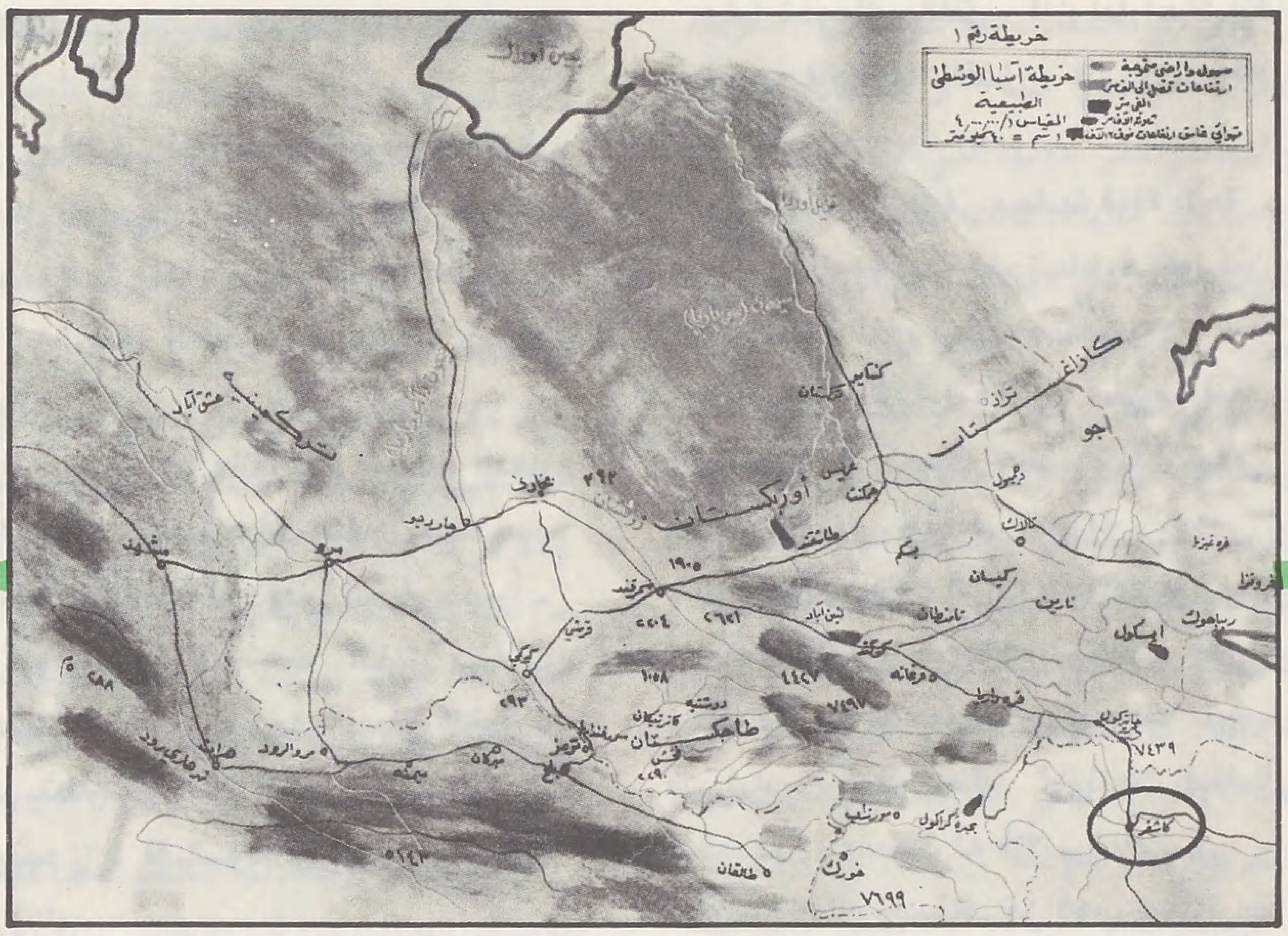

اما فرغانة المدينة ، فكثيرة الخيرات ، كثيرة القرى والحقول والمزارع ، بينها وبين سمرقند خمسون فرسخاً .

واصطدمت قوات قتيبة بقوات أهل فرغانة في مدينة (خجندة) إحدى مدن إقليم فرغانة ، فقاوم أهل فرغانة ومن معهم من الترك القادمين مدداً لهم من منطقة كاشغر المجاورة ، وكانت مقاومتهم شديدة اضطرت قتيبة على الاشتباك بهم مراراً ، وفي كل مرة يكون الظفر فيها للمسلمين .

وأخيراً ، انتهت مقاومة أهل فرغانة وحلفائهم الباسلة ، ففتح المسلمون الإقليم كافة .

وكان سبب حشد أهل فرغانة قواتهم الضاربة في خُجندة ، هو لأنها أول مدن إقليم فرغانة من الغرب ، وهي على حدود إقليم الصُغد الشرقية التي فتحها المسلمون من قبل ، فهي الخط الدفاعي الأول عن إقليم فرغانة .

وخجندة ، بلدة مشهورة بما وراء النهر ، تقع على شاطىء نهر سيحون ، بينها وبين سمرقند عشرة أيام شرقاً ، وهي مدينة نزهة ، ليس بذلك الصقع أنزه منها ، وفي وسطها نهر جارٍ ، ولأهلها سفن يسافرون بها في سيحون ، وتقوم على ضفة سيحون اليسرى .

ولعل موقع هذه المدينة القريب من إقليم الصغد الذي فتحه المسلمون قبل اليوم ، وتيسر وسائط النقل فيها ، وكثرة موادها الغذائية ، واهميتها القصوى لإقليم فرغانة ، هي أهم اسباب حشد قوات إقليم فرغانة على ارضها ، وقبول المعركة الدفاعية الحاسمة عن إقليم فرغانة في ربوعها .

الفتـــــح

كـان الاحتفاظ بـإقليم فرغـانـة بيد المسلمين ، يقضي على المسلمين فتح منطقة كاشغر التي تقع شرقي إقليم فرغـانـة ، ويقطنها الترك كما يقطنون إقليم فرغانة .

وفي سنـة ست وتسعين الـهجـريـة (٧١٤م) ، غزا قتيبة مدينة كاشغر ، وهي ادنى مدائن الصين واقربها إلى فرغانة .

وسار قتيبة من (مرو) عاصمة خُراسان على رأس جيشه ، وحمل الناس عيالاتهم معهم ، لتستقر في سمرقند .

وعبر الجيش الإسلامي نهر جيحون ، فاستعمل قتيبة رجلاً على معبر النهر ، ليمنع من يرجع من جنده إلّا بجواز منه وبموافقته الخطية .

ومضى جيش المسلمين إلى فرغـانـة ، مروراً بسمرقند ، حيث ابقى الناس عيالاتهم فيها بحماية المسلمين من اهل سمرقند ، وكان الإسلام قد انتشر فيها انتشاراً سريعاً موفقاً .

وفي فرغانة ، اكمل قتيبة استعدادات جيشه للقتال ، وارسل إلى (شعب عصام) الفَعَلَة لتمهيده ، حتى يجتازه الجيش بسهولة ويسر وسرعة ، فأكمل الفعلة مهمتهم ، واخبروا قتيبة بإكمالها .

والفَعَلـة ، هم سلاح الهندسة ، كما نطلق عليه اليوم في المصطلحات العسكرية الحديثة ، وهم الذين يمهدون الطرق ، ويبنون القناطر والجسور ، ويزيلون العقبات الطبيعية ، ويؤمِّنون وسائط عبور الأنهار ، ويشرفون على العبور والمعابر .

ويبدو أن (شعب عصام) أو وادي عصام ، عارض من العوارض الطبيعية الوعرة ، يعرقل مسيرة الجيش بقوات كبيرة ، ويقع بين فرغانة والحدود الصينية القديمة .

وتقدم قتيبة على رأس جيشه من فرغانة ، سالكاً الطريق التجارية التي تربط مدينة فرغانة بمدينة كاشغر ، ماراً بجنوبي بحيرة (جاتيركول) السوفييتية حالياً ، على الحدود الصينية ـ السوفييتية ، مقتحماً ممر (تيترك) في تركستان الشرقية .

وبعث قتيبة مقدمة أمام جيشه إلى كاشغر ، فتقدمت حتى وصلت إلى هدفها ، بعد أن أزاحت المقاومات الطفيفة التي صادفتها في طريقها ، وغنمت وسبت .

وأوغل قتيبة حتى قارب حدود الصين القديمة ، ففتح كاشغر ، وجنغاريا الواقعة على حدود منغوليا ، وترفان على مقربة من الحدود المنغولية ، وخوتن الواقعة شمالي التبت وكشمير ، وقانو التي تقع تماماً في منتصف الصين الحالية[1] .

ولكن المصادر العربية المعتمدة ، تقتصر على فتح كاشغر في هذه السنة ولا تقدم التفاصيل الإضافية الأخرى عن فتوح المدن الصينية الأخرى .

المفاوضـــــات

بات الاصطدام بين المسلمين من جهة ، وبين ملك الصين من جهة ثانية وشيكاً ، فطلب ملك الصين التفاوض بين الجانبين ، وعرض التفاوض على قتيبة ، فقد أوغل قتيبة حتى قارب الصين واخترق حدودها الغربية ، فكتب إليه ملك الصين : « ابعث إليَّ رجلاً

فتح كاشغر

شريفاً يخبرني عنكم وعن دينكم » ، فوافق قتيبة على طلب ملك الصين .

واختار قتيبة من بين رجال جيشه اثني عشر رجلاً ، لهم جمال والسن وبأس وتجمل وصلاح ، وأمر لهم بعُدَّة حسنة ومتاع حسن من الخزّ والوشي وغير ذلك وخيول حسنة ، وكان منهم هُبَيرة بن المشمرج الكلابي مفوّهاً سليط اللسان ، وقال لهم : « إذا دخلتم على ملك الصين ، فأعلموه أني قد حلفت أني لا أنصرف حتى أطأ بلادهم ، وأختم ملوكهم ، وأجبي خراجهم » ..

وسار وفد قتيبة إلى ملك الصين ، عليهم هبيرة بن المشمرج الكلابي ، فلما قدموا الصين ، دعاهم ملكها ، فلبسوا ثياباً بياضاً تحتها الغلائل ، وتطيبوا ، ولبسوا الأردية .

ودخلوا على الملك ، وكان عنده عظماء قومه ، فأخذوا أماكنهم في مجلسه ، فلم يكلم الملك الوفد ولا أحد ممن عنده .

ولما انصرف الوفد من مجلس الملك ، قال الملك لمن حضره : « كيف رايتم هؤلاء ؟! » ، قالوا : « رأينا قوماً ما هم إلّا نساء » .

وبالطبع ، قال من حول الملك ، ما (يحب) الملك أن يسمع ، لا ما (يجب) على الملك أن يسمع ، أسوة بمن حول أصحاب السلطان في كل زمان وكل مكان .

وفي غدٍ دعاهم الملك إلى مجلسه ، ولبسوا الوشي وعمائم الخز والمطارف ـ البسة من خزٍ مربعة لها اعلام ـ وغدوا عليه ، فلما دخلوا عليه قيل لهم : ارجعوا .

وقال الملك لأصحابه بعد انصراف وفد المسلمين : « كيف رايتم ؟! » ، فقالوا : « هذه أشبه بهيئة الرجال من تلك » .

وفي اليوم الثالث دعاهم الملك إلى مجلسه أيضاً ، فشدّوا سلاحهم ، ولبسوا البيض ـ الخوذ والمغافر ـ (جمع مغفر) ، وهو زرد ينسج على قدر الراس ، يلبس تحت القلنسوة .. واخذوا السيوف والرماح والقِسِيّ ، وركبوا خيولهم العربية المطهمة الأصيلة .

ونظر إليهم ملك الصين ، فرأى أمثال الجبال مقبلة ، فلما دنوا من مجلس الملك ، ركزوا رماحهم ، ثم اقبلوا مشمرين .

وقيل لهم قبل ان يدخلوا على الملك : « ارجعوا ... » ، لما دخل في قلوب الملك ومن معه من رجال الصين وقادتها من خوف ورهبة .

وانصرف الوفد عائداً إلى مستقره ، بعد ان اخذوا رماحهم واستعادوا سلاحهم وامتطوا خيولهم ، ثم دفعوا الخيل حُضْراً ـ عَدْو ذو وثب ، وهو ركض الخيل باقصى سرعتها ، كالذي يجرى في سباق الخيل ـ كانهم يتطاردون ، فقال الملك لأصحابه : كيف ترونهم ؟! » فقالوا : « ما راينا مثل هؤلاء !!! » .

وفي مساء ذلك اليوم ، بعث ملك الصين إليهم ، ان ابعثوا إلي زعيمكم ، فبعثوا إليه (هبيرة) ، فقال له الملك : « قد رايتم عظم ملكي ، وانه ليس احد يمنعكم مني ، وانت في يدي بمنزلة البيضة في كفي ، وإني سائلكم عن امر ، فإن لم تصدقوني قتلتكم » .

وما كان هبيرة بحاجة إلى التهديد والوعيد ، وليس هو من الرجال الذين يخيفهم التهديد والوعيد ، فهو لا يكذب ابداً حتى ولو قتل على أن يكذب لا على ألَّا يكذب ، فلا مجال لتهديده بالقتل إذا لم يصدق .

وسأل الملك هبيرة : لماذا صنعوا في الزي الأول ما صنعوا ، ثم الزي الثاني ، والزي الثالث ؟!

وكان جواب هبيرة : « اما زينا الأول ، فلباسنا في أهالينا وريحنا عندهم . واما يومنا الثاني ، فإذا اتينا أمراءنا . واما الثالث ، فزينا لعدونا » .

وقال الملك : « ما أحسن ما دبرتم دهركم فانصرفوا إلى صاحبكم ، فقولوا له : ينصرف ، فإني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه ، وإلَّا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه » .

وإذا كانت الجبال الراسيات تهتز قيد انملة من خطرات النسيم العليل ، فإن هبيرة قد اهتز يومئذ من وعيد الملك وتهديده ، فلا بد له من أن يبلغ هذا الملك رسالة قتيبة بقوة وأمانة وصدق ، فقال للملك في ثقة كاملة وهدوء تام : « كيف يكون قليل الأصحاب من أوّل خيله في بلادك ، وآخرها في منابت الزيتون !! وكيف يكون حريصاً من خلَّف الدنيا وغزاك !!!

واما تخويفك بالقتل ، فإن لنا آجالاً إذا حضرت فاكرمها القتل ، فلسنا نكرهه ولا نخافه !! » .

واستخذى الملك في مجابهة قولة الحق ، فنسي تهديده ووعيده ، ثم تساءل في قول ليِّن رقيق : « فما الذي يُرضي صاحبك ؟! » .

فاجابه هبيرة بقول فصل لا مساومة فيه : « إنه حَلَفَ ألَّا ينصرف ، حتى يطأ ارضكم ، ويختم ملوككم ، ويُعطى الجزية » .

واستخذى الملك إلى درجة الانهيار ، بعد ان سمع كلمة الحق تُزهق الباطل ، فقال : « فإنا نخرجه من يمينه : نبعث إليه بتراب من تراب ارضنا فيطأه ... ونبعث ابناءنا فيختمهم ... ونبعث له مالاً يرضاه ... » .

ودعا الملك بصحاف من ذهب فيها تراب من ارض الصين ، وبعث بحرير وذهب واربعة غلمان من ابناء ملوكهم ، ثم اجاز الوفد فاحسن جوائزهم ، فقدموا على قتيبة الذي قبل الجزية وختم الغلمان وردّهم إلى الملك ، ووطىء تراب الصين .

وقد لجأ الوفد الإسلامي إلى تبديل ازيائهم ، للتاثير في معنويات ملك الصين ومن معه ، مما أدّى إلى انهيار معنويات الصينيين واستجابتهم لمطالب المسلمين .

حقيقة الفتح

المؤرخون العرب يذكرون أن مدينة كاشغر هي أدنى مدائن الصين ، ولكن البلدانيين العرب يذكرون انها من مدن تركستان .

وما أخطأ المؤرخون العرب ، لأن حدود الصين كانت تمتد غرباً ، فتضم حدودها تركستان الشرقية بكاملها ، او جزءاً منها في حالة اشتداد قوة ملوك الصين ، وتنحسر تلك الحدود نحو الشرق ، فتستقل تركستان الشرقية بحدودها الطبيعية ، او تمتد حدود تركستان شرقاً ، فتضم إليها اجزاء من الصين ، في حالة قوة ملوك تركستان وضعف ملوك الصين .

وما أخطأ البلدانيون العرب القدامى ، في ذكرهم أن مدينة كاشغر من مدن تركستان الشرقية ، فهي في الواقع كذلك اصلاً ، ولكنها تدخل في حدود الصين تارة ، وتكون خارج حدودها تارة أخرى .

وقد ظلت تركستان الشرقية خاصة عرضة

لهجمات الصينيين ، حتى اصبحت اليوم جزءاً من اجزاء الصين كما هو معلوم .

ومن مراجعة تاريخ تركستان الشرقية القديم ، يتضح لنا ، ان منطقة كاشغر والمناطق التي حولها التي امتدت الفتوحات الإسلامية إليها ، كانت ضمن دولة (كول تورك) التي كان عهدها من سنة (٥٥٢م) إلى سنة (٧٤٥م) ، ومعنى هذا ان الفتح الإسلامي الذي تم في تركستان سنة ست وتسعين الهجرية (٧١٤م) كان على عهد هذه الدولة التركية التي كانت في عداء مستمر مع جارتها الشرقية الصين ، وكانت على ولاء كامل مع بلاد ما وراء النهر ، وخاصة مع إقليم فرغانة ، لأن العنصر التركي كان يسيطر على هذا الإقليم ، فكان تعاونه مع تركستان الشرقية تعاوناً وثيقاً .

ويذكر لنا تاريخ تركستان الشرقية القديم ، ان الاضطرابات شملت تركستان الشرقية سنة إحدى وعشرين ومائة الهجرية (٧٣٨م) ، فاستغل الصينيون هذه الاضطرابات واعتدوا على تركستان الشرقية وضموها إلى بلادهم .

ولكن الأتراك من سكان تركستان الشرقية ، تمكنوا من الحصول على عون القوات العربية الإسلامية سنة أربع وثلاثين ومائة الهجرية (٧٥١م) على عهد الدولة العباسية في بغداد ، وتمكنوا بهذا العون من إنقاذ بلادهم من حكم الصين ، وهزموا الصينيين في معركة (تالاس) المشهورة[٣] .

يتضح من ذلك ان الفتح الإسلامي في كاشغر والمدن الأخرىٰ جرىٰ في تركستان الشرقية لا في الصين ، ولكن ملك الصين الذي وجد سرعة تقدم الفتوح الإسلامية ووصولها إلى حدوده الغربية مباشرة في حينه ، سعى لإرضاء الفاتحين خوفاً من اختراق بلاده وفتحها ، فقدم ما قدَّم لقتيبة إرضاءً له ولمن معه من المجاهدين ، وصدّاً لتيارهم الجارف ، بالتي هي احسن .

الشـــــــهيد

والسبب الحقيقي لعودة قتيبة وجيشه عن حدود الصين الغربية ، كما تذكر المصادر التاريخية المعتمدة ، هو وصول خبر وفاة الوليد بن عبد الملك وتولي سليمان بن عبد الملك الخلافة بعده ، وكان ذلك سنة ست وتسعين الهجرية[٤] ، وكان الوليد مؤيداً لقتيبة وسنداً له اسوة بقادة الحجاج بن يوسف الثقفي كافة ، وكان سليمان يكرههم ولا يميل إليهم ، لأن الوليد بن عبد الملك اراد ان ينزع اخاه سليمان بن عبد الملك عن ولاية العهد ويجعل بدله عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ابنه ، فبايعه على خلع سليمان الحجاج وقتيبة وقادة الحجاج الآخرون .

وعاد قتيبة بمن معه من جيش المسلمين ، فقتل في فرغانة سنة ست وتسعين الهجرية ، وهو في طريق عودته إلى خراسان ، فقال رجل من العجم : « يا معشر العرب ! قتلتم قتيبة !!! والله لو كان قتيبة منا فمات ، لجعلناه في تابوت ، فكنا نستسقي به ونستفتح إذا غزونا » .

وقال احد رجالات العجم بعد مقتل يزيد بن المهلب بن ابي صُفرة : « يا معشر العرب ! قتلتم قتيبة ويزيد ، وهما سيدا العرب ! » .

ورثا قتيبة كثير من شعراء العرب ، فقال الفرزدق :

أتاني ورحلي بالمدينة وقعة
لآل تَميمٍ أقعدت كل قائم

وقال عبد الرحمن بن جمانة الباهلي :

كأن أبا حفصٍ قتيبة لم يَسر
بجيشٍ إلى جيش ولم يَعْلُ منبرا
ولم تخفق الرايات والقوم حوله
وقوف ، ولم يشهد له الناس عسكرا
دعته المنايا فاستجاب لربِّه
وراح إلى الجنَّات عِفّاً مُطهَّرا
فما رزىء الإسلام بعد محمد
بمثل أبي حَفْصٍ ، فيبكيه عَبْهرا

وعبهرا : اسم ولد لقتيبة .

وقال جرير في رثاء قتيبة :

ندمتم على قتل الأمير ابن مُسْلِمٍ
وأنتم إذا لاقيتم اللّـهَ أندمُ
لقد كنتمُ في غزوهِ في غنيمةٍ
وأنتم لمن لاقيتمُ اليومَ مَغْنَمُ
على أنَّه أفضى إلى حور ربِّه
وتُطبق بالبلوىٰ عليكم جهنَّمُ

والشعر في رثائه كثير ، والثناء عليه اكثر ، ولكنه كان اكبر من كل رثاء وثناء ، فآثاره باقية ، وفتوحه عظيمة ، وأعماله لا تبلى .

يكفي ان نذكر ان مساحة فتوحه تبلغ اربعين بالمائة من مساحة الاتحاد السوفييتي وثلاثاً وثلاثين بالمائة من مساحة الصين الشعبية في الوقت الحاضر .

وان سكان المناطق التي فتحها في بلاد ما وراء النهر وتركستان الشرقية ضمن الاتحاد السوفييتي والصين لا يزالون مسلمين حتى اليوم ، يتبركون بتلاوة القرآن الكريم ، ويعتزون بالعربية لغة والإسلام ديناً ، بالرغم مما يلاقونه من عنت شديد ومحن وعناء .

ولا ازال اذكر مضيِّفة على إحدى الطائرات الصينية ، صادفتها في إحدى الرحلات في المشرق الإسلامي .

فقد راتني اتلو ما تيسر من القرآن بالمصحف - والطائرة في الجو - فوجدتها تحتفي بي حفاوة خاصة ، ولا تنفك تحيطني برعايتها الفائقة .

وسالتني على استحياء ان اهدي لها المصحف لأنها مسلمة ، فاهديته لها ، فجثت على ركبتيها ووضعته على راسها ، وعيناها تذرفان قائلة : « هذه اعظم هدية تسلمتها في حياتي ، وساقدم هذا المصحف الشريف إلى والدتي المريضة فور عودتي إلى بلدي ، وستفرح بهذه الهدية العظيمة فرحاً عظيماً » .

ومضت إلى سبيلها تؤدي عملها ، وما مرت بي إلاَّ وهتفت : « الحمد لله ... انا مسلمة » .

ويومها تذكرت قتيبة الذي لم يقتله اعداء العرب والمسلمين ، بل قتله المسلمون .. وترحمت عليه كثيراً وانا بين السماء والأرض - في الطائرة - وترحمت على شهداء المسلمين .

---

(١) بلاد ما وراء النهر : كان نهر جيحون القديم يعد الحد الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية ، أي إيران وتوران ، فما كان من شماله ، أي وراءه ، من اقاليم ، سماها العرب : ما وراء النهر ، وهو نهر جيحون ، وكذلك سموها : الهيطل .

(٢) أرمينوس فامبري - تاريخ بخارىٰ - ترجمة أحمد محمود الساداتي ومراجعة يحيى الخشاب - القاهرة - بلا تاريخ .

(٣) إسماعيل حقي شن كولر - قضية تركستان الشرقية - ص (٦٤ - ٦٥) - مكة المكرمة .

(٥) الذهبي - العبر - تحقيق صلاح المنجد - ص(١١٤) - الكويت - ١٩٦٠م .

بقلم : الدكتور محمد أحمد العزب

الأسس القرآنية للتقدم وحوار حول بعض مقولاته

[١]

■■ أعرف أن الأستاذ الدكتور محمد أحمد خلف الله واحد من المفكرين الجادين الذين يحاولون ربط الفكر الإسلامي بقيم الحياة المعاصرة ، وفهم هذه القيم الحياتية على ضوء من الثوابت الإسلامية الأصيلة ، وهو ينزع في كل ذلك عن موقف اجتماعي محدَّد ومعروف ، نختلف معه حوله ، إلّا أن هذا الاختلاف لا يمكن أن يصل إلى حد القطيعة الفكرية ، فتلك حركة انسحابية ليست في صالح دعوة ما ... كذلك لا يمكن أن يصل الخلاف إلى حد الاتهام أو الإدانة ، فتلك إفرازات انفعالية إن أرضت عواطف مستوفزة في آن معين ، فقد لا ترضي أي حس عقيدي هادف إلى كسب بعض المواقع ، لا إلى التفريط في بعضها حتى على مرحلة من مراحل الطريق .

من هذا المنطلق ، آمل أن أدير هذا الحوار المخلص حول بعض المقولات المقلقة التي وردت في كتاب الأستاذ الدكتور خلف الله الأخير : (الأسس القرآنية للتقدم) الذي صدر في سلسلة : (كتاب الأهالي) [العدد الثاني] ... مكرراً أن هذا الحوار ليس تشهيراً بمجموعة الأخطاء التي وقع فيها قلم كاتب مسلم ، وليس محاولة ساذجة لإدانته أو إدانة تاريخه الفكري ، فأنا لا أملك حق التجريح والتعديل .. على أننا نعمل جميعاً تحت راية واحدة ، هي راية إسلامنا العظيم ، وإن اختلفت بنا شعاب الرؤية . فبدا لبعض الوقت أننا على طرفي نقيض !!

[٢]

وبدءاً لا يملك أي منصف إلّا أن يقدر للأستاذ رؤيته لقضية التقدم من الوجهة القرآنية عامة ، فحقيقي تماماً أن القرآن الكريم يشكل ثورة تقدمية عالمية ، تتسم في جوهرها بالصفاء من جهة ، وبالشمول والاستمرارية من جهة أخرى ، وقد حدد الباحث الجليل أسس هذه الثورة القرآنية في اتجاه التقدم فيما سماه : بـ (التنمية الثقافية .. وتحرير الإنسان من الخوف .. وإعمال العقل البشري .. المحيط الإنساني .. والتشريعات .. والمبادىء الإنسانية .. والهدف من التقدم) .. وربما يضيف الفكر الإسلامي المعاصر إلى هذه الأسس ، وربما يدمج عنصراً منها بعنصر آخر ، ولكنها في النهاية تظل أسساً حقيقية تحمل ملامح الأصالة والتجدد في آن معاً .

كذلك لا يملك أي منصف إلّا أن يقدِّر للأستاذ خطَّه المنهجي الذي لم يفلت منه على مسار الفكرة الرئيسة التي أراد إبرازها ، وهي في عمومها تتحدد في هذه الصيغة الواعية : (التقدم مضمون البلاغ القرآني) .

والفكر المنهجي في الكتابات الإسلامية المعاصرة عملة نادرة ، وأندر منه أن يحتفظ الكاتب بقصده من وراء هذا السعي المنهجي ، ولا يلتوي به إلى تشويه الحقائق ، أو صرفها عن سوائها القاصد ، لأن معنى ذلك التشويه ـ إذا حدث ـ أن تستحيل الكتابة إلى حقد ذاتي ، وإلى نوع من إشهار الإفلاس أمام صمود الحقائق الدينية ونصاعتها ، لأن الهارب من مواجهة هذه الحقائق ، بطمسها ، أو تحريفها ، يعلن عن عجزه الفادح أمام مواجهتها أو الحوار معها حواراً مبطناً بفقه حقائق الأشياء .

[٣]

مواطن الاختـــلاف :

ومواطن اختلاف الرأي بين الأستاذ الدكتور محمد أحمد خلف الله وبيننا ، تتجسد في تصوّره للعلاقة بين النص الإسلامي من جهة ، وبين فهم الكون فهماً عقلياً مفارقاً للنص من جهة أخرى ، فحين يتصدى الكاتب لقضية دفع القرآن الكريم إلى النظر في الكون ، وتدبر السنن الإلهية في خلقه ، وصولاً إلى معرفة إنسانية تساعد على تحقيق التقدم ، يقول :

(وهذا كله إنما يعني أن القرآن الكريم ينص على أن هذا الكون بمن فيه وما فيه ، يفهم فهماً عقلياً ، بعيداً عن النصوص الدينية ، وهذا الفهم هو السبيل إلى التقدم) (ص : ٩) .

■ إن إهدار جانب القتال والصراع الجسدي في الإسلام إهدار لنصف المعادلة العاقلة وتعطيل لجدلية الفعل التي تشكل تتويجاً تاريخياً لجدلية الفكر إذا استحال أن يزهر الفكر في تيبُّس عالم بلا تفكير ■

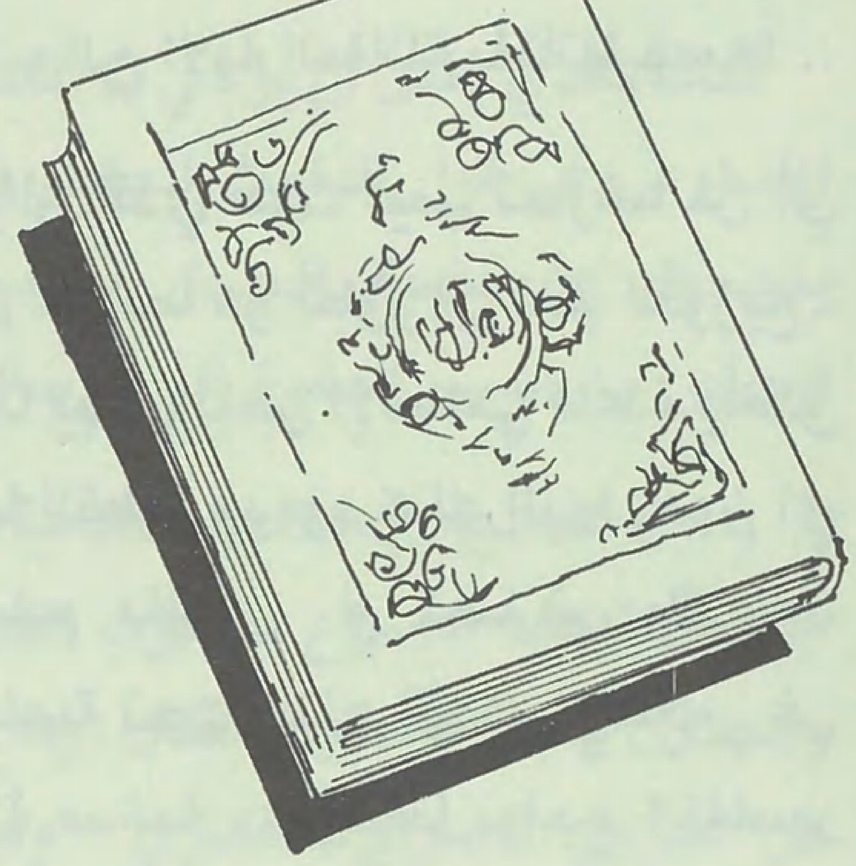

وفي يقيني أن العلاقة بين الإسلام الذي أساسه القرآن وبين التقدم، علاقة عضوية كما يشير إلى ذلك الباحث الجليل نفسه في (ص: ٨) (... وأما ان القرآن الكريم ينص على أن الكون بمن فيه وما فيه، يفهم فهماً عقلياً بعيداً عن النصوص الدينية، وأن هذا الفهم هو السبيل إلى التقدم ...) فقد أخشى أن يوحي مثل هذا السياق إلى المتلقي، بأن فهم العقل المسلم لظواهر الطبيعة والكون يجب أن يتم (بالضرورة) في غياب النص الديني، وهو هنا النص الإسلامي الذي حدده القرآن الكريم بالذات، مع أن هذا النص نفسه ـ فيما نعتقد ـ هو الذي حرَّض على إيقاظ العقل الإنساني، وعلى استثمار طاقاته الخلَّاقة في كشف غوامض الأشياء، فكيف يتم هذا الفصل الباتّ بين الحافز والفعل التاريخي، مع أن من المسلَّمات ـ حتى في الفكر الاجتماعي المعاصر ـ أن نوعية الحافز تشكل جزءاً صميماً من جوهر الفعل التاريخي وتحدد له منطلقاته وغاياته على السواء؟

نفهم أن تكون قوانين العملية التجريبية مستقلة عن بواعثها في لحظة التجريب المعملي، أمَّا أن تكون مستقلة عن هذه البواعث على الإطلاق، فقد لا يملك أحد أن يجترح مثل هذا الفهم هكذا ببساطة .. وهذا ما نعتقد أن الأستاذ الجليل قد يوافقنا عليه.

ان يُفهم الكون فهماً عقلياً، هذا لا خلاف حوله، وأمَّا أن نفترض حتمية مبارحة مثل هذا الفهم العقلي للنص الإسلامي، فهذا ما تنبه إليه حتى المؤلف نفسه في (ص: ٤٧) فخفف من الإطلاق السالف وقال:

(... هذا الكون قابل أن يفهم عقلياً. وبدون حاجة ـ في بعض الحالات ـ إلى النصوص)

وهذا الاستدراك المتمثل في قوله: (في بعض الحالات) يمكن أن يكون مقدمة لاستدراك أشمل، يضع الاجتهاد العقلي في فهم الكون في حالة عدم تعارض كلي مع النص الإسلامي، الذي انبعث أساساً من محاضنه، وحمل بالضرورة كل ملامح تكويناته وخصائصه.

وتأسيساً على هذه المقدمة يمكن أن نرفض المواجهة المقارنة بين السلف والخلف في قضايا فهم الكون والأشياء، لأن الخلف هنا امتداد للسلف، وإذا كان هؤلاء السلف قد حققوا هذه الإنجازات العلمية الخارقة تحت مظلة النص الإسلامي، وبدافع منه، فإن الخلف مطالبون بالبذل نفسه على الصعيد نفسه، ويصبح استحداث أية فجوة بين النص والجهد العلمي الموضوعي، افتراضاً غير واردٍ ولا مقبول، فهؤلاء وهؤلاء يعملون بدافع من النص الإسلامي، ويتوجهون وفق شروطه وليس بلا شروط.

[٤]

بين السلف والخلف:

وصحيح أن الإسلام القرآني ينبغي أن يكون الأساس في فهم كل الظواهر الحياتية والدينية، كما يشير إلى ذلك المؤلف، ولكن الاجتهادات المسلمة في فهم القرآن الكريم ليست (عقبات مقدسة في سبيل التقدم) كما يقول في (ص: ١٢)، وإنما هي شروح تكتسب شرعية استمراريتها من اقتدارها الفذ والتاريخي على النفاذ إلى أبعاد وأعماق ليس من السهل أن يتجاوزها العقل المعاصر، إلَّا بعد استيعابها وتمثلها، ربما لأن أصحابها كانوا يعملون من خلال وعيهم الصافي بحقائق النص، وحقائق اللغة الحاملة للنص، وايضاً من خلال بُعدهم عن الجدليات المغرقة التي انقضت ـ من بعد ـ ظهر النص بما يحتمل وبما لا يحتمل على السواء .. فلماذا نغضب في وجه هذا الفهم الصافي، ما دام قادراً على إضاءة طريقنا إلى الحقيقة؟

إن كثيراً من الباحثين المعاصرين يفتعلون صداماً غير وارد بين جهودنا الآنية وجهود هؤلاء الغابرين الرائعين، ربما لأنهم يضعوننا في مواجهة هؤلاء وليس امتداداً لهم، مع أن سوء الفهم في

الأسس القرآنية للتقدم وحوار حول بعض مقولاته

هذه القضية يؤكد جدلية أن نختزن نحن تجارب السابقين، وان نستعين برؤيتهم الثاقبة التي كانت وستظل اقرب إلى طبيعة الفهم عن النص، بحكم الواقع التاريخي والعقيدي الذي عاشوه، وليس معنى ذلك أن نلغي اجتهاداتنا نحن، فكلنا مطالب بإثراء البحث العلمي والفكري والفني من خلال اقتداره الخاص على العطاء في هذا الحقل او ذاك، بشرط أن نملك الاجتهاد، وان نؤهل ذواتنا لاحتوائه ... أمّا أن يكون كل نصيبنا من الاجتهاد أن نرمي المجتهدين السالفين بالتجمد والورائية، فذلك صنيع يرفضه منطق إسلامنا، الآن، وقبل الآن وبعد الآن على السواء.

والدليل المؤكد على جدارة السالفين بقيادة الفكر التاريخي، أو بإضاءة الطريق إلى هذا الفكر التاريخي على الأقل، أننا ما نزال نرجع إليهم - وقد فعل المؤلف الفاضل ذلك دائماً - في فهم النص، وفي إضاءة الحقيقة العلمية.

[٥]

النص والمصلحة العامة:

قضية أخرى أثارها الأستاذ الدكتور محمد أحمد خلف الله، في كتابه: (الأسس القرآنية للتقدم)، وهي قضية تعارض النص مع المصلحة العامة للمسلمين، وهي قضية ينبغي التحوط فيها - كما نعتقد - بلا حدود، لأن التعارض غير وارد على الإطلاق، وإنما هي مراحل حضارية على طريق التطور الإنساني، ربما تبتعد مرحلة منها عن المدلول الحرفي للنص، ولكن هذا لا يعني تعطيل النص أو إدانته أو تعارضه، فدورة الحضارات تعود إلى المنطلقات نفسها التي بارحتها - كما يقول توينبي - وهناك تجد النص في انتظارها صالحاً للتعامل معها ما يزال، ولا يتصور أن تشريعاً سماوياً يمكن أن يطرأ عليه التعطيل أو ضرورة التعديل، إلّا إذا أتى هذا التصور من فكرٍ آني محدود، قد لا يرى أبعد من حدود الرؤية المتاحة له، ومع ذلك يتجاسر فيتخيل أنه قادر على فهم الآباد والآماد.

إن الرق الذي تصوره الفكر البشري إفرازاً لمرحلة حضارية بائدة لا يمكن أن تعود، يدق الآن أبواب عصرنا الحاضر باكف من حديد، ويتمثل ليس في عبودية مادية واحدة، وإنما في عبوديات كثيرة تنكفىء في سبيل تطلعاتها إلى الحرية دون ما رسمه الإسلام لتحرير الأرقاء من خرائط بمسافات هائلة .. فكيف يقال: إن التشريع - أو أبعاضاً من هذا التشريع - يمكن أن يطرأ عليها التعطيل أو حتمية التعديل؟

يستدل المؤلف بأنصبة المقاتلين من الغنائم والأنفال التي حددها القرآن الكريم، ويرى أن هذه الأنصبة كانت حقاً للمقاتلين يوم كان الجهاد من مسؤوليات (القطاع الخاص)، ثم جاء التقدم العلمي فتكفلت الدولة بأدوات القتال، وبنفقات المقاتلين، أي أن القتال تحوّل وأصبح من مسؤوليات (القطاع العام) - وهذه مصطلحات الباحث - ثم يقول:

(... وهنا وجد التعارض بين النص القرآني، وما جاء به التقدم من أدوات القتال ونظمه، ومن قواعد جديدة لتوزيع الغنائم والأنفال) (ص: ١٣).

إن التعارض الذي يفترضه الدكتور خلف الله، ليس تعارضاً من أي لون، وإنما هو مجرد تطور في نظم توزيع هذه الغنائم وهذه الأنفال تحت ظلال النص، لأن الجندي والسلاح المحارب هنا وهناك ما يزالان بعض مسؤولية الدولة المسلمة. حتى الخُمُس الذي نص عليه القرآن الكريم. اتفق معظم المفسرين على ضرورة ردّه على الجيش المحارب، ولصوالح الأمة المقاتلة بفئاتها جميعاً ..

أي أن الذي حدث ليس تعارضاً من أي لون، وإنما هو تطور في نظم التوزيع، وهنا يبدو النص الإسلامي قاعدة ينطلق منها التطور ويعود كذلك إليها، دون أي تصادم مفتعل، أو تعارض طارىء، وخاصة تحت جناح الحكم الإسلامي في دولة مسلمة ... وليتنا نراجع التفاسير الموثوقة قبل أن نتاول النص تاولاً قد لا يرضي الحقيقة بحال. [انظر مثلاً ابن كثير - سورة الأنفال].

[٦]

التضبيب بدل الاضاءة:

وأحياناً يصادر الأستاذ الدكتور محمد أحمد خلف الله منطق التشبيه، فيضبِّب به القضية بدلاً من تضويئها، لأنه في غمار حماسه لفكرة (الكوادر) التي تتولى الدعوة إلى أي فكر جديد، ينسى خصوصية الدعوة الإسلامية في حياة قائدها الأول ﷺ، ويضعها في مستوى الانفعال الحزبي الذي ينطلق من محدودية فكرية معينة، تصبغ كل حركة من حركاتها بصبغ من الأنانية الصغيرة، مع تناقض مثل هذا الفهم بالضرورة مع شمولية الإسلام وعموميته الخالدة .. يقول الدكتور خلف الله:

(... وهذا الذي يطلبه القرآن الكريم من محمد عليه السلام، هو الذي تصنعه الأحزاب والجماعات اليوم، إنه تربية الكوادر الحزبية) (ص: ٢٣).

وهذه - كما نرى - مصادرة فاقعة لمنطق التشبيه، فالذي كان يفعله النبي ﷺ تحت مظلة القرآن الكريم، كان شيئاً شمولياً وليس حركة حزبية داخل إطار عام، سياسي أو غير سياسي ..

وربما يكون الأستاذ الدكتور خلف الله قد

قصد إلى هذا المعنى الذي حددناه ، ولكن السياق الأسلوبي في كتابه ربما يوحي بغير هذا المعنى على الإطلاق .

تماماً كالذي يمكن أن يوحي به السياق الأسلوبي في قول الباحث الجليل وهو يتحدث عن قضية الجدل والحوار كأساس من أسس الدعوة إلى الإسلام :

(... والعملية الإسلامية التقدمية هنا هي حلّ قضايا الصراع بأسلوب الحوار والجدل ، وليس بأسلوب القتال ، إنه حلّ عن طريق الصراع الفكري ، وليس الصراع الجسدي) (ص : ٢٤) .

فمثل هذا السياق يمكن أن يفهم فهماً مقبولاً إذا حددنا حركة الحوار الفكري في الإسلام داخل إطار مرحلي ، ولكنه قد يفهم على انه نفي لفكر الجهاد القتالي في الإسلام إذا أخذ هكذا على إطلاقه .. وهذا بالطبع مرفوض من وجهتين على الأقل :

وجهة منطق الدعوة التي لابدّ أن يشهر أعداؤها السلاح في وجهها .. ووجهة الواقع التاريخي الذي يؤكد انتضاء الدعوة لكل أسلحتها ، والدفع بها في وجه العالم المناوىء حتى تنتصر .

فكيف يصح بعد ذلك أن يقال : إن حلّ قضايا الصراع (في العملية الإسلامية كما سماها المؤلف) ينبغي أن يتم بأسلوب الحوار والجدل ، (وليس بأسلوب القتال) وبالصراع الفكري (وليس الصراع الجسدي) ؟ ألا يمكن أن نقبض من خلال هذا السياق على حس التعريض بقضية الجهاد في الإسلام ، حتى ولو لم يرده المؤلف الفاضل أساساً ، وهو بالتأكيد لم يُرِدْهُ ؟

إن إهدار جانب القتال والصراع الجسدي في الإسلام إهدار لنصف المعادلة العاقلة ، وتعطيل لجدلية (الفعل) التي تشكل تتويجاً تاريخياً لجدلية (الفكر) ، إذا استحال أن يزهر الفكر في تيبُّس عالمٍ بلا تفكير ، أو إذا تحتم صدام القوى الوحشية المناوئة التي لا تقنع بغير اقتلاع الفكر من أساسه بلا حوار .

[٧]

أهو خطأ مطبعي ؟ :

ونأمل أن تكون الجريرة في النص التالي من كتاب الأستاذ الدكتور خلف الله جريرة المطبعة وليست جريرة القلم الكاتب ، لأن غلاظة المقولة تؤكد أن عقلاً إسلامياً ما ، لا يمكن أن يجترح مثل هذا الإطلاق غير المنطقي ... يقول :

(... وهنا سؤال يطرح نفسه : ألا يزال العقل البشري مقيداً بسلطان الله الواحد الأحد ، الذي يدعو الإسلام إلى عبادته واتقاء غضبه ؟) .

وينقل القارىء إلى إجابة من تفسير المنار ، ولكنه قبل أن ينقله إلى هذه الإجابة يقول :

(... وأنا حين انقل عن هذا الكتاب إنما أرجو أن يطمئن القارىء إلى الأساس الذي بني عليه التوحيد ، وكيف كان تحريراً للعقل البشري من سلطة الآلهة ، بما فيهم الله) (ص : ٣٦) .

وهذا فادح بكل المقاييس ، وأوشك أن أظن أن المؤلف لا يمكن أن يقع في مثل هذا الإطلاق الجسيم ، وأن المطبعة وحدها قد تكون مسؤولة عن هذا الارتباك الفكري والأسلوبي ، الذي يجسِّد اتجاهاً غير إسلامي بالتأكيد .. والدليل أن المؤلف نفسه يصادر هذه المقولة العشوائية بمقولة معقّلة فيقول :

(لقد حرر الإسلام العقل البشري من :

١ - سلطان الآلهة - فيما عدا الله سبحانه وتعالى - وجعل سلطان الله هو سلطان السنن والنواميس الثابتة التي هي من القوانين العلمية ، كما جعل سلطان الله من نوع السلطان الذي يكون للتشريعات ، أي سلطان القانون .

٢ - السلطات الدينية الممثلة في رجال الكهنوت من الأحبار والرهبان ومن إليهم .

٣ - سلطان النبوة من حيث إعلان إنهائها كلية ، وتخليص البشرية منها .

وكل تلك خطوات في سبيل تحقيق التقدم) (ص : ٤٤) .

وإذا كنا قد افترضنا أن الخطأ في المقولة الأولى خطأ المطبعة ، وليس خطأ المؤلف ، فإن الخطأ في مقولة إنهاء سلطان النبوَّة ، وتخليص البشرية منها ، لا يمكن أن يكون خطأ المطبعة ، أولاً : لأنه تردد في الكتاب بهذا القطع الحاسم اكثر من مرة ... وثانياً : لأن السياق الأسلوبي والفكري يؤكدان أن هذا المضمون مقصود لكاتبه للأسف ... ونتساءل : هل يمكن أن يكون مثل هذا التعامل مع منطق النبوة مقبولاً من عقل إسلامي كعقل كاتبنا الكبير ؟

إن إعلان الإسلام ختم النبوات بمحمد ﷺ ، ليس إنهاءً من أي لون لسلطان النبوة ، وإنما هو على النقيض تأكيد لسلطان النبوة ، وإذا شئنا فلنقل لسلطان كل النبوات .

إن أي نبي من أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم ، مقدس من وجهة كونه مبعوثاً من الله ، وحاملاً لوحيه ، وما دام هذا الوحي لم ينسخ بوحي آخر ، فإن سلطانه يظل ممتداً في أبد التاريخ بلا فكاك ... أي أننا مع نبي كريم كمحمد ﷺ لا يمكن أن نتصور إسلامنا كاملاً في غياب سلطانه علينا ، أي الإيمان الملزم بكل أقواله وأفعاله ، وبديمومة التواصل معه ، واستمرارية هذا التواصل .

فإذا تجاوزنا هذه المسلمة ، إلى تأمل كون الرسالة الإسلامية كانت وما تزال إطاراً إلٰهياً لكل ما في الشرائع السابقة من مشاعل التقدم وتحضير الحياة ، أدركنا أن سلطان النبوة لم ينته ، ولا يمكن أن ينتهي ، إلَّا بانتهاء الحياة ذاتها ... فكيف بعد ذلك يمكن أن يقال : إن سلطان النبوة قد انتهى ، وإن الإسلام نفسه هو الذي أعلن هذا الانتهاء ، وأعلن بجواره تحرير العقل البشري من أوهاقه ، إذا جاز أن يقال إنها أوْهاق ؟

ونخشى أن يكون انحصار المؤلف في تأمل كلمات من آية واحدة هي قوله

الأسس القرآنية للتقدم وحوار حول بعض مقولاته

تعالى : ﴿ ... يا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ... ﴾ هو الذي جر إلى مثل هذا الفهم ، ومعروف أن القضية لا يحكم فيها بنص واحد ، وعزل بقية النصوص المكملة التي قد توجه القضية بكاملها في اتجاه مختلف .

لقد كرَّر الباحث ثورته غير المبررة على ما أسماهُ بـ (نظام النبوة) في مثل قوله :

(... وتبقى بعد ذلك عملية تحرير العقل البشري من السلطة الدينية المتمثلة في نظام النبوة) (ص : ٤١) . أي أن اختيار النبي ﷺ من عنصر بشري كان تحريراً للعقل الإنساني من سلطة أعلى من البشر .

وفي مثل قوله كذلك في الصفحة نفسها ، شارحاً مسيرة الإسلام في رفع الإصر عن العقل الإنساني من وجهة نظره :

(... بل مضى الإسلام إلى ما هو أبعد من هذا ، من حيث خطوات التقدم التي قطعها في ميدان النبوة ، فقد أعلن إلغاء هذا النظام كلية ، ولم يكن معنى هذا إلَّا أن وصاية السماء على أهل الأرض قد انتهت ، وأن البشرية قد أصبحت من التعقل والرشاد بحيث تترك إلى نفسها ، وبحيث تكون قيادتها لنفر منها تختارهم هي ، وليست تختارهم السماء لها) (ص : ٤١) .

إن تضبيب الرؤية هنا جاء ـ ربما ـ من عدم التفريق المنهجي بين الإلغاء والختم ، وبين الوصاية والهداية ، وبين الاختيار والفرض .. مما يؤكد أن (المنهجية) أو فلنقل (البصيرة المنهجية) في هذا الموطن بالذات من الكتاب ، قد غابت ، أو هي قد اختلَّت اختلالاً غير متوازن على الإطلاق ، وأن حساً من التمرد الفاقع وغير المعقل قد استولى على سياق هذه السطور ، فجعل منها إدانة زاعقة ، وكان يمكن بشيء من النظر الهادىء أن يجعل منها وثيقة من وثائق تحرير العقل الإسلامي في ظل إسلامه العظيم .

[٨]

خلط بين الدين وعلمائه

واستطراداً مع ثورة المؤلف الفاضل ، يرفض أن يهتدي العقل البشري بشيء آخر غير ذاته ، أو أن يقلِّد (أحداً من رجال الدين لأنه رجل دين) (ص : ٤٠) .

ويبدو أن الجانب الغائم هنا من القضية يتجسد دائماً في الخلط بين رجل الدين وما يمثله رجل الدين من فهم متخصص لمقولات الدعوة ... فإذا كان المقصود برجل الدين هذا الكائن المادي بعيداً عن انتمائه العقيدي والفكري ، فما نظن أن ديناً حارب هذه الظاهرة العبودية الوبيلة التي تلقي بزمامها إلى غيرها تقديساً أو تبعية أو تفريطاً ، بمثل ما فعل الإسلام ... أما إذا كان المقصود برجل الدين هذا العقل المتخصص ، أو هذا السلوك الملتزم . أو هذه المكابدات الإنسانية الأنموذجية ، فإن الدعوة إلى احتذائه وتقليده والاستفادة منه على طريق التقدم الحضاري والعقيدي ، تبدو دعوة عاقلة وحتمية بكل المقاييس .

ونعجب كيف يذهب بعض الفرقاء من الناس إلى تقديس بعض الزعماء السياسيين والاجتماعيين ، وليس مجرد تقليدهم فقط ، ثم يرفض هؤلاء الفرقاء تقليد علماء الدين الذين يملكون بصيرة متخصصة في فهم علوم الدين ، وتسليطها على قضايا الواقع الاجتماعي بكل أبعاده .

وهذه بالطبع ليست دعوة إلى تقليد نوعيات من الجهلة والمشعوذين وأحلاس الموائد الفارهة .. وإنما هي دعوة إلى احترام اجتهاد العقل الإسلامي المجتهد ، والسير على ضوء ما تركه في زوايا الطريق من أضواء نحن في حاجة شديدة إليها .

لقد اهتدىٰ المؤلف نفسه بمقولات الشيخ محمد عبده ـ وهو من علماء الدين البصراء ـ فهل يمكن أن نقول : إنه (قلَّد) وإن (تقليده مرفوض) وبالتالي فإن البناء العضوي في كتابه ـ من هذه الوجهة ـ آيلٌ للسقوط ؟

[٩]

القلم أمانة :

وبعد ... فإن الفكر الإسلامي المعاصر محتاج إلى الحركة الفاعلة ، ولكن بشروط إسلامية وليس في غياب كل الشروط ... وما يبدو اجتهاداً أحياناً قد يعوزه حسّ الالتزام المجتهد ، حتى نضمن مسيرة عادلة نحو أهدافنا الحقيقية ، وليس نحو أيَّة إثارة مقصودة أو غير مقصودة .

ولنتذكر دائماً أن القلم أمانة في أيدينا ، وأن الكلمة شرف صاحبها ، وأن اندفاعنا في مراحل سِنِّيَّةٍ معينة لا يبرر لنا تواصل هذا الاندفاع ، فنحن في حاجة لازبة إلى ضبط مناهجنا وفق إيقاع ديننا ، وليس النقيض .

ويخيل إلي أن الباحث الأستاذ الدكتور محمد أحمد خلف الله ، قد برَّ في مواطن كثيرة من كتابه : (الأسس القرآنية للتقدم) بكثير من هذه القيم .. وأنه كذلك ـ في مواطن أخرىٰ ـ لم يستطع ، أو لم يرد أن يبرّ بكثير منها ، ربما تحت ضواغط العمل ، وربما تحت وطأة الحماس العقلي ، ولكنه هنا وهناك أعطى ما يستحق الحوار ، وإيقاظ الوعي المفكر .

واستغفر الله لي وله ، من كل زلة قلم ، ومن كل جماح في غير طريق الحق ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطانا ... والحمد لله أولاً وآخراً .

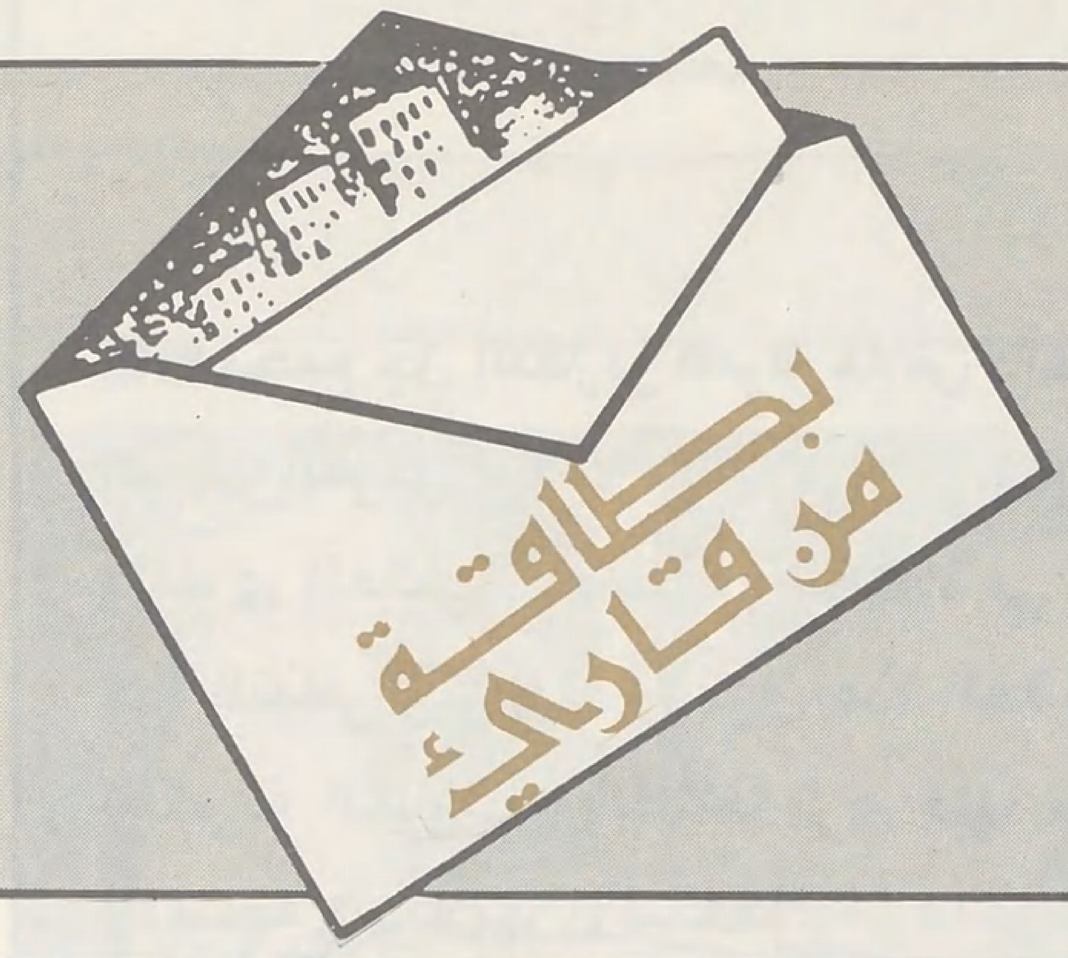

□ هذه البطاقات عبارة عن أفكار وتصريحات وأقوال ذات مساحات محددة يلتقطها بعض الإخوة من القراء بما يتمتعون به من حواس ذكيّة . ومن ثَمَّ يقدمونها من خلال هذه الصفحة ..

وهي محتجزة لتقديم كل نافع ومفيد من هذه العصارات المكثفة ، التي يُشار فيها إلى مكمن خطر .. أو يُكشف فيها قناع عن وجه عدو للأمة ومقوّماتها ..

أو يبصّر برؤية ويسدد طريقاً ويقوِّم منهجاً . تحت عنوان خير الكلام ما قلَّ ودل □

الحوار المسموم !!

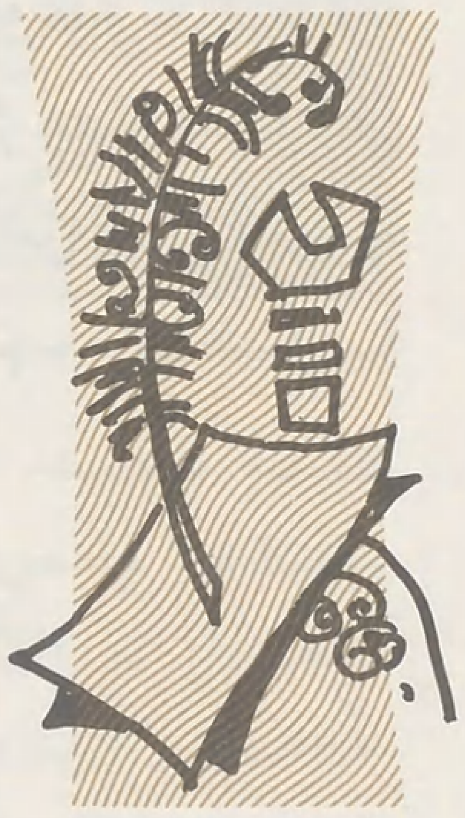

●● رغم أن الحوار مع (المسيحيين) من حيث هو ، ليس أمراً جديداً في الإسلام ، وقد حدث منذ العهد النبوي .. فإن الدعوة التي انطلقت مؤخراً نابعة من الجهات التنصيرية هي دعوة حق أريد بها باطل .. فقد أخذت هذه الجهات تنادي بعقد حوار بينها وبين غيرها من المسلمين .. وأنشأت لمتابعة هذا الموضوع إدارة خاصة في نطاق (الفاتيكان) سموها «إدارة العلاقات مع غير المسيحيين» كما أنشأت في نطاق مجلس الكنائس العالمي ما أسموه إدارة شؤون الحوار مع الديانات الأخرى .. الشيء المؤكد أن كل هذه اللقاءات مخططة ومدروسة من قبل الجهات التنصيرية ومعدة إعداداً خبيثاً .. إن الجانب المسيحي هو الرابح دوماً والمستفيد الوحيد من هذه اللقاءات عقائدياً وإعلامياً ●●

(أخبار العالم الإسلامي)

القارىء : حسان عبد الله ـ لبنان

مسألة مصالح !

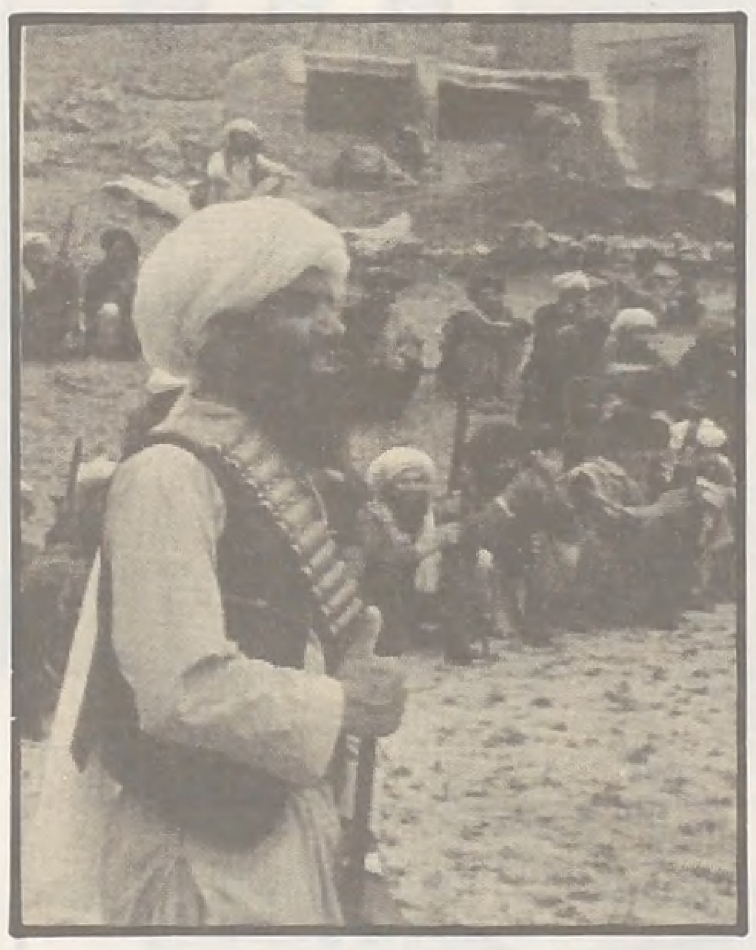

□□ اليوم ومنذ أكثر من ثلاث سنوات ، تتكرر مأساة فيتنام في أفغانستان .. ومع ذلك لا نجد اليسار العالمي قد هبَّ من أجل شعب أفغانستان ، ولو بربع معشار ما قام به من أجل فيتنام .. إذن ليست المبادىء هي التي تملي المواقف وتقود ، وإنما هي المصالح .. فالعدو عندما كان أمريكا تحرك اليسار ، ولكن عندما استبدلت الأدوار في أفغانستان ، وقام الاتحاد السوفييتي بدور أمريكا ، سكت اليسار وأغضى ..!! □□

(الأخبـــار القاهـرية)

القارىء : أشرف محمد عبد الفتاح [الجيزة ـ مصر]

أطفـــال للبيـــع !!

□□ في بريطانيا أطفال للبيع .. الثمن المطلوب (٢٣) الف جنيه استرليني للطفل ، لكن الكلفة الإجمالية قد تتجاوز (٣٠) ألف جنيه !

المعلوم أن القانون في بريطانيا يحرم الأمومة بالوكالة ، أي أن تحمل سيدة بطفل لحساب أم أخرى ، لكن هناك من وجد أسلوباً سهلاً للالتفاف حول القانون وهو المحامي الأمريكي بيل هاندل ، الذي قرر أن يفتح وكالة لبيع الأطفال الانجليز يكون مقرها في لوس انجلوس بالولايات المتحدة .

فهناك يتم اللقاء مع الأم بالوكالة ، ثم حضور الولادة والعودة بالطفل .

المشتري يدفع (٢٣) الف جنيه ويتحمل مصاريف السفر مرتين .

والمحامي الوكيل يدفع للأم مبلغ ٨ آلاف جنيه وينفق (١١) الفاً أخرى لأغراض طبية وقانونية ـ حسب قوله ـ ويتقاضى مبلغ أربعة آلاف جنيه عن كل طفل !! □□

(الشرق الأوسـط) ـ لندن

أحمد الطيب ـ السودان

ديـاسبـورا الالكترونيـات

□□ تقوم الاستراتيجية الإسرائيلية الحديثة على مفهوم «دياسبورا عصر الالكترونيات» الذي يقضي بضروة الاستفادة من يهود الدياسبورا المشتغلين في مجال المعلومات والتكنولوجيا المتقدمة والاكتشافات ، ويقضي بضرورة تجميع اليهود المشتغلين في تلك المجالات وربطهم بقوة بإسرائيل ..

ويكمن جوهر هذه القضية في أن عدم عودة اليهود إلى إسرائيل لا يُعد خيانة ، وإنما يعد مفيداً إذا تم استثماره بربط هؤلاء الخبراء بمستقبل اسرائيل ..

إنهم يتحدثون عن خلق شبكة تعاون الكتروني حول العالم يتحكم فيها اليهود الاسرائيليون وغيرهم ..

إن هذه الأبعاد الاستراتيجية الحديثة لا تقل خطورة عن الحركة الصهيونية العالمية في نهاية القرن التاسع عشر .

(الأهرام) القارىء : سعد الدين سليمان ـ ج . م . ع ـ الاسكندرية

الفوز في الحالتين

□□ إنني سعيدة قانعة بالرغم من مشاجرات ابناي الاثنين ، فلئن نجح الأول في دعوته الصهيونية ، فسأعود إلى القدس أرضي الموعودة ، ولئن نجح ابني الثاني في دعوته فسأعيش في روسيا أماً لرئيسها ... وكانت هذه العجوز هي والدة لينين ... □□

[من كتاب : سنوات الاغتصاب لموسى الكيلاني]

القارىء : محمد جميل عياد الوحيدي

الأردن ـ مخيم القبعة

شبابنا في وجه

قراءة في واقع العالم الإسلامي

■■ تجمع جلّ التقارير المرفوعة من داخل البلدان العربية والإسلامية إلى أجهزة الرصد الغربي للعالم الإسلامي ... على تنامي عنصر الشباب في هذه البلدان، والقوى العالمية الغاضبة والحاقدة في أعماقها على الإسلام والمسلمين، يفزعها هذا التنامي ويرعبها أن ترى هذا العالم ـ المتخلف ! ـ يزخر بمثل هذه الطاقات البشرية الشابة، وذلك لما ترى فيها من الخطر المستقبلي على استراتيجيتها المهيمنة وسيادتها الاستعمارية، ما لم تسارع جادّة وحازمة، بسد جميع المنافذ أمام هذا التدفق البشري، وتجميع كل الوسائل المادية والأدبية المؤثرة، ورصدها لخنق هذه الطاقات وتقليص فاعليتها وتهميش حركتها.

ولهذا تراها على اختلاف مشاربها : شرقية كانت أم غربية، شيوعية أم رأسمالية من أقصى اليمين أم من أقصى اليسار ... تحشد كل ما لديها من فكر ومكر وتقنية في إطار تخطيط محكم ودراسة دقيقة وشاملة، حتى تتمكن من تدجين هذه الشبيبة الإسلامية وتوجيهها إلى غير صالح مجتمعاتها ورسالتها الحضارية والإنسانية. ■■

الواقع الممهد

وقد مهد الواقع الموضوعي : السياسي والثقافي والفكري والتربوي والاجتماعي المتردي في عمومه والمحتضن لهذه الشبيبة ... مهد للغرب وللقوى المتربصة سبل التنفيذ، ومنح الأعداء فرصاً مجانية لتمرير الخطط العدوانية المستهدفة أساساً ضرب الإسلام وتحطيم المسلمين ؛ وهذا ما عبَّر عنه المفكر المسلم مالك بن نبي رحمه الله بالقابلية للاستعمار !... وهو ما يقود في نهاية المطاف إلى ما يسميه المهندس حسن فتحي « بالاستعمار الذاتي ».

ذلك : « أن المتمعن في دراسة أحوال المجتمعات الإسلامية على اختلاف أمكنتها وأقطارها يلاحظ ما تعانية هذه المجتمعات من مشاكل ثقافية واقتصادية واجتماعية وسياسية عديدة، وهو إذا ما أطال التمعن والتفكير في هذه المشاكل فإنه يجد أنها ـ على الرغم من تعددها وتنوعها ـ ترجع إلى أسباب أولية رئيسة قليلة نسبياً، يأتي في مقدمتها ـ في نظرنا ـ تخلي المسلمين عن التطبيق الكامل السليم لتعاليم دينهم وأحكامه في شؤون حياتهم كافة وتخلفهم الفكري والتربوي في حاضر حياتهم[1] ».

ملامح الواقع الفكري والثقافي

يكاد يجمع المهتمون بقضايا الشباب ومشكلاته في عالمنا الإسلامي ـ والعالم العربي جزء منه ـ على أن السَّواد الهائل من هذا الشباب يعيش أزمة توجيه فكري وثقافي ويعاني من دَرَن الموارد التثقيفية ومن تلوث المادة التعليمية واضطرابها !

والأمة التي يعيش دماغها الاجتماعي : أعني شبابها الواعي الطموح. مثل هذه الأزمة الحادة ويرزح تحت حملات التمييع الأدبي والتضليل الإعلامي والتشويه التاريخي ... لن تستطيع إثبات ذاتيتها في خضم المعترك الحضاري، ولن تقوى بالتالي على الصمود أمام إعصار القوى المضادة وما أكثرها وأشرسها على أمة الإسلام !

وهذا له خطره البالغ ـ خاصة ـ على أمة أنيطت بها أمانة القيادة والشهادة على العالم : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ... ﴾ (البقرة : ١٤٣) وتقديم الأسوة المبدعة والأنموذج المشرق في شتى المجالات الحياتية والحضارية : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ... ﴾ (آل عمران : ١٠٩) وهي

الإعصار الغربي!

بقلم : عبد القادر عبار

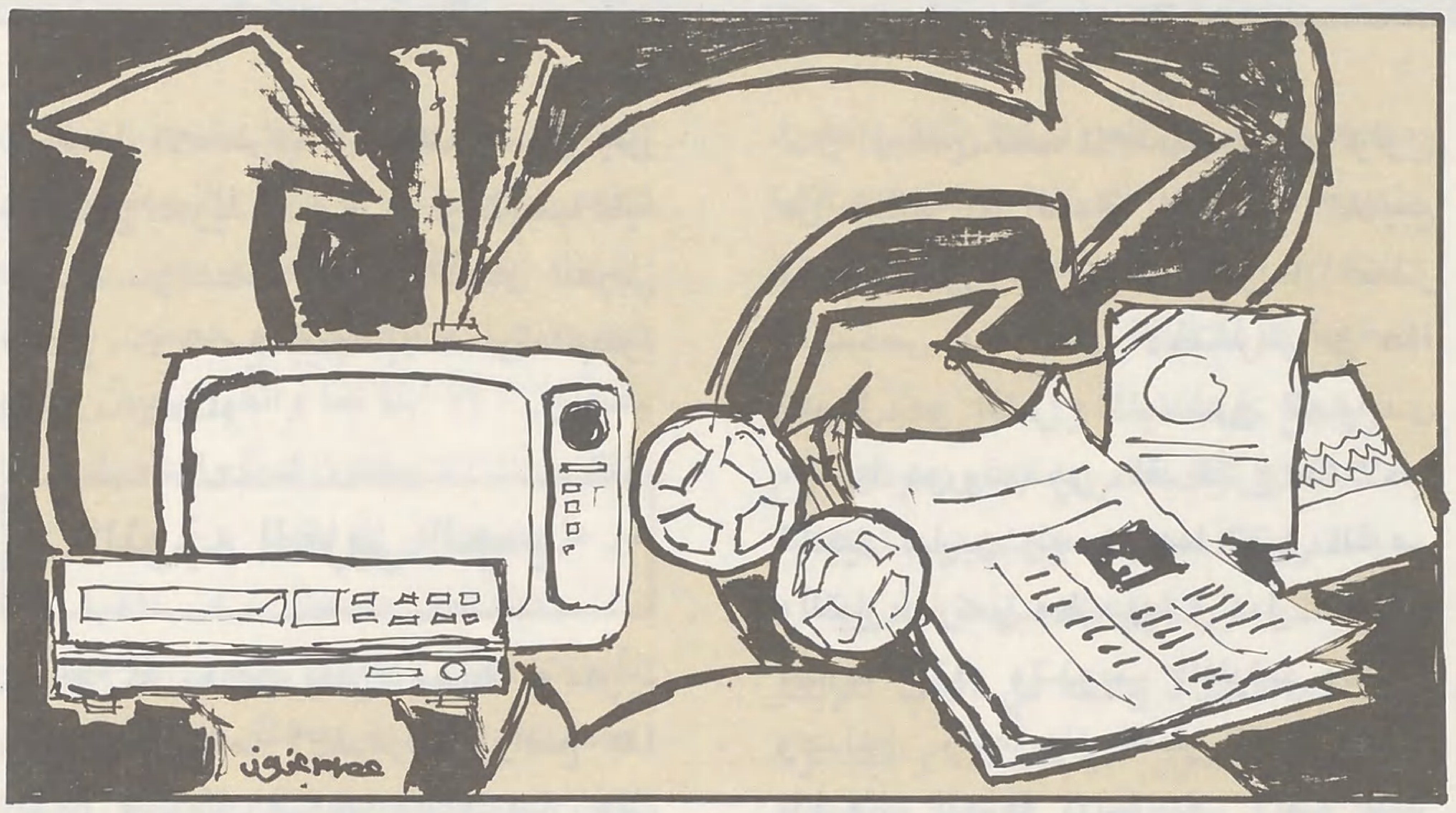

تعيش في عصر تعدَّت فيه الثقافات والفكريات والأدبيات مستوى الترف والزيف و (الفولكلور) ، لترتقي إلى مستوى التخصصات العالية والتخطيط المحكم والمنهجية الهادفة .

والمتأمل في الواقع الثقافي في مجتمعاتنا العربية والإسلامية يجد أن الوضع جدّ قلق : إذ ما تزال الثقافة في مجتمعاتنا كما يقول الدكتور علي الراعي - تقبع في وضع قلق وذليل ، وتتوالى عليها المواقف الضارة واحداً بعد آخر : بعضهم ينظر إليها على أنها ترف وتزيّد يمكن الاستغناء عنهما ، وبعضهم يراها سلعة بائرة لا تغلّ إيراداً لقاء ما يبذل لها من مال .. وبعضهم يعرفها على حقيقتها : صانعة للروح ومبدعة للعقل وحافزة إلى الرغبة في التغيير ، فيقفون منها موقفاً عدائياً ويحاربون أصحابها بشتى السبل ، أحياناً تحت شعار « عقد المثقفين » وأحياناً أخرى بحجة أن أبناء المجتمع العربي المعاصر يحتاجون إلى الأمن قبل الرأي ، ومن ثم ارتفع شعار « أهل الثقة وليس أهل الخبرة » الذي حجب عن المجتمع العربي خيرة العقول ودفع بها إلى الهجرة حيث تخدم غيره بكفاءة وتميز[٢] . ومن ثم فسح المجال أمام القيادة الهشة والمستغربة لتتصدر منابر التوجيه والتلقين . وتمسك بمقاليد التنظير والتثقيف .

افتقار السياسة الثقافية إلى فلسفة خاصة

وتأزم الواقع الثقافي ناتج في الحقيقة - عندي على الأقل - من أن المؤسسات الثقافية والإعلامية المهيمنة على الساحة والتي بيدها التوجيه والتخطيط والإرشاد ، تفتقر إلى فلسفة خاصة ، أي تفتقر إلى مبادىء ومعتقدات وأسس واهتمامات ومثل وقيم نابعة من أصالتنا الإسلامية ، وانتمائنا الحضاري الإسلامي ، وتستهدف ترشيد الحركة الثقافية والفكرية ، وتوجيهها وجهة حضارية توحيدية : تتناغم وطموحات الواقع الإسلامي .

وفي غياب مثل هذه الفلسفة ، من الطبيعي أن يتردى الوضع الثقافي ويضطرب المناخ الفكري ويُمسي عالة على غيره . متلهفاً إلى التقاط نفايات الثقافات الأجنبية واصطياد بل واحتضان الوافد الفكري والفلسفي كيف ما كان ومن حيث جاء .

ملامح الواقع التربوي والتعليمي

وإذا انتقلنا إلى تأمل الواقع التعليمي في العالم العربي والإسلامي ، وجدنا أن السياسة التعليمية والتربوية هناك ليست بأحسن حظاً من السياسة الثقافية : فهي تمتاز بتناقضات في المضامين ، واضطراب في الأهداف ، واغتراب في المنهج والشكل .

ولنأخذ على ذلك مثلاً : غياب وحدة الهدف من السياسات التعليمية والتربوية في البلدان العربية : فبينما نجد الهدف الاجتماعي الذي يرمي إلى تربية المواطن وإعداده لكي يعرف ما له من حقوق ، وما عليه من واجبات ، ويحترم الحقوق العامة والحريات ، ويتفاعل بروح إيجابية مع الآخرين - يحتل (١٨) نقطة من جملة أهداف التربية في الأردن و (١٦) في الكويت ، نجده يقتصر على نقطة واحدة في المغرب وعلى (٤) نقاط في تونس ..

وإذا انتقلنا إلى الهدف الديني الرامي إلى إعداد الفرد ليكون مؤمناً وصالحاً ، وإلى تحقيق الخلق القرآني في المسلم وتنمية الفكر الإسلامي المنهجي وتمكين العقيدة الإسلامية وترسيخها في نفسه ... فإننا نجد هذا الهدف ملغى من قائمة أهداف التربية والتعليم في بعض البلاد العربية بينما نجده يحتل (١٩) نقطة في بعضها الآخر .

وقس على ذلك جملة الأهداف التربوية الأخرى ، كالهدف الوطني والهدف الجهادي والقومي والإيديولوجي ...

شبابنا في وجه الإعصار الغربي!

فهذا الاضطراب في الأهداف لن يفرز إلَّا نماذج بشرية متنافرة؛ لا تربط بينها غاية موحدة، وأنماطاً من «الإنسان العربي المسلم» لا تجمع بينها إلا سمرة البشرة وتقارب الأسماء!

التوجّه الغربي الجديد

وإذا كان بعضهم ينفي ـ مجاملة أو مكراً ـ حصول مثل هذا الاضطراب وواقع هذا التردي في حياتنا الثقافية والتعليمية، ومن ثَمَّ تراه يسعى حثيثاً لطرح كل ما من شأنه أن يضفي نوعاً من الحياة والحركة والديناميكية على هذا الواقع، فإن الغرب ـ وهو ذكي وماكر كما أعتقد، ويقظ إلى أبعد حدّ ـ لا يخدع نفسه ومؤسساته بتجاهل هذا السقوط، بل هو يعلم كل التفاصيل ويعد لكل ثغرة فيه ما يلائمها لصالحه طبعاً. ومن ثم راهن على تصدير مذهبياته الهدّامة وعقائده الملحدة ونفاياته الثقافية المائعة، موقنا بأنها من انجع الوسائل التي يجب أن يعتمدها في تنفيذ أغراضه الاستعمارية وتكميل أدواره العدوانية المتمثلة أساساً في إجهاض العالم الإسلامي وذلك بتذويب الذاتية الإسلامية وتمييع علاقة المسلمين بكتابهم، ومن ثم وهذا هو الهدف الأكبر: إقصاء الإسلام عن ساحة التوجيه والفعل والحركة...

توجه مدروس

وهذا التوجه الغربي الجديد نحو استعمار العقول بعد استعمار الأراضي، وطمس ذاكرة الأمة بعد استلاب كنوزها وامتصاص عرق رجالاتها... هذا التوجه لم يأت صدفة ولم يكن ارتجالياً، بل جاء نتيجة دراسة وتحليل واستقراء للوضع العربي والإسلامي ـ المتخلف ـ، وكان المستشرقون حداة القوم في هذا الأمر. فهم الذين أخذوا على عاتقهم أو بالأصح ـ وُجدوا ليقوموا بدور المهد للولوج إلى العقل المسلم.

فقد كانوا يدلّون قومهم من خلال ما يدرسون ويبحثون ويكتبون عن كل ما يتصل بالإسلام والمسلمين: عقيدة وتاريخاً وثقافة وتراثاً... على نقاط الضعف لدى المسلمين قصد الاعتماد عليها والولوج من خلالها إلى الحياة الإسلامية: لتمييع مقوّماتها وزلزلة بنيانها، ولعل أخطر ما تمخض عنه الفكر الاستشراقي في هذا المجال هو اقتراح المستشرق الهولندي «ستوك هوروغونجي» فقد اقترح هذا الأخير تشكيل تيارين رئيسين هما التيار القومي والتيار الماركسي وطرحهما في ديار المسلمين لضرب قوتهم وتذويب فاعليتهم وتفتيت وحدتهم: زاعماً بأن التيار القومي كفيل بإضعاف الحركة الإسلامية، وأما التيار الماركسي فهو على حد تعبيره كفيل بنشر الفساد والإلحاد.

وجولة استقرائية لحياتنا المعاصرة وواقعنا الحاضر على طول عالمنا العربي والإسلامي تريك محصول هذا الاقتراح الخبيث.

طبيعة المعركة بيننا وبينهم

ولعله من المناسب أن نعرج قليلاً لتوضيح طبيعة المعركة بين العالم الإسلامي والعالم الغربي في العقود الأخيرة من هذا القرن:

يقول الأستاذ محمود محمد شاكر:

«... لم تكن المعركة بيننا وبينهم معركة في ميدان واحد: بل كانت معركة في ميدانين: ميدان الحرب وميدان الثقافة، ولم يلبث العالم الإسلامي أن ألقى السلاح في ميدان الحرب لأسباب معروفة. أما ميدان الثقافة فقد بقيت المعركة فيه متتابعة... وكانت هذه المعركة أخطر المعركتين وأبعدهما أثراً وأشدهما تقويضاً للحياة الإسلامية والعقل الإسلامي، وكان عدونا يعلم ما لا نعلم: كان يعلم أن هذه المعركة هي معركته الفاصلة بيننا وبينه...»(٤).

ولو عدنا قليلاً إلى التاريخ محاولين تفهم الأساس السيكولوجي لأقدم العلاقات بين العالمين الغربي والإسلامي، لوجدنا أن ما يفكر الغربيون فيه ويشعرون به نحو الإسلام اليوم، متأصل ـ على حد تعبير محمد أسد ـ في انفعالات وتأثيرات إنما ولدت في إبان الحروب الصليبية: إن الأذى الذي جلبته الحروب الصليبية لم يقتصر على اصطدام استعملت فيه الأسلحة، بل كان أولاً وقبل كل شيء: أذىً عقلياً نتج عنه تسمم العقل الغربي ضد العالم الإسلامي... وقد يبدو من مفارقات التاريخ أن يظل هذا الحقد الغربي القديم ضدّ الإسلام قائماً بطريقة لا شعورية في زمن خسر فيه الدين القسم الأكبر من تأثيره في مخيلة الغربي!!

تلبية لنداء الصهيونية

وتستغل الصهيونية العالمية الحاقدة هذا الوضع بين العالمين الغربي والإسلامي، لتنفيذ استراتيجيتها العدوانية وترسيخ أقدامها هنا وهناك. ويأتي اقتراح «ستوك» تلبية مباشرة أو غير مباشرة لنداء حكماء صهيون في بروتوكولاتهم السامة التي يرمون من ورائها إلى تدمير العالم وإخضاع الأمميين لسيطرتهم العنصرية وذلك: بنسف الإيمان في النفوس ونشر المجون والفساد: «يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان وأن تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي إثمار ملحدين».

ونحن نعلم أنه منذ مؤتمر بازل بسويسرا ومفكرو يهود يسعون بكل جدهم وجهدهم، ومكرهم وحيلهم لهدم الأديان ونسف العقائد الصالحة وذلك عن طريق الترويج المدروس والمخطط للمذاهب الاجتماعية والسياسية والفكرية والبيولوجية: «يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان لتسهل سيطرتنا: إن فرويد منّا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى شيء مقدس في نظر الشباب، ويصبح همه الأكبر إرواء غرائزه الجنسية... لقد رتبنا نجاح داروين وماركس وفرويد بالترويج لهم وإن الأثر الهدام للأخلاق الذي تحدثه علومهم في الفكر غير اليهودي واضح لنا بكل تأكيد...».

الغـرب ينفِّذ..!

وعليه فقد سارع الغرب بوضع المقترح «الستوكي ـ الصهيوني» موضع التنفيذ الجازم والمدروس: فبادر بتصدير نفاياته الفكرية الهدامة، وقشور ثقافاته الهابطة،

وترهات فلسفاته الملحدة ... إلى ديار المسلمين بعد أن تركهم عند جلائه العسكري ـ على درجة كبيرة من الأمية العقلية والاجتماعية، وعلى درجة أكبر من الأمية التاريخية والدينية، وقد مرر الغرب خطته عبر قنوات ثلاث:

- احتواء المناهج التعليمية.
- تعكير الموارد التثقيفية.
- صناعة مفكرين مستغربين.

وسنتحدث عن هذه الوسائل الخطيرة التي اعتمدها الغرب بشيء من التفصيل.

أولاً: المناهج التعليمية

فأما عن احتواء الغرب لمناهج التعليم فلنجاعتها وعمق تأثيرها وديمومة فاعليتها: ذلك أن التعليم ـ كما جاء على لسان أحد رؤساء الجامعات الأمريكية قد برهن: على أنه من أثمن الوسائل التي استطاع المنصِّرون أن يلجأوا إليها في سعيهم للتنصير، إذ تمتد آثاره إلى السلوكيات والآداب والعلاقات، وأثر الكلمة أعمق من أثر الرصاصة.

وقد أدرك اليهود منذ مؤتمرهم المشؤوم عام ١٨٩٧م، أهمية مسك الجهاز التعليمي، ومدى قدرته على التأثير والتغيير، ومن ثم راهنوا على كسبه وافتكاكه بأي ثمن: ليمرروا من خلاله ما يريدون إيصاله إلى عقول الآخرين من أفكار مزيفة وعقائد هادمة، يحدوهم اليقين في حصول الغاية من ذلك: لأن عقل المثقف يتكون يوماً بعد يوم، بل ساعة بعد ساعة وهو يتقبل بالتربية والتعليم والاجتماع أشياء يستسلم لها بالإلف الطويل، وبالعرض المتواصل، وبالمكر الخفي، وبالجدل المضلل، وبالمراء المتلون، وبالهوى المتقلب ...

ثانياً: تعكير الموارد التثقيفية

وأما عن تعكير الموارد التثقيفية من صحافة وإعلام وآداب وفنون، فذلك راجع إلى الدور الخطير والحساس الذي تؤديه في الوقت الحاضر ـ إنها تقوم كما صرح بذلك حكماء صهيون في البروتوكول الثاني عشر ـ بتهييج العواطف الجياشة في الناس وإثارة المجادلات الحزبية الأنانية التي تكون في معظمها فارغة ظالمة زائفة ...

وراجع كذلك أيضاً إلى كون هذه الموارد باستطاعتها توجيه الرأي العام نحو كل نوع من النظريات المبهرجة، والشعارات المزيفة: التي يمكن أن تكون تقدمية أو تحررية ... وذلك بما تنشره وتبثه من الأدب المريض القذر، والفنون الهابطة، والبحوث الكاذبة ... وكلها تحت غطاء من ادعاء التجديد والتقدمية والإبداع والموضوعية !!...

ثالثاً: صناعة المفكر المستغرب

وأما عن صناعة المفكر المستغرب، فلأهمية قيامه بدور دليل الطريق للاستعمار، ولعلَّ في اعتراف الفيلسوف الوجودي الفرنسي: جان بول سارتر توضيحاً أشمل وتحليلاً أوسع، وهي في ذات الوقت شهادة من أهلها: يشير سارتر في مقدمة صَدَّر بها كتاب المفكر الإفريقي ـ فرانس فانون ـ «المعذبون في الأرض».. إلى أسلوب صناعة المفكر الشرقي في الغرب، ومجال استخدامه فيقول: كنَّا نحضر رؤساء القبائل وأولاد الأشراف والأثرياء والسادة من أفريقيا وآسيا، ونطوف بهم بضعة أيام في أمستردام ولندن والنرويج وبلجيكا وباريس، فتتغير ملابسهم ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الاجتماعية الجديدة، ويتعلمون منا طريقة جديدة في الرواح والغدو ... ويتعلمون لغاتنا وأساليب رقصنا، وركوب عرباتنا، وكنا ندبر لبعضهم أحياناً زيجات أوروبية، ثم نلقنهم أسلوب الحياة الغربية ... كنا نضع في أعماق قلوبهم الرغبة في أوروبا، ثم نرسلهم إلى بلادهم. وأي بلاد !؟.. بلاد كانت أبوابها مغلقة دائماً في وجوهنا، ولم نكن نجد منفذاً إليها، كنا بالنسبة إليها رجساً ونجساً ... لكن منذ أن أرسلنا المفكرين الذين صنعناهم، إلى بلادهم كنا نصيح من أمستردام أو برلين أو باريس: «الإخاء البشري» فيرتد رجع أصواتنا من أقاصي أفريقيا أو الشرق الأوسط أو شمالي أفريقيا ... كنا نقول: «ليحل المذهب الإنساني أو دين الإنسانية محل الأديان المختلفة» وكانوا يرددون ... هذه أصواتنا من أفواههم وحين نصمت يصمتون! إلَّا أننا كنا واثقين من أن هؤلاء المفكرين (!!) لا يملكون كلمة واحدة يقولونها غير ما وضعنا في أفواههم!

... هذا إذن بإجمال، عن أهمية هذه القنوات التي اعتمدها الغرب في تصدير إعصاره العقيدي والثقافي إلى العالم الإسلامي، مستهدفاً بذلك تشويه الحياة الإسلامية وتمييع العقل المسلم وتقليص فاعلية الشباب الإسلامي.

وبعد ...

من المسلم به لدى أولي الألباب: أن الغرب لن يتخلى يوماً ما عن ترصد العالم الإسلامي ومعاداته وحشد كل مؤثرات الضعف وعوامل التهميش فيه ... مهما تغيرت رموزه السياسية ومهما تبدَّلت العوامل الضاغطة لديه: ذلك أن ضرب العالم الإسلامي كان ولا يزال بنداً ثابتاً يتصدر سلم الأولويات في الاستراتيجية الغربية.

وهذا يستوجب من أهل الذكر في عالمنا الإسلامي البحث الجاد عن صيغ فاعلة وسليمة: لكسر جليد هذا الحقد الغربي، وتخطي عقبة التحدي الحضاري.

وإن في الرجوع الواعي إلى الإسلام وتحقيق أبجدياته وتعاليمه عمودياً وأفقياً في واقعنا المعاصر، ليغني عن أي حل مستورد مهما كان مصدره، خاصة وأن التجارب الماضية قد أثبتت فشل الحلول على كثرتها وتنوعها وعلمتنا أيضاً أن الجسد الإسلامي يلفظ كل صيغة غريبة عن ذاته وجنسه!

هوامش:

(١) من أسس التربية الإسلامية: ص: ١٧. للدكتور: عمر محمد التومي الشيباني.

(٢) المجلة العربية للثقافة: ص: ٤٣: مقال: الإنتاج الثقافي العربي المعاصر.. للدكتور علي الراعي، السنة ٣.

(٣) انظر الجدول المفصل لذلك بمجلة شؤون عربية: ١٤. ص: ١٣٩.

(٤) انظر: المقدمة الرائعة التي صدَّر بها الأستاذ محمود محمد شاكر كتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي ص ١٠.

حديقة الأمة

من نور كتاب الله

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُجْرِمِينَ . لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّالِمِينَ ﴾ (الأعراف : ٤٠ ـ ٤١)

ليست بدار قرار ...

روى مسلمة بن محارب عن عامر بن عبد قيس أنه قال :

الدنيا والدة الموت ، ناقضة للمبرم ، مرتجعة للعطية ، وكل من فيها يجري إلى ما لا يدري ، وكل مستقر فيها غير راضٍ بها ، وذلك شهيد على أنها ليست بدار قرار . . .

[البيان والتبيين]

تنزع بكم إلى شر غاية

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : القلوب تمل كما تمل الأبدان ، فاطلبوا لها طرائف الحكمة .

وقال الحسن رحمه الله : حادثوا هذه القلوب فإنها سريعة الدثور ، واقدعوا (ازجروا) هذه الأنفس فإنها طَلَعَة (كثيرة التطلع) وإنكم إلاَّ تزعوها (تزجروها) تنزع بكم إلى شر غاية .

ويروى في حكمة آل داود : لا ينبغي للعاقل أن يخلي نفسه من أربع :

عُدَّة لمعاده ، وصلاح لمعاشه ، وفكر يقف به على ما يصلحه من فساده ، ولذة في غير محرم يستعين بها على الحالات الثلاث .

وقال أردشير بن بابك : إن للأذهان كلالاً ، وللقلوب ملالاً ، ففرقوا بين الحكمتين يكن ذلك استجماماً .

[زهر الآداب]

ما دام يحفظ أمر الله

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

« إن من حق العالم ألا تكثر عليه بالسؤال ، ولا تعنته في الجواب ، وألاَّ تلح عليه إذا كسل ، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ، ولا تفشين له سراً ، ولا تغتابن عنده أحداً ، ولا تطلبن عثرته ، وإن زلّ قبلت معذرته ، وعليك أن توقره وتعظمه ما دام يحفظ أمر الله ، ولا تجلس أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته . . . »

[جامع بيان العلم وفضله]

من جوامع كلمه ﷺ

- الخير كثير وقليل فاعله .
- أعظم النساء بركة أقلهُنَّ مؤونة .
- المستشار مؤتمن .
- تعس عبد الدرهم .
- حبك الشيء يعمي ويصم .

أنواع البر

البر نوعان : صلة ومعروف .

فأما الصلة ، فهي التبرع ببذل المال في الجهات المحمودة لغير عوض مطلوب . . . وهذا يبعث عليه سماحةُ النفس وسخاؤها ، ويمنع منه شُحُّها وإباؤها . قال تعالى : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

وأما النوع الثاني من البر فهو المعروف ؛ ويتنوع نوعين : قولاً وعملاً .

فأما القول ، فهو طيبُ الكلام ، وحسن البِشْرِ ، والتودد بجميل القول . وهذا يبعث عليه حسن الخلق ورقة الطبع ، ويجب أن يكون محدوداً ، فإنه إن أسرف فيه كان مَلَقاً مذموماً ، وإن توسط واقتصد فيه كان معروفاً محموداً .

وأما العمل ، فهو بذل الجاه ، والمساعدة بالنفس ، والمعونة في النائبة . وهذا يبعث عليه حبُّ الخير للناس ، وإيثار الصلاح لهم ، وليس في هذه الأمور سَرَفٌ ولا لغايتها حدٌّ . . .

[أدب الدنيا والدين]

اعطــه ... لذلك اليوم

حكى أبو بكرة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أن أعرابياً أتاه ، فقال :

يا عُمَرَ الخيرِ جُزيتَ الجنَّهْ — أكْسُ بُنَيَّاتِي وأُمَّهُنَّهْ
وكُنْ لنا من الزمان جُنَّهْ — أُقْسِمُ باللَّهِ لَتَفْعَلَنَّهْ

فقال عمر رضي الله عنه : فإن لم أفعل يكون ماذا ؟

فقال : إذن أبا حفصٍ لَأَذْهَبَنَّهْ .

فقال عمر : فإذا ذهبت يكون ماذا ؟ فقال :

يكون عن حالي لَتُسْأَلَنَّهْ — يوم تكون الأعطيات هَنَّهْ(١)
وموقفُ المسؤول بَيْنَهُنَّهْ — إما إلى نار وإما جَنَّهْ

فبكى عمر رضي الله عنه حتى اخضلت لحيته ، ثم قال : يا غلام ، اعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره ، أما والله لا أملك غيره .

قال الماوردي : وإذا كان العطاء على هذا الوجه خلا من طلب جزاء وشكر ، وعَرِيَ عن امتنان ونشر(٢) ، فكان ذلك أشرف للباذل وأهنأ للقابل .

[(١) الهنة من الهنين ، وهن يهن هنيناً ، بكى بكاء مثل الحنين ، أي : يوم يكون البكاء على فوات الصدقات . (٢) يريد إعلان العطاء طلباً لحسن السمعة والأحدوثة] .

[أدب الدنيا والدين]

الصبغــــة الدينيــــة ...

إن الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في أهل العصبية وتفرد الوجهة إلى الحق ، فإذا حصل لهم الاستبصار في أمرهم لم يقف لهم شيء لأن الوجهة واحدة ، والمطلوب متساوٍ عندهم ، وهم مستميتون عليه . . .

وأهل الدولة التي هم طالبوها ، وإن كانوا أضعافهم فأغراضهم متباينة بالباطل ، وتخاذلهم لتقية الموت حاصل فلا يقاومونهم وإن كانوا أكثر منهم ، بل يغلبون عليهم ويعاجلهم الفناء بما فيهم من الترف والذل . . .

(ابن خلدون ـ المقدمة)

كل مقدور كـائن

كتب رجل من أهل البصرة إلى أخ له ، أما بعد : فإنه يُسَهِّلُ عليَّ طلبَ الحاجة أمران فيك ، وأمران لي ، وأمر من قِبَل الله وبه تمامها . . . فأما اللذان فيك : فاجتهادك في النُّجح ، ومبالغتك في الاعتذار .

وأما اللذان لي : فأني لا أُضَيِّقُ عليك بعذري ، ولا أصون عنك شكري . وأما الذي من قبل الله عز وجل : فإيماني بأن كل مقدور كائن والسلام . . .

[الأمالي للقالي]

ثلاثـــــة ...

لا تطلبوا الحاجة إلى ثلاثة :

إلى كذوب ، فإنه يقربها وإن كانت بعيدة ، ويباعدها وإن كانت قريبة .

ولا إلى أحمق ، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك .

ولا إلى رجل له إلى صاحب الحاجة حاجة ، فإنه يجعل حاجتك وقاية لحاجته . . .

[البيان والتبيين]

أقــوال لأبي حــازم

كان أبو حازم التابعي رحمه الله يقول :

كل عمل تكره من أجله الموت فاتركه ، ولا يضرك متى مت . . .

ما أحببتَ أن يكون معك غداً فقدمه اليوم .

إنما بيني وبين الملوك يوم واحد ، أما أمس فلا يجدون لذته ، وأنا وإياهم من غدٍ على وَجَلٍ ، وإنما هو اليوم ، فما عسى أن يكون اليوم ؟

[زهر الآداب]

رسائل جامعية

الأسس التربوية

تقديم : علي حسن علي القريشي عرض : زكريا فايد

■ ترجع أهمية هذا البحث إلى أنه أول من تصدى لتحديد مكانة ودور « مالك بن نبي » على خريطة الفكر العربي والاتجاهات التغييرية المختلفة في هذا الفكر ، وهذا الطرح الديناميكي لفكر مالك واتجاهات عصره ، هو الاضافة الحقيقية لهذا البحث ، حيث درجت العادة عند الحديث عن مفكرينا ـ على التلفظ التكراري لآرائهم وأقوالهم دونما تركيز على دورهم في عملية الحوار الحضاري والتغيير الاجتماعي من أجل دفع المجتمعات العربية نحو التحرك التاريخي ، والتقدم نحو العالمية الحضارية من جديد بعد أفول طال أمده ؛ تبدد معه الصبر وتمدد فيه اليأس أو يكاد .

وقد حوت دراسة الباحث التي قدمها إلى كلية التربية بجامعة عين شمس لنيل درجة الماجستير ، سبعة فصول ، كان موضوع الفصل الأول الاطار العالم للبحث من حيث مشكلته ومسلماته وأهميته وحدوده ومنهجه ، وأما الفصل الثاني فقد تعرض فيه الباحث لحياة مالك بن نبي وعصره ومجتمعه . أما الفصل الثالث فقد عرض فيه الباحث الاتجاهات التغييرية في العالم العربي وأسسها التربوية ، وهي عنده الاتجاه الإسلامي بتقسيماته التقليدية والتوفيقية والشمولية ، والاتجاه الليبرالي بتقسيماته القومية والتوفيقية والمتوسطية ، كما عرض للاتجاه الماركسي . وفي الفصل الرابع قدم الباحث الاسس التربوية العامة للتغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي ، أما الفصل الخامس فقد حوى مفهوم الثقافة المربية ودورها في عملية التغيير الاجتماعي ، وتعرض في الفصل السادس للتربية الاجتماعية ودورها في اعادة البناء عند مالك ، واختتم الباحث رسالته في الفصل السابع بتقويم فكر مالك العام والتربوي والاجتماعي ، مع طرح للتصورات الختامية والاستخلاصات الهامة ■

وفي الفصل الثاني يتحدث الباحث عن حياة مالك بن نبي حيث قسم حياته إلى أربعة أقسام :

١ ـ **النشأة** (١٩٠٥ ـ ١٩٣٠م) في الجزائر في أسرة محافظة متدينة ، كان شغوفاً بالقراءة والاطلاع يميل إلى الصمت والوحدة ، زادته تمزقات الواقع العربي أسى وألماً ، أما مشاعره الانتمائية فكانت نتيجة توجيهات رجل الإصلاح المعروف عبد الحميد بن باديس .

٢ ـ **المرحلة الباريسية** (١٩٣٠ ـ ١٩٥٦م) حيث سافر إلى باريس بعد حصوله على الشهادة الثانوية ، بهرته مبتكرات العلم والتكنولوجيا الحديثة ، فدرس الكهرباء والميكانيكا والكيمياء ، وفي باريس كان يسعى بكل جهده إلى أن يقوي النزعة الوطنية في قلوب المغاربة والتونسيين والجزائريين ضد الاستعمار وأطماعه ، حتى أطلقوا عليه « **زعيم الوحدة المغربية** » ، وكانت أكثر همومه في تلك الفترة منصبة على هموم النهضة والتغيير في المجتمعات الإسلامية المتخلفة ، وفي فرنسا أيضاً تزوج وهو في السادسة والعشرين وقد سببت جملة نشاطاته المعادية للاستعمار أن أصبح تحت عين قوى الاحتلال ، فبدأ يعاني هو ووالداه الكثير من المتاعب ، عاد للجزائر وحاول توظيف خبراته في حل بعض المشكلات العلمية في المجتمع ، لكن قوى الاحتلال حالت دون ذلك ، فرجع لباريس مرة ثانية ليكون مديراً لمركز المؤتمر الجزائري الإسلامي للثقافة حيث عمل موجهاً تثقيفياً وتربوياً للعمال الجزائريين هناك ، ومنذ عام ١٩٣٩م تفرغ للعمل الفكري ، عمل صحفياً في جريدة اللومند ... وفي سبيل قضية بلاده اتصل بعشرات الباحثين والمفكرين والصحفيين والمستشرقين ، عكست كتاباته وسلوكياته الصورة الجديدة لإنسان العالم الثالث ، وتمكن من مخاطبة العقل الغربي بصورة جذبت الكثيرين منهم إلى الاهتمام بالإسلام إلى الحد الذي أسلم بعضهم فيه بباعث من كتاباته الإسلامية وخاصة كتابه « **الظاهرة القرآنية** » الذي أصدره عام ١٩٤٧م ، وفي باريس أصدر عدة كتب هامة هي : « **شروط النهضة** » و « **وجهة العالم الإسلامي** » و « **فكرة الافريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونج** » .

٣ ـ **المرحلة القاهرية** (١٩٥٦ ـ ١٩٦٣م) : الذهاب إلى مصر كان أملاً يراوده حيث كانت القاهرة تمثل مركز جذب هام لاحتضانها لقضايا العروبة والتحرر ، ولما كان مالك بن نبي عاش يبحث عن مواقع التغيير في العالم العربي الإسلامي ، فقد وجد في مصر أحد هذه المواقع الهامة ، وفيها اتصل بالكثير من المفكرين والعلماء المصريين ، وفيها أصدر كتبه : « **تأملات في المجتمع العربي** » و « **ميلاد مجتمع** » و « **حديث البناء الجديد** » ، وكانت القاهرة النافذة التي تحرك من خلالها إلى العديد

للتغير الاجتماعي عند مالك بن نبي

من الدول العربية ، فذهب إلى سورية ولبنان والكويت وطرابلس الغرب والسعودية ، وكانت هذه المرحلة بمثابة تقديم « **لابن نبي** » إلى العالم العربي .

٤ ـ العودة إلى الجزائر (١٩٦٣ ـ ١٩٧٣م) حيث تولى عدة مناصب عديدة منها : مستشار التعليم العالي ومدير جامعة الجزائر ومدير عام التعليم العالي ، وتركزت كتاباته في تلك الفترة على عمليات التغيير وإعادة البناء الاجتماعي في الدول الإسلامية ، وفي هذه الفترة أصدر كتبه التالية : « **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي** » و « **المسلم في عالم الاقتصاد** » و « **يوميات شاهد القرن** » . وفي الجزائر وافته المنية عن عمر ناهز الثامنة والستين .

أما عن العوامل التي أثرت في فكر مالك بن نبي ، فإن الباحث يرى أن عدة عوامل ساهمت في تشكيل وبلورة فكر الرجل فضلاً عن شخصيته منها :

العامل الأول يتعلق بالجانب التربوي الاجتماعي لحياة الرجل ، حيث ساهمت أسرته في قيمه المعنوية والأخلاقية ، وساهم وعيه المبكر في اختزان صور التمزق الاقتصادي والاجتماعي لبلاده ، والمفارقات الاجتماعية بين معيشة الأوروبيين ومعيشة أهل بلاده ، وقد أثرت ظروف القهر والتخلف على تكوينه النفسي فكان صامتاً متأملاً حاد الطبع كثير الريبة والشك ، إضافة إلى تأثره بمعلميه عبر مراحل تعليمه المختلفة .

العامل الثاني يتعلق بالمجتمع الفرنسي وتأثير الحضارة الغربية ، عن هذا العامل يرى الباحث أن فكرة الفاعلية التي ظهرت واضحة في تفكيره الاجتماعي والتربوي تعلمها من ممارساته الاجتماعية في فرنسا ، ثم إن انتقال « **ابن نبي** » من مجتمع متخلف علمياً إلى مجتمع آخر يتميز بالتقدم العلمي أثار فيه ولع التقصي لمعرفة أسباب الظواهر المحيطة به وبعالمه ، حيث لاحظ أن التنشئة لها دور كبير في بث الروح العلمية في نفس الطفل ، حيث تتألف ألعابه من أجهزة وأدوات ميكانيكية يعبث بها ويفككها ، وهكذا عززت هذه الانطباعات والمقارنات في نفس « **ابن نبي** » ضرورة العمل على إحداث التغيير العلمي والتكنولوجي ابتداءً من التربية والتنشئة الاجتماعية ، وإدخال العنصر العلمي والتقنين كجزء من المكونات التربوية للثقافة التغييرية .

وكان الجانب الجمالي للحياة الباريسية بما فيها من نظام وترتيب وتنسيق وقيم جمالية تسري في سلوكيات الناس وشؤون الحياة ، أدى دوراً كبيراً في تشكيله الذوقي وتصوراته الجمالية ، كما كان لتمتع زوجته الفرنسية (التي أسلمت) بذوق جمالي عالٍ أثر كبير في هذه الناحية أيضاً .

وكان للاستعمار وظاهرة الصراع الفكري الأثر الواضح في تكون شخصية الرجل ، حيث كان للانعكاسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية للمحتل الفرنسي انطباعها المحفزِ لوجدان وفكر « **ابن نبي** » فمنذ الطفولة وهو يسمع ويشاهد هجرة قومه عن مدنهم وقراهم بفعل الضغط الاستعماري من جهة ونتيجة لرفض مساكنة الأهالي مع المستعمر من جهة أخرى ، كما كان يتحسس التغييرات المفجعة التي كان يحدثها الفرنسيون في حياة الشعب الجزائري ، وما ينتج عن ذلك من فقر وجهل ومرض وإشاعة للمسكرات وتحطيم للتوازن الاجتماعي والاقتصادي وتكريس للفوارق بين المستوطنين الأوروبيين والأهالي وغير ذلك من الأمور التي يعددها الباحث للدلالة على أثر هذا العامل في تفكير الرجل .

وآخر العوامل يتعلق بالجانب الثقافي الذي أسهم في تشكيل وبلورة أفكاره مثل : قراءته للقرآن ، ودخوله المدارس الفرنسية واطلاعه على كتابات الغربيين ، وقراءته لابن خلدون والغزالي وطاغور ، واطلاعه على الجانب العلمي والتقني في الثقافة الغربية والكتابات الماركسية ، فضلاً عن المؤثرات الثقافية الإسلامية المتعددة .

أسس التغير الاجتماعي التربوية

■ ونحن إذا تجاوزنا الفصول الثلاثة الأولى التي تتناول شخصية مالك ومايتصل بها إلى مجال أفكاره وتصوراته نجد المؤلف في الفصل الرابع يتعرض لاسس التغيير الاجتماعي التربوية عند ابن نبي ، والمستهدف منها الوصول إلى حالة الحضارة ، ومقياسها عنده أن الحضارة هي التي تلد منتجاتها وليس العكس ، ولما كان مجمل الممارسات والأنشطة البنائية في العالم العربي تتسم بالطابع التكديسي ولاتنطوي على أهداف حضارية ، فعليه ينبغي ـ كما يرى ابن نبي ـ معالجة ثلاث مشكلات أولية للتغير الحضاري هي : مشكلة الانسان ، ومشكلة التراب (الامكانات الطبيعية) ، ومشكلة الوقت (عنصر الزمن) .

وعند « مالك » ان ايديولوجية التغيير واعادة البناء هي نفس ايديولوجية التغيير والبناء التي انطلق منها المجتمع العربي في صدر الإسلام ، إذ ان نهضة مجتمع ما ، تتم في

■ إن أيديولوجية التغيير وإعادة البناء هي أيديولوجية التغيير والبناء نفسها التي انطلق منها المجتمع العربي في صدر الإسلام إذ أن نهضة مجتمع ما تتم في الظروف العامة نفسها التي تم فيها ميلاده .

رسـائل جامعية

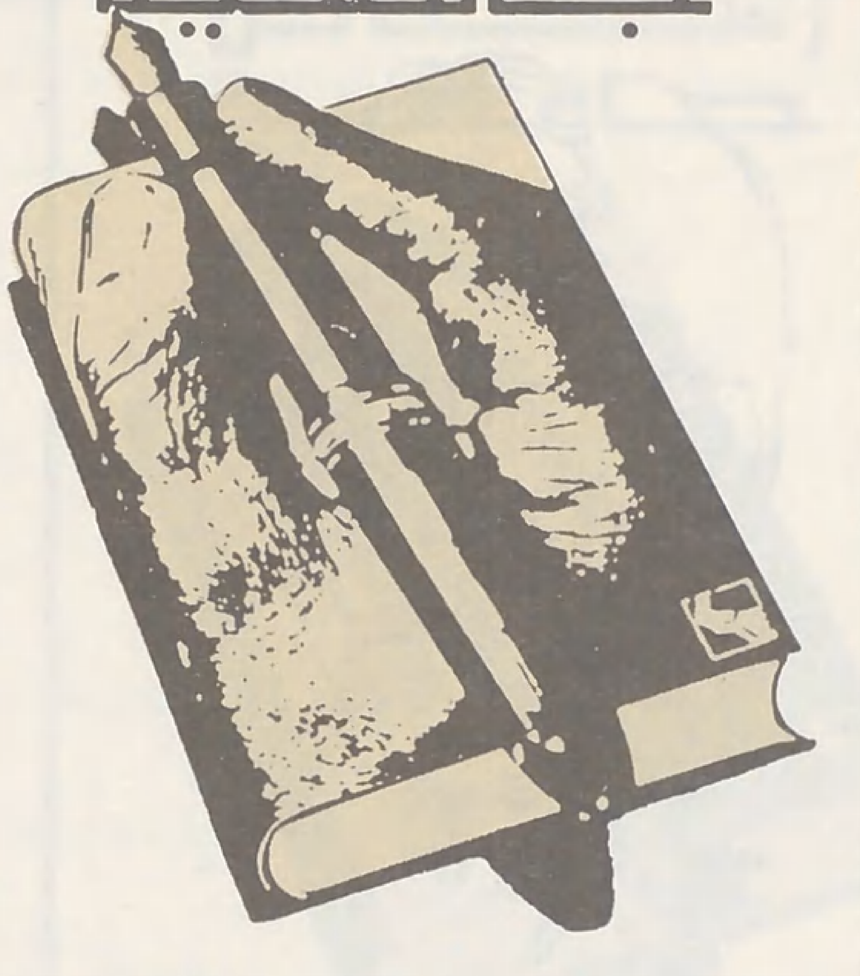

الإسس التربوية

نفس الظروف العامة التي تم فيها ميلاده على حد قوله ، وهذا يعني ان اعادة بناء المجتمع العربي الحديث يتقرر ضمن البنيه التي تشكلت خلالها الفكرة الإسلامية والتجربة التأسيسية للمجتمع الإسلامي ، وعلى هذا تكون الفكرة الدينية عنده هي نقطة الانطلاق لأي تغيير اجتماعي .

ويرى « **مالك** » ان أي حضارة تمر بثلاث حالات هي : **النهضة** (وهي مرحلة بداية الصعود التي تتمثل في سيادة الروح) ، ثم مرحلة **الأوج** (وهي مرحلة الانتشار والتوسع والتي تمثل سيادة العقل) ، ثم **الأفول** (وهي مرحلة الانحدار والتي تتمثل في سيادة الغريزة)

وقد فسر « **ابن نبي** » الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية بناء على مفهومه هذا للدور الحضاري ، ثم راح بعد ذلك يعدد المضمون التربوي لنظرية الدورة الحضارية هذه والتي تتمثل في مايلي :

١ ـ **بالنسبة للمرحلة الأولى :**

أهمية الدور التربوي الانقلابي للصفوة التي تعرف بالروح الجديدة ، والتي تكون ضمن عملية تربية اجتماعية عامة للمجتمع لاستشعاره لهذه الروح الجديدة .. وتحول هذه التربية الانقلابية إلى طاقة حيوية تمسك بالمجتمع ككل ، وهي مرحلة تربوية وليست تعليمية ، أي أنه يركز فيها على بناء الشخصية ، وليس على أساس من البناء العلمي .

٢ ـ المرحلة الثانية (مرحلة العقل) :

وتتمثل في خلق الحوافز العلمية التي يفرضها الاتساع والانتشار الحضاري ، والتفرع للاهتمامات المادية والعقلية نتيجة لتعقد حاجات المجتمع من جهة ولاتساع امتداداته من جهة أخرى . ويعقب ذلك صراع بين العقل والضمير يقود إلى المرحلة الثالثة .

٣ ـ المرحلة الغريزية :

وهي التي يعيشها المجتمع الإسلامي الحاضر ، ومنذ عدة قرون ، وهي علامة على منحى السقوط الذي تصنعه عوامل نفسية أحط من مستوى الروح والعقل ، ففي حالة انكماش تأثيراتها تنطلق الغرائز من عقالها ، ويظهر ذلك في سلوك المجتمع وأفراده على هيئة صراع بين العقل والضمير ، وسيادة اللفظية والجمود والسلبية والقابلية للاستعمار ، وفقدان الفعالية ، واختزان العوامل النفسية السلبية فيما وراء الشعور .

وينبه « **مالك** » إلى ان هذه المراحل الثلاث ـ ليست حتمية كما رآها « **ابن خلدون** » ، بل ان هناك فعل إرادي بمقتضاه يتم الانتقال الحر بين هذه المراحل الثلاثة متمثلة في الآية الكريمة :.

﴿ ان اللّهَ لايُغَيِّرُ مابِقَوْمٍ حَتّى يُغَيِّرُوا ما بِأنْفُسِهِمْ ﴾ .

وعلى ضوء هذا الدمج بين النظرية الدورية للتغير ، وإمكانية الفعل الإرادي ، تحدث « **ابن نبي** » عن الموجهات التربوية التالية والتي يعتبرها أسس التغيير الاجتماعي . وهذه الموجهات هي : **الفعالية كقيمة أساسية في التغيير والمضمون التربوي للأفكار التغييرية ، الاتصال باللغة المربيه ، التربية وخلق المبررات ، أهمية المجتمع كوسيط تربوي ، العلم والتعليم .**

الثقافة المربيـة

* **أما الفصل الخامس** : والذي يتعلق بالثقافة المربية التي تقود إلى التغيير الاجتماعي ، فان الباحث يبدأ هذا الفصل بتحديد معنى الثقافة في كل من الفكر الغربي والماركسي وفكر العالم الثالث المقسم بينهما ، ثم ينطلق بعد ذلك لتحديد معنى الثقافة عند « **ابن نبي** » ، والذي يرى ان الأفكار الغربية الليبرالية أو الماركسية هي أنعكاس لواقع معين ؛ سواء أكان هذا الواقع حضارياً أو ايديولوجيا ، وهذه الأفكار غير مجديه لواقعنا العربي ، وليس ذلك لخطأ هذه الأفكار بالنسبة لمجتمعاتها ، ولكن ذلك لعدم اتساقها مع أبعاد هذا الواقع العربي ، أما المعنى الذي يطرحه « **مالك** » للثقافة فهو :

مجموعة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه ، ولتكون هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته .

والثقافة عند « **مالك** » ليست مجرد علم يتعلمه الانسان في المدارس أو من الكتب ، بل هو جو من العادات والأذواق والقيم التي تؤثر في تكوين الشخصية وتحدد دوافع الفرد وانفعالاته وصلاته بالناس والأشياء ، وعنده ان الفرد لايدين بصفاته الاجتماعية لتشكيله المدرسي التعليمي ، بل لشروط تتعلق بوسطه الثقافي ، وعلى هذا فالثقافة ليست ظاهرة صادرة من المدرسة ولكنها خاصية عن البيئة ، وعلى هذا فالثقافة لاتؤخذ بالتعليم بل بالتنفس المتمثل في هذه البيئة ، والتخلف هي حاصل ضرب اللافعالية الفردية في مستوى مجموع الأفراد .

وعلى أساس هذا الفهم الديناميكي للثقافة ذهب « **مالك** » إلى استعراض أهم السمات السلبية السائدة في الثقافة العربية ـ الراهنة ـ والتي هي مظاهر لتخلفه ، وهذه السمات هي : اللفظية (تفريغ الكلمات من مضامينها فلاتنبىء عن عمل ونشاط بل مجرد ألفاظ مصوغة ، أو عدم التمييز بين الكلمة الفعاله والثرثرة) ، الفخر والمديح (أو التعويض باحاديث الماضي عن الواقع المفلس) ، الجدلية والتبرير (أي الاكثار من الوسائل التبريرية الملائمة للدفاع عن الذات دون البحث في الشروط الموضوعية للتحول الحضاري) ، والشيئية والتكدس (والاكتفاء ببعدي «الشيء» «والشخص» وافتقاد بعد الفكره) ، الرومانتيكية (أو سيادة نزعة الخيال التي تحول دون مواجهة الواقع ومشاكله) ، الاضطراب (أو الصراع بين الموروث والمستحدث في الثقافة العربية الراهنة) ، الذرية (أو اعتبار الواقع أكوام مجزئة لاتنطوي على قانون عام) .

ويرى « **مالك** » ان الثقافة كنظرية للتغيير واعادة البناء لابد وان تصاغ صياغة تربوية تعتمد على العناصر التالية :

١ ـ **التوجيه الجمالي** : **فالقبح يعبر أساساً عن تخلف في الثقافة ، وعندما تشاهد خرقا في كساء أحد المتسولين يجب ان تشعر بوجود خرق في ثقافتنا ، والاحسان صورة نفسية للجمال . والمضمون الجمالي في كرامة الفرد ، ويؤثر بالتالي على فعالية المجتمع . وعند التوجيه الجمالي في مجتمعاتنا يفترض ان يتضمن أولية المبدأ الأخلاقي كمحور تراعيه التربية الجمالية .**

٢ ـ **التوجيه الأخلاقي** : **ففعالية المجتمعات تزيد أو تنقص بمقدار مايزيد فيها تأثير الأخلاق أو نقصانها وما يعنيه هذا من التأكيد على مفاهيم الإخاء والتعاون ؛ ومبدأ الجميع للفرد والفرد للجميع ، وربط العلم بالأخلاق وغير ذلك .**

٣ ـ **المنطلق العلمي** : **ويقصد به العقل**

التطبيقي الذي يجسد الفعالية في النشاط سواء على صعيد الفكر أو العمل.

٤ ـ التوجيه العلمي والصناعي : والتغير والبناء الاجتماعي في جوانبه العلمية والصناعية متوقف عنده على المناخات والأسس الثقافية الخاصة بفرز الروح العلمية ، والتركيز على التوجيه المهني والصناعي ، بحيث يكون التوجيه العلمي والتقني ضمن تصميم ثقافة « نهضة » على نحو تربوي وتعليمي مدروس ؛ يجنب التعليم ونظمه معضلة المواءمة بين النقل والاستنباط .

إعادة البناء الاجتماعي

ويتناول الباحث في **الفصل السادس** مفهوم « **ابن نبي** » في عملية اعادة البناء الاجتماعي وماتتطلبه هذه العملية تربوياً ، حيث يعدد في البداية مأاورده «ابن نبي» عن ازمات الواقع العربي الراهن من محاولات التجريب المستمرة ، وعدم الاستقرار ، والغياب الديمقراطي ، والتفاوت في الغرض ، وغياب النظرية التعليمية الواضحة ، وارتجال الحلول البنائية دون الانتباه للتكوينات الدنيوية التحققية ، ظاهرة الشخصانية أو إرادة الزعيم الواحد ، وطرح نظم لاتعبر إلا عن فئة معينة أو زعيم معين ، والتي من الطبيعي ان تولد تسيباً في الاستجابة الاجتماعية لعامة المواطنين ، واستمرار الصراع بين القوة السياسية بصورة تشبه الصراع مع الاستعمار اثناء وجوده ، بالاضافة إلى الغموض الايديولوجي والتوزع الثقافي وبروز المؤسسة العسكرية ، واختفاء القاعدة الشرعية في ظل الهيمنة الديكتاتورية والعشائرية أو الفئوية ، كل ذلك من شأنه ان يكرس التمزق البنائي ويضعف شبكة العلاقات الاجتماعية ، الأمر الذي ادى إلى ان النظم الاجتماعية الموجودة غير مكتسبة لتقدير واحترام الجماعة ، الأمر الذي يجعلها غير مستقرة وغير ملزمة للجماعة ، وبالتالي فهي تكثر من الانحراف عنها ، كل هذا وغيره يبرز طرح مفهوم اعادة البناء الاجتماعي كمناظر موضوعي لمصطلح « **البناء الاجتماعي** » .

ثم يتطرق « **ابن نبي** » بعد ذلك للحديث عن الموجهات الايديولوجية لاعادة البناء الاجتماعي ، والذي يعتمد الإسلام كموجه لهذه العملية ، من حيث كونه عملية دافعية تشريعية في احداث التحولات الحضارية بمفهومه الشمولي ، ومايتطلبه هذا من تجنب الاستيراد التكديسي للممنتجات والافكار والتجارب عن حضارات اخرى ، والبعد عن الحلول احادية البعد ، ومايتطلبه ذلك من إعادة بناء الانسان كأساس تربوي لاعادة البناء الحضاري .

وبعد الحديث عن موجهات اعادة البناء ، يتحدث في اعادة البناء نفسه ، من حيث أبعاده : السياسي والاقتصادي والاجتماعي ومايتطلبه ذلك تربوياً ، حيث يركز في البعد السياسي على ان نتبع سياسة تتفق ووسائلنا ، وان نوجه بانفسنا وسائل سياستنا ، ومايتطلبه ذلك تربوياً من إعادة بناء الانسان سياسياً ، بحيث تكون التربية السياسية أكثر ضماناً لاطراد المسيرة السليمة .

أما من حيث البعد الاقتصادي الذي ينطلق من المفهوم الإسلامي لابقاء حركة الاقتصاد ، والذي يركز على الاكتفاء الذاتي من الغذاء واعطاء المواد الخام قيمتها المطلوبة في عمليات التبادل وعدم الاعتماد على رؤوس الأموال الاجنبية ، والذي يستهدف امرين أساسيين هما : **أن لقمة العيش حق لكل فم والعمل واجب على كل ساعد ، والاعتماد وحده على جهد وعمل ابناء الوطن** ، فهي أفكار مرحلية في اعادة البناء ، ومايتطلبه ذلك كله تربوياً من اعادة صياغة الوعي الفردي بالنسبة للانتاج والاستهلاك ، والاعداد المهني والفني ، والتشبع بروح التضحية والتقشف على المستوى المرحلي ، ومايتطلبه كل هذا من تهيئة نفسية واجبة .

أما عن البعد الاجتماعي فقد تحدث « **ابن نبي** » فيه من خلال ثلاث مستويات هي :

١ ـ المستوى الفردي : والذي تناول فيه ابعاد الانسان المختلفة المستهدفة التغير لاعادة بنائه ، والتي تشمل اخلاقه وتكييفه الاجتماعي ، وحريته وتمتعه بالنقد الذاتي .

٢ ـ المستوى الاجتماعي العام : والذي ينطوي على عدة مبادىء هي الواجب فوق الحق ومفهوم الزمن تربوياً ، وفكرة التخطيط ومعطياته التربوية أو تصفية القابلية للاستعمار ، وتصفية العادات المرضية كاستسهال الأمور أو الاعتقاد باستحالتها ، ومفهوم الديمقراطية تربوياً ، والمفهوم التربوي للتراث ، بالاضافة إلى عناصر المستوى الاجتماعي النوعي ومدلولاتها التربوية بالنسبة لمشكلة المرأة ومشكلة الأمية ومشكلة رعاية وتربية المغتربين .

٣ ـ المستوى الانساني : وطرح مفاهيم تكريم الأنسان ، وفكرة الخير وتصنيف دوائر الحضور الدولي ، وفكرة الحوار والتعايش مع الشعوب .

*** وفي الفصل الختامي ، والخاص بتقويم فكر ابن نبي ، فقد سلك فيه الباحث منهجاً نقدياً تناول فيه ابرز الأفكار والقضايا التي طرحها « ابن نبي » المتعلقة بفكره العام الحضاري والتغييري ، وذلك اعتماداً على المعايير التالية :**

١ ـ معيار داخلي يقوم على تلمس مدى الاتساق بين افكاره ومعالجاته من خلال النظرة الكلية لتلك الأفكار والمعالجات .

٢ ـ معيار موضوعي يقوم على محاولة التعرف على القيمة النظرية والعملية لأفكاره ومعالجاته ، وقياس مدى فاعليتها على ضوء حاجات المجتمع وبالمقارنة مع مضامين وتجارب الاتجاهات الفكرية التي ظهرت في العالم العربي الحديث .

٣ ـ معيار ايديولوجي يؤمن به الباحث ـ كما يؤمن به ابن نبي ـ وهو الإسلام كايديولوجية تغييرية ، وأساساً تشريعياً وصياغياً لعمليات إعادة البناء ، وعلى هذا فالمضامين الفكرية البنائية للاسلام ستكون معياراً لتقويم المضامين والأهداف التي انطوت عليها أفكار ابن نبي .

ومع التزام الباحث بالمعايير السابقة ، الا ان رؤياه الخاصة تظل غير منفصلة عن العملية التقويمية ، إذ أنه في حقل الدراسات الانسانية والاجتماعية لا يمكن أن يكون الباحث بمعزل عن نفسه .

■ المراحل الثلاث للدورة الحضارية ليست حتمية كما رآها ابن خلدون .. بل إن هناك فعل إرادي بمقتضاه يتم الانتقال الحر بين هذه المراحل .

عندما يغتال الجفاف

بقلم : عبد القادر سيلا

■■ في المصطلح الجغرافي يعني الساحل : المنطقة الواقعة ما بين الصحراء الكبرىٰ وأفريقيا الاستوائية ؛ وتمتد من البحر الأحمر شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ويناهز تعداد سكانها ثلاثين مليون نسمة ، وتضم ثماني دول وهي :

مالي ، وموريتانيا ، والراس الأخضر ، وغامبيا ، والنيجر ، والتشاد ، وفولتا العليا والسنغال . ولن نتأخر أن نلمح إلى أن كل هذه الأقطار عضو في منظمة المؤتمر الإسلامي وأنها تقطنها أغلبية إسلامية ساحقة باستثناء جمهورية الرأس الأخضر . وتعطي هاتان الحقيقتان ـ لا شك ـ أبعاداً خاصة لآفة الجفاف في الساحل ؛ حيث وجدت فيها الإرساليات التنصيرية الصليبية فرصة ذهبية للتسلل إلى المجتمع الإسلامي بهذه المنطقة مستغلة وضع المسلمين المتردي . وقد تأتّى لها ذلك بسبب غياب المنظمات الإسلامية عن الساحة الكفيلة بتقديم معونة ما ، وصادفت المنظمات النصرانية ارضية صالحة لتنفيذ مخططاتها لا سيما أن دول الساحل تحتل مركزاً من سلم التخلف لا تحسد عليه . إذ هي من بين الأقطار الأقل نمواً والأكثر فقراً في العالم .

على أن الساحل عبارة عن سهول مترامية وكانت تتوفر فيها المراعي الخصبة وتكثر فيها الحيوانات ، وكانت تُعطي لزائرها مناظر خلابة من حقول الفول السوداني والأرز والذرة ... والتي كانت تشبه في سنى الازدهار بُسُطاً من الأقاحي ؛ أما اليوم فقد تحولت المزارع الخضراء والمراتع النضرة إلى صحراء جرداء لا تقدم لناظرها سوى حشائش يابسة وأعشاباً متهشمة تذروها الرياح ، وأشجاراً يبست وتساقطت أوراقها ولم يبق على أديم الأرض إلّا شجيرات ذات اشواك تطاول بيأس عوادي الطبيعة القاسية .

ما هي حقيقة الجفاف ؟

إذا كان الجفاف يعني أصلاً تناقص الأمطار أو فقدانها فإنه ـ في منطقة الساحل ـ عبارة عن عدة عوامل طبيعية وغير طبيعية تتشابك وتتفاعل فيما بينها بحيث يصبح السبب مسبباً والعكس بالعكس . وكانت الأقطار القليلة الحظ تتلقى (٣٠٠)ملغم من الأمطار ؛ في حين لا تنال اليوم تلك التي كانت تتلقى كمية وافرة من الماء أكثر من (١٠٠)ملغم . وبدهي أن ينجم عن ذلك تقدم رمال الصحراء ، ويترتب على هذه الظاهرة هبوط ملموس من النسبة السنوية من هطول الأمطار .. وهكذا نجد أنفسنا في حلقة مفرغة .

ومما زاد الطين بلة أن الجفاف لا يبرح يزور الساحل بشكل متواصل فلا يكاد يرحل عنه حتى يعود ؛ الأمر الذي جعله يخلف ضحايا عديدة من البشر والحيوان .

عواقب الجفاف

كل ذلك ليس سوىٰ نتيجة للتغيير المخيف الذي حدث فجأة في البيئة الطبيعية للمنطقة بفعل تحويل المناخ الممطر « السافانّي » إلى مناخ غير ممطر والبيئة « السافانيَّة » إلى بيئة صحراوية قاحلة ؛ فأصبحت رمال الصحراء تكسو الواحات الخصبة وتردم مساحات واسعة من الأراضي الصالحة للزراعة مما صعَّد عملية التصحير . ويؤكد الخبراء بهذا الخصوص أن الرمال غطت خلال (١٥) سنة (٤١٢٢،٥) مليون هكتار . وهذه الحالة أفضت إلى تناقص كبير في مياه الأنهار المتواجدة في الساحل وارتفاع نسبة ملوحة التربة بدرجة استحالت الفلاحة في جنباتها .

وأودت ندرة الماء بحياة آلاف الحيوانات كما أدَّت إلى هجرة جماعية نحو المدن فاستفحل بذلك تازم الوضع الاقتصادي في الساحل الذي سجل في هذه السنة عجزاً كبيراً في الحبوب بلغ مليون طن ، وتجاوز عجز جمهورية السنغال وحدها ـ حسب تقديرات منظمة التغذية والزراعة والبرنامج العالمي للتغذية ـ (٣٠٠,٠٠٠) ثلاثمائة الف طن . وأحصت المنظمتان كذلك في ذات البلد مليوناً وعشرة آلاف شخص من منكوبي الجفاف يعتمدون أساساً على المساعدات التي تقدم إليهم .

وأدت ديمومة الجفاف على الدول الثماني إلى أن فكرت في تنظيم نفسها وتنسيق نشاطاتها الهادفة إلى مكافحة الجفاف في المدىٰ القريب والبعيد .

منظمة إقليمية لمقاومة الجفاف

تأسست لجنة من دول الساحل لمكافحة الجفاف لتنوء بمهمة التعريف بهذه الآفة والعمل على محو آثارها . ومن الواضح أن هذه الدول في وضع اقتصادي صعب لا تستطيع بأي حال من الأحوال أن تفي بحاجات سكانها الآنيَّة المتمثلة في توفير الغذاء والماء الضروري لها ، ولا أن تنفذ مشاريعها الهادفة إلى السيطرة على مشكلة الماء ... فوجهت نحو المجتمع الدولي نداءً عاجلاً لمساعدتها .

ويتلخص برنامجها في سعيها من أجل الحيلولة دون تقدم الصحراء باعتباره أحد عوامل الجفاف وذلك بغرس المناطق التي ابتلعتها الرمال واختفت نباتاتها وحيواناتها بالشجر ، وبناء حواجز من الكثبان تمنع من طمر الأراضي الصالحة للزراعة ، وحفر الآبار بعدد وافر وتشجيع مزروعات سريعة النضج ، والعمل لإعادة البيئة الطبيعية إلى سالف عهدها ، وتجديد الثروة الحيوانية .

المسلمين في أقطار الساحل

ويتمحور كل ذلك حول انتهاج سياسة مركزة في مسألة السيطرة على مصادر الماء بواسطة بناء السدود على الأنهار المتوفرة وتحلية مياه البحر، والتقليل من استهلاك الحطب كمصدر للوقود باعتباره عاملاً من عوامل التصحير واستبداله بطاقة قابلة للتجديد.

وتقدر تكاليف هذه الخطوة البعيدة المدىٰ بحوالي تسعمائة وعشرين مليارا من الفرنكات الافريقية .. أي ما يعادل مليارين وثلاثمائة مليون دولار أمريكي.

لا شك أنه ليس بمقدرة دول الساحل تمويل تلك المشاريع ذاتياً، وإلى حين الحصول على المبالغ المطلوبة فإنها اكتفت - لمواجهة الوضع الراهن - بوضع برامج محدودة تهدف إلى تلبية حاجيات مواطنيها المستعجلة وهي توفير الطعام اللازم والماء والعلف.

نـداء ملح إلى المجتمـع الـدولي

وهكذا وجهت دول الساحل نداءً ملحاً إلى المجتمع الدولي تلتمس فيه مساعدة عاجلة لمواجهة مجاعة محققة بدأت تجتاح المنطقة. وقد وجد النداء صدىً طيباً لدىٰ عدة منظمات عالمية منها هيئة الأمم المتحدة والتنظيمات التابعة لها، ومنظمة المؤتمر الإسلامي التي التزم بعض أعضائها بتقديم معونة إلى ضحايا الجفاف بالساحل، وكذا جمعية الصليب الأحمر الدولي.

مصـائب قـوم عند قـوم فوائـد

ويتدخل مباشرة في الساحل عدد وافر من المنظمات النصرانية لتقدم مساعدات إلى منكوبي الجفاف بأنواع مختلفة؛ تكون حيناً مواد غذائية وملابس وأدوية، وحيناً آخر تقوم بخدمات اجتماعية مختلفة - تارة بحفر آبار وتنظيم وحدات إنتاجية - وتارة ببناء ملاجىء للمعوزين ... وأهم تلك الهيئات هي:

● منظمة «كاريتاس» KARITAS وهي هيئة عالمية نصرانية لها فروع في كل بلد فيه نصارىٰ، وتزعم أنها تعمل من أجل إسعاف ضحايا الكوارث الطبيعية في كل بقاع العالم. وعقدت حديثاً اجتماعاً بمدينة داكار، عاصمة جمهورية السنغال، في ١٠ مارس (آذار) ١٩٨٤م خصص لدراسة احتياجات المنكوبين في هذا البلد الذي تبلغ فيه نسبة المسلمين ٩٥٪، وما يمكن أن تقدمه هي من مساعدات، وتجدر الإشارة إلى أن «كاريتاس» هذه تختار عيِّنات من قرى المسلمين النائية تهيء فيها ظروفاً لقابلية التنصر بين سكانها مقابل علب السردين وبعض الكيلوغرامات من الأرز والدقيق.

● لم تكن «كاريتاس» المنظمة الوحيدة في الميدان .. بل وجد إلى جانبها نادي «روتري» يقوم بدور لا يستهان به إذ يقوم بتقديم معونات إلى ضحايا الجفاف. وهو، كما هو معروف، منظمة ماسونية تحقد كثيراً على الإسلام..

● يضاف إليها نادي «ليونس» ومنظمة «أرض الرجال»، وتلك المعروفة بالحروف اللاتينية S.O.S. [س . و . س].

وهكذا كانت إصابة بلدان إسلامية بهذه الآفة فرصة اهتبلتها منظمات مشبوهة في حقيقة هويتها للتسلل - باسم التضامن الإنساني - إلى عقر دار الإسلام ناشرة دعواتها التخريبية. ولكي تؤثر في نفوس المسلمين تومىء بإلحاح إلى تخاذل الهيئات الإسلامية في الوقت الذي تختلق الفرص مع المنكوبين وتهب لمساعدتهم. ولو كانوا نصارىٰ لاختلفت نوعية وكمية مساعدتها لهم.

وفي الواقع، ترك غياب العمل الإسلامي في مناطق الجفاف فراغاً هائلاً تجهد المنظمات النصرانية نفسها لملئه محاولة إيجاد موطىء قدم لها في منطقة طالما قاومت الحركات التنصيرية منذ عهد الاستعمار..

ونحن نخشى أن يكون من شأن توطن الجوع والعطش والمرض والحرمان بكل أشكاله أن تلين بعض القلوب الضعاف أمام الادعاءات المعادية للإسلام.

على أن بعض الدول الإسلامية قد قدمت معونات إلى أقطار الساحل لكنها للأسف مساعدات رسمية قد لا تصل دائماً على الوجه الأمثل إلى مستحقيها؛ بينما تقوم المنظمات النصرانية بتوزيع ما تقدمه من مساعدات بواسطة فروعها المتواجدة في البلدان المنكوبة؛ وبذلك تحقق ما تصبو إليه من اتصال مباشر بالمسلمين وتأكد من انتفاع المتضررين الحقيقيين بالمعونة.

كم نود أن تقدم جمعيات إسلامية غير حكومية - وهي ولله الحمد متواجدة بكثرة في عالمنا الإسلامي - على بذل بعض الجهد لمساعدة ضحايا الجفاف في الساحل. ويكون في ذلك خير عميم؛ إذ من شأنه أن يقيم حاجزاً دون نجاح النصرانية في احتواء بعض المسلمين ويخفف من ناحية أخرىٰ من وطأة غوائل الجوع والعطش عليهم.

ويحسن بنا أن نشير إلى أن تقاعس بعض المنظمات الإسلامية ناتج عن عدم سريان الخبر بين الأقطار الإسلامية بشكل مُرضٍ.. نرىٰ مثلاً المسلم السنغالي يجهل ما يعانيه أخوه في بورمانيا أو كامبوجيا أو بنجاب. في حين أن هذه الأمة جسم واحد إذا اشتكى جزء منه تداعى له باقي الأعضاء.

■■ القس (هوارد بلس) هو ثاني رئيس للجامعة بعد المؤسس (دانيال بلس) الذي حوَّل (الكلية الإنجيلية السورية) التي أقيمت عام ١٨٦٦م ، إلى جامعة ؛ واستلم (دانيال بلس) دفَّة القيادة في هذه المؤسسة التنصيرية الضخمة من عام ١٨٦٦م إلى عام ١٩٠٢م ، ثم جاء بعده كاتب مقال (المبشر العصري) القس (هوارد بلس) من عام ١٩٠٢م إلى عام ١٩٢٠م ، وكان المقال خلاصة تجاربه ونشاطاته التنصيرية .

نشر المقال للمرة الأولى عام ١٩٢٠م في مجلة أمريكية هي (أتلنتك مانثلي) ثم جعله رئيس الجامعة الأمريكية الأسبق (ستيفن بنروز : ١٩٤٨م - ١٩٥٤م) الفصل الحادي عشر في كتابه : « حتى تكون لهم حياة That They May have life » ■■

بقلم : د. نبيـــل صبحي

تخريب منظم لعقول الناشئة في المجتمعات الإسلامية

(عرض وتعليق على مقال « المبشر العصري » بقلم هوارد بلس رئيس الجامعة الأمريكية الأسبق ببيروت)

ماهي الجامعة الأمريكية ببيروت؟ وما هو دورها المرسوم ؟

يقول (هوارد بلس) في تعريفه بها :

« هي مؤسسة تبشيرية متميزة ، وهي أنموذج مطابق تماماً للكليات والمشروعات التبشيرية الأخرى ، ليس لها ، بالتأكيد ، علامات مشروع تبشيري تقليدي .. ولكنها في الوقت الذي تسخر فيه جهودها لإعطاء الطلاب تربية عصرية صلبة (!) ، وتصنع منهم مهنيين فاعلين ... ، لا تعتبر - أي الكلية - أن واجبها قد بدأ حقاً - ولم ينته بالتأكيد بعد - حتى تعلم طلابها ما تتمسك هي به كقيمة أسمى في الحياة ، وهو : أن تبني المثاليات النصرانية هو الأسلوب الأفضل لتحضير الإنسان ليلعب دوراً ذا قيمة في الدراما العظيمة للحياة » [صفحة ١٨٠ - ١٨١ من الكتاب] .

ويستمر (**بلس**) في التوضيح الكامل لأهداف المنصِّرين قائلاً :

« وبمقدار العمق والشغف في إيمان الكلية بقيمة معتقدها برسالة يسوع إلى العالم فهي مستعدة ، بالمقدار نفسه من العمق والشغف ، لإقناع طلابها بتمثل وهضم هذه المثاليات في ملعب الرياضة وفي قاعة الدرس ، وفي الحياة الاجتماعية **والدينية** (!) ، وفي المجتمعات التي يعيشون فيها في معابدهم وبيعهم **ومساجدهم** (!) ، في محاكمهم ودور المحاسبة ... وفي كل مكان » [صفحة ١٨١] .

و (**المستر بلس**) أذكى من أن يهتم بالإطار الخارجي ، مثلما يفعل كثير من المسلمين اليوم مع الأسف ، بل غايته المحتوى ، لذا ليس مهماً لديه أن يُغير المُبَشَّر - بفتح الشين - دينه خطياً أو شفهياً طالما تبنى (**وجهة نظرهم**) في كل شيء : من التربية ... إلى السياسة ، اسمعوه يقول :

« وعندما يلزم إنسان نفسه - مع ، **أو بدون التغيير الحاصل في انتسابه الديني** - يتأكد المُنصِّر أن قوة قد بدأت وستفعل المعجزات (!) في عالم هذا الإنسان : في محيطه الشخصي والمدني والمجتمعي وميدان العلاقات السياسية (!) ... وهذه خميرة مخبأة ... وكل شيء بعدها .. سيتخمر » [صفحة ١٩٤] .

والخطورة في كلام (**بلس**) هذا ، والذي قيل عام ١٩٢٠م ، أنه حاصل الآن على المستوى الفردي والمستوى العام ؛ ومآسي لبنان اليوم هي من (**الخمائر**) المخبأة والمعلنة .. وإليكم بعض الأمثلة الواقعة المحزنة :

١ - بعض المُنصرين - بفتح الصاد - احتفظوا باسمهم المسلم وتنصَّروا ، ما عدا ذلك ، في كل شيء من التربية .. إلى السياسة » كما قال

■ مؤلف الكتاب : ستيفن بِروز ■

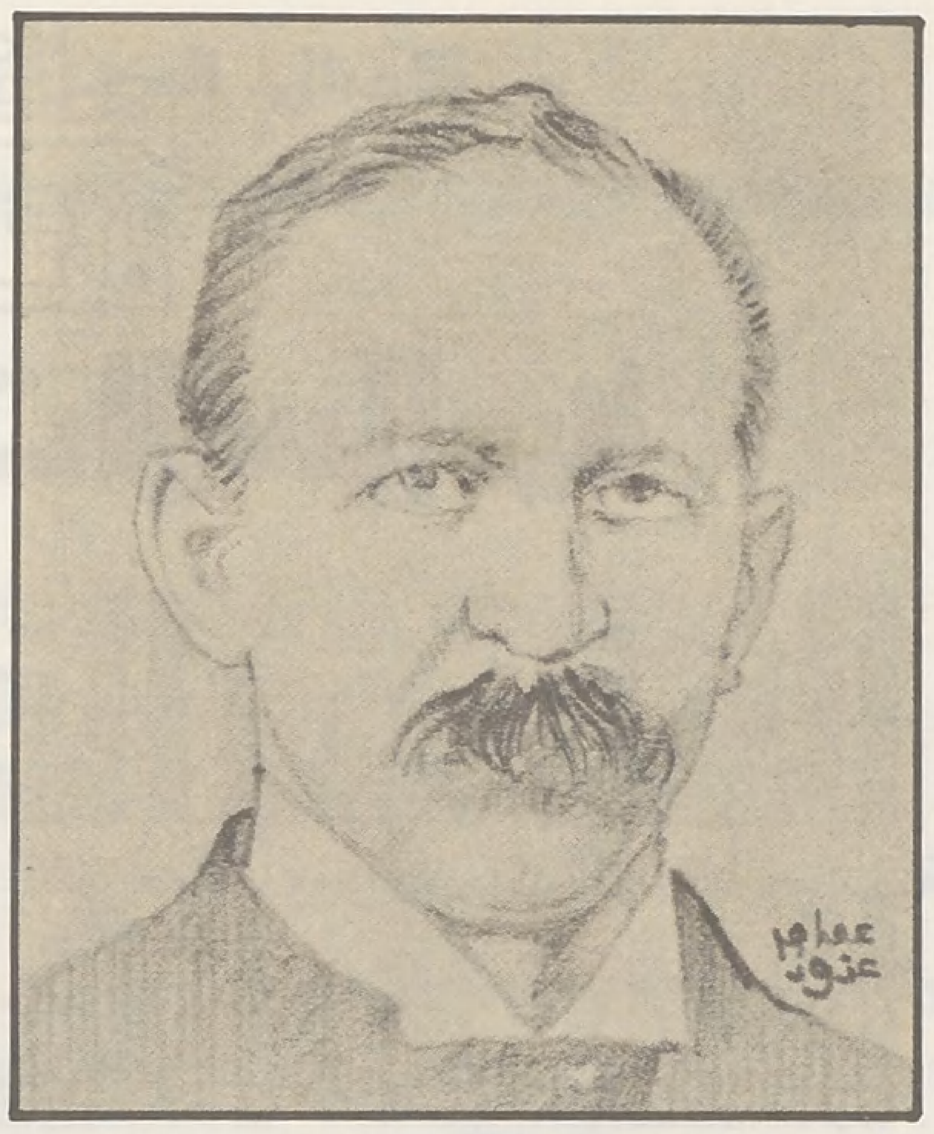

■ كاتب المقال : هوارد بلس ■

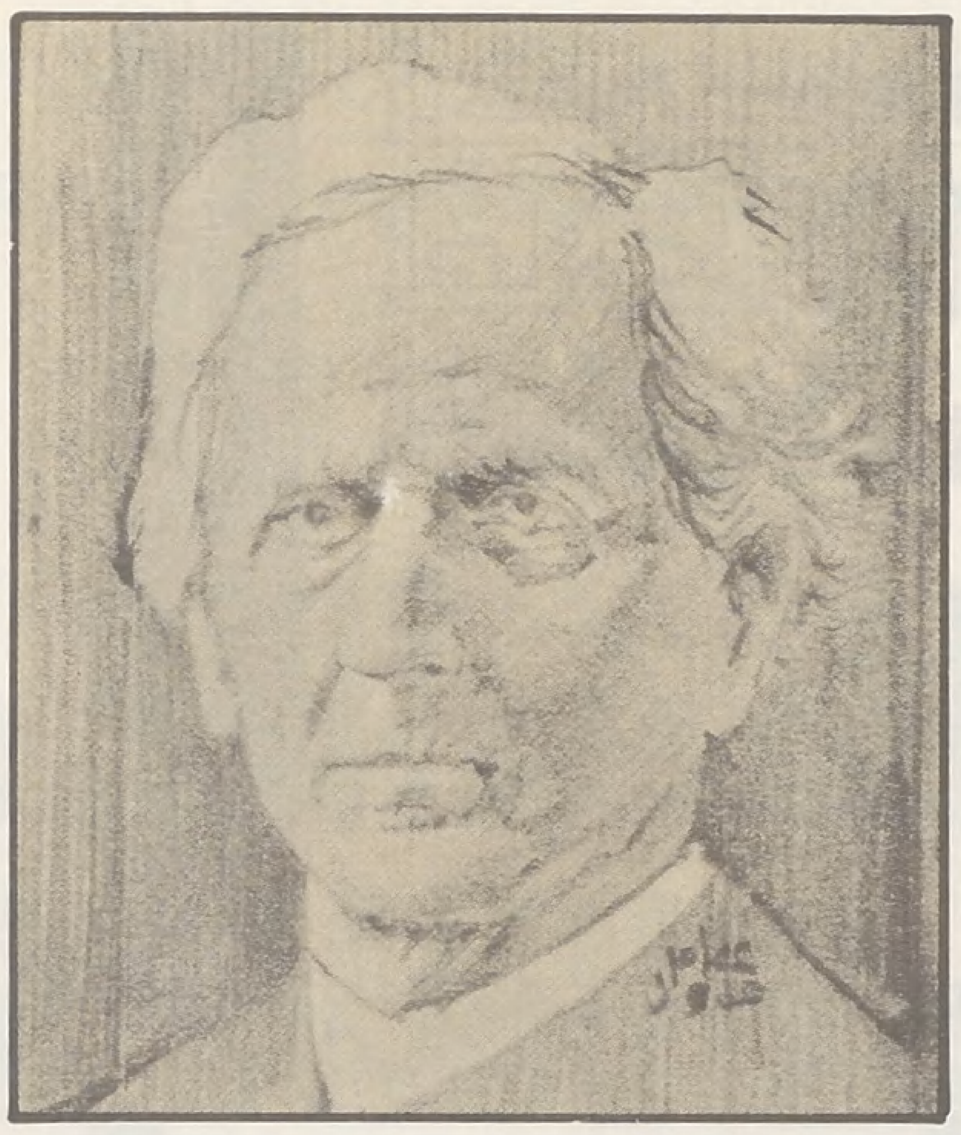

■ مؤسس الجامعة : دانيال بلس ■

بلس ؛ وهناك (مُنصِّر) كان يشغل حتى الأمس القريب منصباً وزارياً ذا حقيبتين في بيروت ، ومن السخرية أنه جاء ممثلاً لطائفته المسلمة ، وهو في الحقيقة **(إنجيلي)** نشط منذ كان طالباً ثانوياً في المعاهد التنصيرية ، ... ولا يزال أستاذاً (كبيراً) في الجامعة إياها .

وهذا ، لعمري ، تكرار ـ على المستوى الفردي ـ لحركة **(الدونمة)** التي قامت في قلب الدولة العثمانية ولا تزال تنخر بخبث ولؤم وسرية في المجتمع التركي المسلم .

٢ ـ إن جذور مأساة لبنان ، كما ذكرت ، هي في التخريب التربوي الذي قام به ـ ولا يزال ـ المُنصِّرون الغربيون بجميع طوائفهم وفرقهم من فرنسيين وأمريكان وإيطاليين وانكليز .. وليس هناك دولة غربية كبيرة لم يكن لها مؤسسات تعليمية ثقافية في لبنان .

ولم تقم « **المسألة الشرقية** » أصلاً في أذهان أقطاب الاستعمار الصليبي خلال ضعف وانحلال الدولة العثمانية إلا على أساس التدخل المباشر في بنية المجتمع في بلاد المسلمين لتفتيتها على محاور عرقية ودينية وطائفية ؛ وأثير موضوع « **الأقليات** » في القرنين الماضيين ، مواكباً تزايد نشاط الإرساليات التنصيرية الذي بلغ أوجه في الحقبة الاستعمارية المزدهرة ! ، ولم يكتف المنصِّرون بتلقين (**غير المسلمين**) دروس التميز عن المجتمع الشرقي بدعوى انتسابهم إلى الحضارة الغربية ـ كذا ـ وانفصالهم عن خلفياتهم العربية الأصلية ، و **(تعاليهم)** على مواطنيهم من المسلمين ، وإثارة الكراهية والحقد بين أبناء البلد الواحد ـ كما يقول ويفعل الانعزاليون الآن في لبنان ـ أقول : لم يكتفوا بكل ذلك بل كثفوا جهودهم التنصيرية في مجال الأقليات الطائفية المسلمة لتمزيق وحدة الأمة ، وآزرهم في ذلك كل أعداء الإسلام من صهاينة وماركسيين ورأسماليين استعماريين ، حتى وصل الأمر إلى ما هو عليه الآن من التفتت والفرقة والنزاعات الدموية الوحشية .. ولا حول ولا قوة إلا بالله .

لماذا يرتكز التنصير الصليبي على المؤسسات التربوية ؟

يجيب (**هوارد بلس**) على ذلك قائلاً : « الواقع أن الفائدة الرئيسة التي تقدمها الكلية للمنصِّر كحقل غني لنشاطاته ، هي في الحقيقة أن بدائرته جسماً مختاراً من الشباب قادة المستقبل في بلادهم ، ينفردون بالاستجابة لفكر جديد في الأخلاق والدين والمثل » [صفحة ١٨٤] .

ولقد نجح التنصير في **(طبخ)** قادة كثيرين تسللوا ـ ولا يزالون ـ إلى مراكز السلطة في العالم المسلم كله تقريباً . ولقد وصل فعلاً خريجو الجامعة الأمريكية ، ممن غسلت أدمغتهم ، إلى المناصب القيادية في أكثر البلاد العربية .

يقول **(بلس)** : إن الجامعة « توفر مناخاً نفسياً لا يستطيع واحد الإفلات من تأثيره ، والطالب لا يعي حقاً التغييرات الحاصلة دائماً في داخله ، وقد يُنكر ، بكل نية حسنة ، أنه يتأثر تأثيراً شديداً بمحيطه . وثمرة هذه البذرة قد لا تأتي إلا بعد مدة طويلة من مغادرة الطالب للكلية » ويتابع **(بلس)** : « ... وحيثما يذهب هذا الرجل يمهد الطريق للتربية ويهدم الطغيان ـ كذا ـ وليخفف حدة التعصب ـ ويقصد تعصب المسلمين .. طبعاً ـ ، والدعوة لحرية الدولة والكنيسة (!) ، وأمثلة بلغاريا وتركيا واليابان والهند شهادات كافية على ذلك » [صفحة ١٩٣] .

وحتى لا يشك أحد أن الكلام عن تحضير **(القادة)** في الشرق الأوسط هو من تأويلنا لنستمع لما قاله **(بلس)** بلا جمجمة ولا غمغمة ولا **(رتوش)** :

« ... ولكن مبشرنا يسعى إلى أمور محددة أكثر من هذه التأثيرات الحاصلة بطريقة لا شعورية ، فبين آلاف الطلاب ـ وكلهم يستحقون التربية ـ فئة صغيرة من المتحمسين الجادين ... قادة المستقبل في الشرق الأدنى ... هؤلاء هم الذين يدربهم مبشرنا ليصبحوا أساتذة وأطباء وتجاراً وصيادلة وأطباء أسنان ومهندسين وممرضين من الرجال والنساء الذين يتجاوبون بوعي أكثر واستعداد أكبر من باقي زملائهم مع المناخ النفسي للكلية وهم يُحَضَّرون بطريقة محددة ليصبحوا مراكز الأضواء والقيادة في كل هذه المنطقة » [صفحة ١٩٣ ـ ١٩٤] .

« ... وهناك طلب شديد لخدمات هؤلاء الخريجين وهناك ألفان وثمانمائة منهم(*) ، وهؤلاء هم الذين تحدث عنهم بحرارة ، وأسبغ عليهم المديح : (**اللورد كرومر**) و (**اللورد كيتشنر**) و (**السير إلدون**

تخريب منظم لعقول الناشئة في المجتمعات الإسلامية

غورست) و (السير ريجنالد ونغث) و (الفيلد مارشال اللورد اللنبي)(**) لأعمالهم الرائعة (٩) في مصر والسودان » [صفحة ١٩٤] .

استراتيجيــــة المنصِّرين !

يبدأ نشاطهم في دوائر واسعة ثم يركزون في إطارها على دوائر أصغر ، وهكذا ينتقل القس (**هوارد بلس**) من دائرة الفئة الصغيرة من « المتحمسين الجادين قادة المستقبل في الشرق الأدنى » إلى دائرة أضيق ، فبعد أن يشعر بالامتنان العميق لرواج (**سوق**) خريجيه الذين درَّبهم ، هو وصحبه ، على عينه ، يقول : إن **أمله** الرئيس هو في مجموعة أصغر من الطلاب الذين يرتدون عن دينهم :

« لهذا كله يشعر المنصِّر بالامتنان العميق ... إلَّا أن أمله الرئيس يتعلق بمجموعة أصغر ، مجهولة العدد بالنسبة له ، إلَّا أنه يسعى ويصلي كل يوم من أجل زيادة عددها ، ... **مجموعة الذين اتخذوا القرار** (!) بذكاء وحرية وإخلاص كامل ... قرار الحياة كأبناء للأب الكبير في روح يسوع المسيح » [صفحة ١٩٤] .

ويُذَكِّر (**بلس**) الحركات التنصيرية بأن العمل في مجال التنصير صعب شاق وبحاجة لتضحيات بالمال والراحة والروح . وأشهد أنني سمعت وقرأت وشاهدت بنفسي استماتة بعض المنصِّرين في أداء أعمالهم في أقسى الظروف ؛ وبعضهم ماتوا في أفريقيا وآسيا على أيدي قطاع الطرق أو ضحايا حروب أهلية قائمة أو بأمراض مستوطنة خطيرة .

وحتى لا نبخس الناس أشياءهم يجب أن نعترف بخجل ، أن بعض المنصِّرين هم أشد حماساً ومراساً وأكثر اندفاعاً وتضحية من بعض من « **يدَّعون** » الدعوة للإسلام بالكلام الكثير والمؤتمرات المتعددة !! والزيارات القصيرة المرتجلة لبعض « **وجهاء** » المسلمين إلى أماكن البؤس والحرمان والتخلف في العالم المسلم في أفريقيا وآسيا وما يعقبها من تصريحات ... لا تستطيع مواجهة تخطيط المنصِّرين الذين استوطنوا العالم الثالث منذ مئات السنين ، وهم يعملون بدأب وصبر وعناد .

وينصح (**بلس**) المنصِّرين بتغيير لغة التنصير حسب الزمان والمكان والثقافة والديانة ؛ ولعله من المفيد في هذا المجال تذكير من يتطوعون من المخلصين للدعوة الإسلامية أن يكونوا على مستوى العصر في أساليب الدعوة ، فلقد أصبح الأسلوب التقليدي عقيماً تقريباً ، ولا يزال بعض الطَّيِّبين يعتقد ، لسوء الحظ ، أن إلقاء خطبة حماسية - لا يبقى تأثيرها في العواطف المدغدغة إلَّا ساعات قلائل - هو الأسلوب الأمثل . إنه استنقاع على طريقة بالية ليس لها مردود عملي ؛ فكل إثارة للعواطف دون محاولة التركيز على تحويل هذه العواطف الخيِّرة إلى قدرة فاعلة واعية هو مضيعة للجهد والوقت ، فمتى يستفيق هؤلاء على الواقع الذي تجاوز هذه الأساليب ؟

ثم إن مجالات عمل التنصير تشمل أكثر ميادين الحياة ، ولهم وجود دائم في الأجواء الاجتماعية والاقتصادية والتربوية والرياضية والصحية والسياسية ، فإرسال بعض علماء المسلمين - وأكثرهم لا يتكلم لغة البلد التي يزورها - للتدريس في المسجد بعد صلاة المغرب مثلاً ، لا يفي وحده بالغرض ؛ هناك المدرسة والجامعة والمستشفى والميتم والنوادي والفعاليات الاقتصادية ، وأجهزة الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة ، وهناك التبرعات الدائمة الضخمة للمنصِّرين ، والبعثات والخبراء الذين يتغلغلون في الأجهزة الدولية بمختلف فروعها ، وهناك دوائر المعونات وجمعيات الإسعاف والمؤسسات الخيرية والصليب الأحمر ، والمساعدات الغذائية ورعاية اللاجئين ، ومئات الوسائل الأخرى التي لم يترك التنصير موجةً عالية منها إلَّا ركبها في سبيل إنجاح باطله . لذا فالترهل - الجسمي والذهني - في بعض المسلمين غير قادر على مواجهة هذا الطوفان من الفاعليات التنصيرية المستمرة ، بالتصريحات ... وبعض التبرعات الوقتية المرتجلة التي لا تُغني من جوع ، بل إن هذا الأسلوب ضار ، على المدى الطويل ، لأنه يوحي بالأمان الزائف فيظن الناس أن المسلمين المسؤولين القادرين .. يفعلون (**شيئاً ما**) لصد الغزو التنصيري الجائح لبلاد المسلمين ، فتتخدر الأحاسيس عند بعضهم على أساس الظن الخاطىء أن هناك من يقوم بفرض (**الكفاية**) .. ولا حاجة لفرض (**العين**) في هذا الأمر الخطير !

يجب مواجهة التنصير بأساليبه نفسها ... والمكر بأهل المكر صدقة .

تقول الشائعات - وأرجو الله ألَّا تكون صحيحة - إن هناك تفكيراً بإقامة فرع للجامعة الأمريكية في الخليج ..!! فلعل الذين بيدهم الأمر يعون حقائق الأمور ويتصرفون بما يرضي الله ورسوله ، ويقي أجيال المسلمين من الاستعمار الثقافي الذي يتسلل تحت شعار المساعدة على التعليم والتربية والتدريب على التقنية الحديثة ، ويحمل لواءه ، عادة ، أقطاب التنصير الصليبي .

اللهم اجعلنا من المؤمنين ذوي الفطانة والكياسة .

(*) كان ذلك عام ١٩٢٠م .

(**) سلسلة من دهاقنة الاستعمار الانكليزي العسكري والثقافي وواسطة عقدهم الروح الصليبية الحاقدة ، ولا ننسى أن آخرهم - هنا - (اللورد اللنبي) هو الذي قال في القدس ، بعد دخولها ، في الحرب العالمية الأولى : « الآن انتهت الحروب الصليبية » !!!

كمال الدين جعفر عباس

المؤتمر العالمي الأول لتطبيق الشريعة الإسلامية بالسودان

■ قرار تطبيق الشريعة الإسلامية لم يكن مفاجئاً للشعب السوداني .. ■

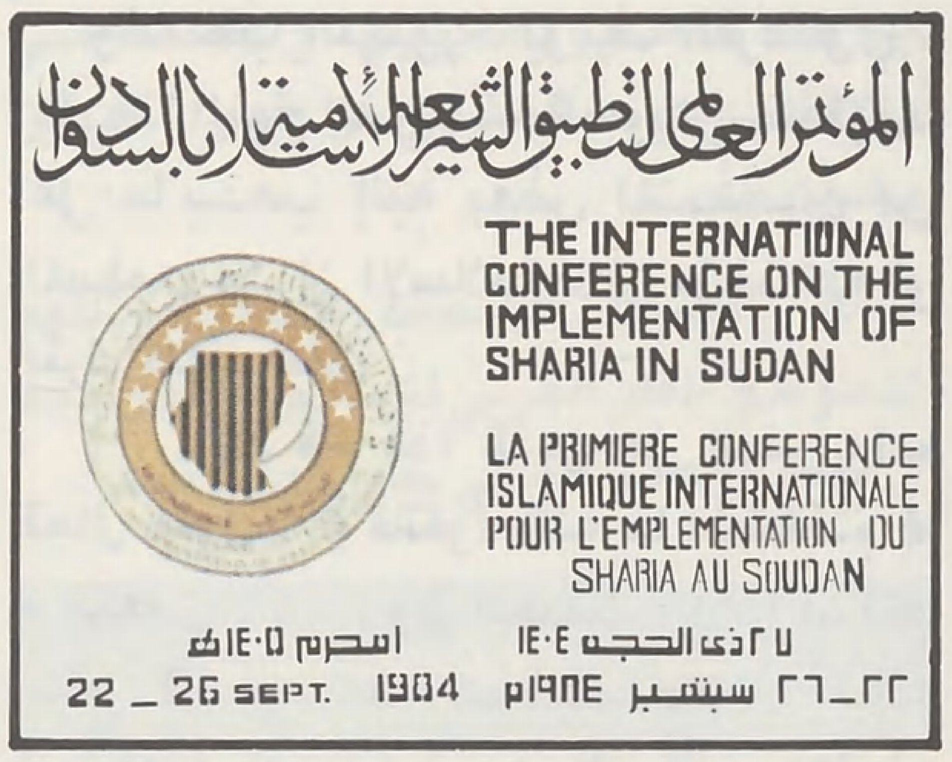

●● في ذي الحجة الماضي ، انقضى عام على قرار القيادة السياسية في السودان تطبيق الشريعة الإسلامية في مختلف أوجه الحياة ، سياسية كانت أو اقتصادية أو اجتماعية ... إلخ .. وبلغت التشريعات الإسلامية التي صدرت خلال ذلك العام ، حوالي عشرين تشريعاً عالجت أكثر من أربعين باباً من أبواب المعاملات المدنية والبنية الاقتصادية والعمل العسكري والخدمة المدنية ، كما نظمت حسبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..

وشاءت الأقدار أن تكون الخطوة الأولى على طريق التطبيق خطوة قانونية ، غايتها : إصلاح النظام القضائي وتحقيق العدالة وتطهير المجتمع من المفسدين واستئصال جذور الجريمة التي بلغت معدلاتها حدّاً عجزت معه الأجهزة المختصة عن توفير الأمن للمواطن وتهيئة أسباب المحافظة على ممتلكاته وعرضه ...

ففي عام ١٩٨٢م (وهو العام السابق للتوجه الإسلامي) كانت هناك - كما تشير الإحصاءات الرسمية - جريمة نهب كل ست ساعات ، وجريمة اغتصاب كل عشر ساعات ، وجريمة موت أو أذىً كل ساعة ودقيقتين ، وجريمة سطو على المنازل والأمكنة كل ساعة وست دقائق ●●

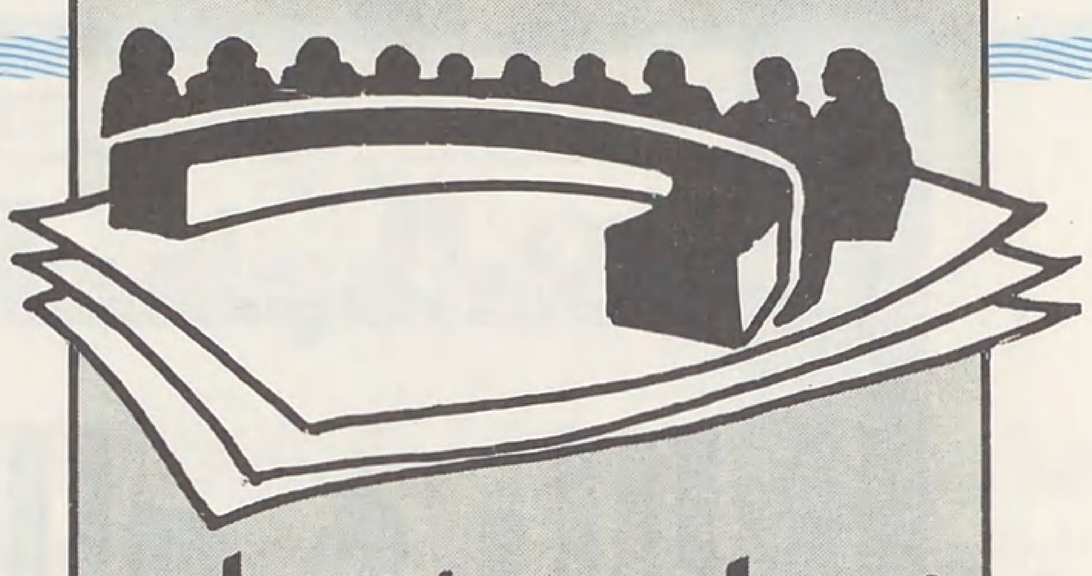

ندوات ومؤتمرات

المؤتمر العالمي الأول لتطبيق الشريعة الإسلامية بالسودان

بين الرفض والقبول

ورغم هذه المعدلات الخطيرة، والمتنامية أيضاً، لارتكاب الجريمة، إلّا أن المدخل القانوني لتطبيق الشريعة حرّك ما كان كامناً لدى بعض المرجفين وأصحاب الغرض، مسلمين وغير مسلمين، فلم يروا من التشريعات الإسلامية إلّا الجانب العقابي فيها.. وأشاعوا بأن السودان في طريقه ليصبح دولة شعبها مجموعة من المشوهين ومبتوري الأطراف.. وذهب بعض المسلمين من أصحاب النوايا الحسنة إلى القول بأن الشريعة الإسلامية ليست هي الحدود فقط، ومن أراد أن يأخذ الإسلام فليأخذه جملة أو ليدعه جملة ... إلى غير ذلك مما تناقلته أجهزة الإعلام في الآونة الأخيرة..

إلّا أن الأمر لدى كثير من المسلمين في السودان يختلف عن ذلك تماماً، فالجماهير المسلمة رأت في تطبيق الشريعة إنقاذاً لها مما أصابها من فوضى واضطراب، وفي العقوبات الإسلامية التي صدرت في إطار قانون العقوبات لسنة ١٩٨٣م، السياج الأمني الواقي الذي لا بد من البدء به تمهيداً لبناء الفرد فالمجتمع فالدولة المسلمة.. فكان التأييد والترحيب..

العودة إلى الأصول

وعلى ذلك، لم يكن قرار تطبيق الشريعة مفاجأة للشعب السوداني المسلم، وإنما كان - فقط - إيذاناً بتوجه الدولة الرسمي إلى طريق الإسلام، وإشعاراً بانتهاء فترة الجنوح وبدء مرحلة العودة إلى الأصول وإلى المعاني التي ضحت الأمة من أجلها.. وتأسست مملكة الفور (١٤٤٥م) ومملكة الفونج ومشيخة العبدلاب (١٥٠٥م) لترسيخ هذه المعاني الإسلامية.. ولم يثر الإمام محمد أحمد المهدي - رحمه الله - في العشرين الأخيرة من القرن التاسع عشر إلّا لتأكيدها بعد أن رأى محاولات المستعمر لتشويهها وطمسها.. كما سقط لأجلها الشيب والشباب شهداء على أرض «كرري» شمالي العاصمة الوطنية أم درمان.. ولم يرض الشعب المسلم في السودان طيلة تاريخه الطويل عن الإسلام بديلاً إلّا مكرهاً أو مغلوباً على أمره من استعمار أو سلطان جائر.

احتفالات الشعب

لقد أصبح يوم صدور قرار تطبيق الشريعة الإسلامية يوماً مشهوداً يحتفل به الشعب السوداني في كل عام بإذن الله.. وفي هذا العام وهو العام الأول، احتفل السودانيون بهذا اليوم.. وبلغ الاحتفال قمته في «المؤتمر العالمي الأول لتطبيق الشريعة الإسلامية» الذي عُقد بالخرطوم في الفترة: ٢٧ ذي الحجة ١٤٠٤هـ - ١ المحرم ١٤٠٥هـ الموافق ٢٢ - ٢٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٤م، ودعي لحضوره عدد كبير من العلماء والمفكرين المسلمين والإعلاميين، مسلمين وغير مسلمين..

وقدم صفوة من علماء السودان ومثقفيه عدة أوراق بحث شملت جميع جوانب التوجه الإسلامي وشكلت بمجموعها المحاور الأساسية التي ارتكزت عليها مداولات المؤتمر.

محور المناقشات

كانت أوراق العمل سبعاً، تناولت: التحول نحو تطبيق الشريعة الإسلامية في السودان، والإسلام ونظام الحكم في السودان، والإسلام والتنمية الاقتصادية، وكفالة الإسلام لحقوق غير المسلمين، والتجربة البرلمانية السودانية حتى إجازة التشريعات الإسلامية، والإسلام والأسرة، وردود الفعل العالمية والإقليمية والمحلية تجاه تطبيق الشريعة الإسلامية في السودان..

وكان للمناقشات والتعقيبات التي عرض لها كثير من العلماء والمفكرين المشاركين، أثر ملموس في إثراء وتأكيد ما طرح من أفكار وتوجهات على طريق التحول..

وسنتناول في هذا العرض التسجيلي بعض تلك الأوراق على أمل أن نوفق لنشر شيء منها في أعدادنا القادمة بإذن الله.

التحول نحو الإسلام

وأولى أوراق العمل التي قُدمت، كانت حول «التحول نحو الإسلام كنهج للحياة العامة».. أكد مقدمها الأستاذ حافظ الشيخ الزاكي الأمين العام لمجلس الإفتاء الشرعي بديوان النائب العام، أن آثار تطبيق الشريعة الإسلامية خلال عام واحد في السودان جاء مطابقاً لتراث السودان ومواكباً لتطلعاته ومعبراً عن عميق وجدانه وأحاسيسه المتأثرة بأخلاق الإسلام وعاداته.. «فالتطبيق يلائم البناء الاجتماعي والحضاري للأمة السودانية ولا يتناقض معها. والشعب السوداني... تخلّق منذ زمان بعيد بأخلاق إسلامية وظل يمارسها في حياته اليومية».

التدرج في التطبيق

ووصف الأستاذ «حافظ» النهج الذي تبناه السودان لتطبيق الإسلام بأنه يتسم «بالسلمية والتدرج والإجماع» فالسودان رغم أنه بلد مسلم، تغلغل الإسلام في نفوس بنيه وفي شعاب الحياة الاجتماعية المختلفة، إلّا أن انقطاع تطبيق الإسلام بشكل رسمي في الحياة العامة زماناً طويلاً وتأثير الغزو الثقافي الأجنبي نتجت عنه آثار سلبية وسط بعض المثقفين الذين يتولون مراكز القيادة والتوجيه في الدولة، حتى عمّت البلوى فوجب التيسير»..

وقد عقب الدكتور «يوسف القرضاوي» على هذا النهج الذي تبنّاه السودان، معترضاً على ما يذهب إليه بعض المتحمسين من المسلمين من أن الإسلام إمّا أن يؤخذ كله أو يترك كله.. فقال:

[... لقد قام هذا الدين على اليسر والله تعالى يقول: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (التغابن: ١٦) وفي الحديث: «إذا أمرتكم بأمر فخذوا منه ما استطعتم»، فإذا استطعنا أن نأخذ من الإسلام ٧٠٪ أو ٦٠٪ ... إلخ فلا بأس ما دام هناك العزم والتخطيط لهذا التحول.. ولا بأس أن نتحول بالتدرج، فالتدرج سنة كونية من سنن الله وسنة شرعية أيضاً]

من مقاصد التحوّل

وتحكيم السودان للشريعة الإسلامية - كما يقول الأستاذ حافظ - هو «عودة إلى الأصل، وربط للقانون بثقافة المجتمع

وحضارته ، وتأكيد لذاتية الأمة وخصائصها المميزة دون انغلاق على الذات أو تردد في الاستفادة من النافع من التجارب البشرية .. وتأكيد لتوجّه السودان الحضاري المرتكز على قيم الإسلام وأحكامه ، واستكمال لاستقلاله الثقافي بعد أن نال استقلاله السياسي وشيئاً من استقلاله الاقتصادي .. وهو أيضاً تحقيق لمصالح المجتمع في العدالة والحرية والأمن والتقدم » ..

مشكلات على الطريق

ولا شك أن مثل هذا التحول بعد طول الأمد قد تعترضه مشكلات وتنجم عنه آثار قد يكون بعضها سلبياً .

وفي ضوء ما طرحه الأستاذ « حافظ الشيخ » ، يمكن ملاحظة المشكلات الآتية :

● أولاً : استنباط الأحكام التفصيلية للأحداث التي تجد والمشكلات التي تنشأ ، وفق الضوابط الشرعية مع الالتزام بمصادر التشريع المتعارف عليها .. والمشكل هنا أن « فقه الجنايات والمعاملات ـ في غير الأحوال الشخصية ـ ظل فقهاً حبيساً في الكتب والموسوعات ولم يكن محل تطبيق لا في السودان ولا في غيره من البلاد الإسلامية إلَّا ما ندر ، وبذلك انقطعت الصلة بين العاملين في مهنة القانون وبين ذلك الفقه مدة طويلة » ..

● ثانياً : « الاغتراب الفكري لدى عامة المثقفين ... أقام حاجزاً نفسياً بين بعض المثقفين وأحكام الشريعة الإسلامية » .

● ثالثاً : الفهم الخاطىء للدين ودوره في الحياة .. وهو فهم يقوم على قياس خاطىء ، على المفهوم الغربي للدين والذي يربط التطور الفكري والاجتماعي والاقتصادي بالتحرر من قيود الدين وضوابطه .

● رابعاً : التعصب الذميم والفهم المغلوط في الفكر الغربي للإسلام ، والذي يجد في نظام الإعلام العالمي خير عون وسند .

من الإيجابيات

ولكن وجود هذه المشكلات ، إلى جانب ما يتحقق من نتائج إيجابية لمرحلة « التحول نحو الإسلام » لا يعني شيئاً .. ولعل أبرز هذه النتائج المرجوة ـ كما أشار الأستاذ حافظ ـ « بعث الروح الإسلامية في الأمة ، وربطها بأهداف عليا في الحياة ودفعها للتسامي بقيم إسلامية ، ويتصل بهذا ، بعث ثقافي وفكري يصقل ذاتية الأمة الثقافية ويزيل عنها ما ران عليها على مدى قرون » . ومن الآثار الإيجابية أيضاً : « تطهير المجتمع من الفساد الخلقي والجرائم ، وحماية أرواح الناس وأعراضهم وممتلكاتهم مما يتيح مناخاً صالحاً للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ولتحقيق مصالح الناس » .

وينتهي الأستاذ « حافظ الشيخ » إلى القول :

« إن التحول نحو الإسلام كنهج للحياة العامة صار ظاهرة اجتماعية وواقعاً سياسياً يتأكد يوماً بعد يوم ويعبر عن نفسه تعبيراً يختلف من بلد إسلامي إلى بلد آخر ، ولكنها كلها جهود تهدف إلى تحقيق غاية واحدة هي عبادة الله كما أرادها لعباده يوم أكمل لهم دينهم وأتم عليهم نعمته ورضي لهم الإسلام ديناً » .

حقوق غير المسلمين ؟

ومن بين القضايا التي أثارها تطبيق الشريعة الإسلامية ، حقوق غير المسلمين وأوضاعهم في ظل التشريعات الإسلامية . فهناك نسبة من الشعب السوداني لا تتجاوز ٥٪ لا تدين بالإسلام ..

وقد أفرد المؤتمر جلسة خاصة لمناقشة هذه القضية ، حيث قدَّم الدكتور « يوسف الخليفة أبو بكر » رئيس المجلس الأعلى للشؤون الدينية والأوقاف ورقةً عرض خلالها لحقوق غير المسلمين في ظل الشريعة الإسلامية ، كما كفلها الإسلام ونصَّ عليها القرآن والسنة ، وكما كفلها دستور السودان لعام ١٩٧٣م وأكدت عليها التشريعات الإسلامية لسنة ١٩٨٣م ، « فالمسلمون وغير المسلمين في الدولة الإسلامية سواء أمام القانون .. وحقوقهم جميعاً مصونة وعلى رأس ذلك أنفسهم وممتلكاتهم وأعراضهم ودينهم وما يُعاقَب به المسلم ، يُعاقَب به غير المسلم

■ حافظ الشيخ :
الاغتراب الفكري أقام حاجزاً نفسياً بين بعض المثقفين وأحكام الشريعة .. ■

ما لم ينص دين غير المسلم على خلاف ذلك » .

وينص قانون العقوبات لسنة ١٩٨٣م ، وهو أهم قانون صدر في إطار التشريعات الإسلامية ، على احترام الأديان السماوية وعدم الإساءة إليها ، ويعاقب بالجلد والغرامة والسجن كل من « سب أو أهان علناً بأية طريقة ، ديناً من الأديان السماوية أو سبَّ أو أهان نبياً من الأنبياء أو الرسل أو ملكاً من الملائكة أو استهتر أو استهان بأي شعيرة من شعائر ذلك الدِّين أو معتقداته .. » .

ويُعاقب بالعقوبة نفسها « كل من استخدم الدين أو كريم المعتقدات الروحية لغرض سياسي أو بقصد إثارة أو تنمية الكراهية أو العداوة أو الشقاق بين المجموعات الدينية ، أو أتى فعلاً يقصد به أو يحتمل أن يؤدي إلى ذلك .. » .

أما « من ضرب أو أتلف أو دنَّس مكاناً معداً للعبادة أو أي شيء يعتبر مقدساً لدى أية طائفة من الناس قاصداً بذلك إهانة الدين السماوي لهذه الطائفة » فهو بموجب قانون العقوبات لسنة ١٩٨٣م يعاقب بالجلد والغرامة والسجن .

نماذج وأمثلة

وأشار الدكتور يوسف الخليفة إلى أن قانون العقوبات نصَّ في عديد من المواد ، حيث يحتمل أن يكون لدين الشخص عقوبة خاصة منصوص عليها في دينه ، على إحالة العقوبة لما ينص عليه ذلك الدين ، وضرب لذلك بعض الأمثلة مما اشتمل عليه القانون .. فجريمة الزنا مثلاً ، يعاقب عليها بالإعدام إذا كان مرتكبها محصناً ، وبالجلد مائة جلدة والسجن أو التغريب لمدة عام إذا كان بكراً ذكراً .. ولا يُعاقب بالعقوبة هذه « أي شخص يكون دينه السماوي قد شرع عقوبة أخرى للزنا ، وفي هذه الحالة يعاقب الجاني بالعقوبة الأخرى . أو في حالة عدم وجودها ، بالجلد بما لا يتجاوز ثمانين جلدة وبالغرامة أو السجن لمدة تقل عن سنة » .

عقوبة شرب الخمر

وبالنسبة للخمر ، فإنَّ قانون العقوبات يعاقب المسلم لمجرد شربها حتى ولو لم يسكر أو يتعامل بها . « أما غير المسلم فإنه لا يعاقب لمجرد شربها ولكنه يعاقب إذا صاحب الشرب إزعاج أو مضايقة أو استفزاز لمشاعر الغير أو تعامل بها صنعاً أو بيعاً أو شراءً أو نقلاً » .

وأكد الدكتور يوسف أن المواد التي نصَّ عليها القانون لمعاقبة من يتسبب في إحداث أضرار للآخرين لشربه الخمر ، هي « مواد

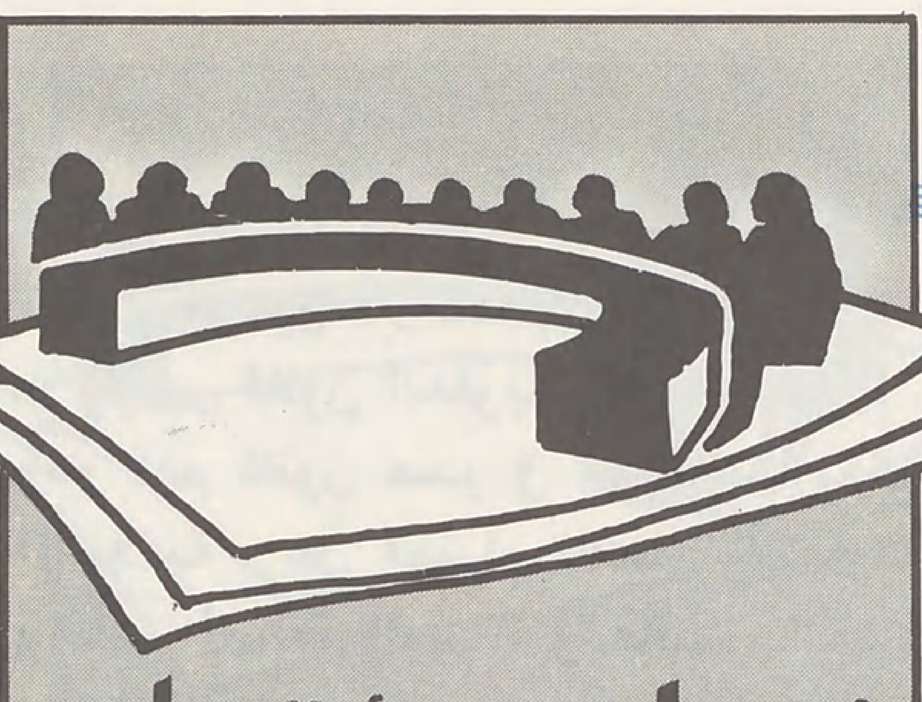

ندوات ومؤتمرات

المؤتمر العالمي الأول لتطبيق الشريعة الإسلامية بالسودان

عامة تطبق على الجميع ، مسلمين وغير مسلمين ، ونجد مثلها في القوانين الأخرى في كل دول العالم » .

واختتم الدكتور يوسف ورقته بالتأكيد على أن حقوق غير المسلمين « كفلها الإسلام وعصمها أن تنال بأقوى عاصم وأمتن رباط من الالتزام ، إذ جعل ذلك واجباً على المسلم بل جعله جزءاً من عقيدته ... كما يسر الوفاء بهذا الواجب بما أرسى من أركان التسامح الديني وما أقر من حقوق الذمة والتعاهد لغير المسلمين ، والتزاماتها على المسلمين » .

ردود الفعل تجاه تطبيق الشريعة

تباينت ردود الفعل ، داخل السودان وخارجه ، تجاه إعلان تطبيق الشريعة الإسلامية .. فهناك المهللون المكبرون المستبشرون خيراً ، وهناك المستنكرون المتخوفون من كل ما له صلة بالإسلام ، وبين هؤلاء وأولئك قوم مشفقون حذرون ..

وفي دراسة قيِّمة قُدمت للمؤتمر ، استطاع الدكتور إسماعيل الحاج موسى وزير الثقافة والإعلام الأسبق ومدير معهد الدراسات الاستراتيجية (حالياً) أن يرصد ويحلل ردود الفعل العالمية والإقليمية والمحلية تجاه تطبيق الشريعة ..

منطلقات التأييد

وفي محاولة لإبراز منطلقات ومسوغات التأييد والمباركة لخطوة السودان نحو تطبيق شرع الله ، يرى الدكتور إسماعيل أن « السودان كدولة تتمتع بموقع استراتيجي مفصلي ، يطل على أهم منافذ المياه الدافئة في العالم ... ويشارك بالجوار المتلاحم عدداً من دول افريقيا تختلف انظمتها السياسية والاجتماعية باختلاف بنياتها الهيكلية في الثقافة والاقتصاد والتوجهات . ويمثل الحد الفاصل المبني على التمازج بين افريقيا العربية وافريقيا الزنجية ... ونجده من الناحية الجوبوتيكية يشكل جداراً صلباً أمام تصارع استراتيجيات القوى الكبرى » .

وهو بذلك « يشكل عمقاً أفريقياً للإسلام والعربية في الوقت ذاته الذي يمثل فيه ذلك البعد الثقافي الأفريقي في التمازج الحضاري بين الزنجية والإسلام والعربية . وهذا في حدِّ ذاته يجعل منه القلب والرئة والمتنفس لتلاقح الثقافات الإسلامية والعربية والأفريقية ويجعل منه الانموذج الحي للتوحد الوطني بكل مكوناته ... وهذا البعد ، يجعل من السودان موضع اهتمام متفرد سواء في الاستراتيجيات الكبرى أو في التعاملات الثنائية بين البلدان العربية والأفريقية والإسلامية » .

ردود الفعل الإيجابية

... إن المتتبع لعلاقة الجماهير المسلمة ـ على امتداد العالم الإسلامي ـ بالقيادات السياسية ، يلحظ أن هذه الجماهير لا تتجاوب تجاوباً صادقاً مع هذه القيادات إلّا حين تكون قراراتها باتجاه تحكيم شرع الله وتسليم الأمر كله إليه .. وفي السودان ـ كما أشار الدكتور إسماعيل في دراسته للمؤتمر ـ « خرجت جموع كبيرة من الجماهير السودانية المسلمة وهي عزلاء من كل سلاح إلّا سلاح الإيمان في تموز (يوليو) ١٩٧١م رافضة محاولة هيمنة الشيوعية » .

ثم « كان مهرجان إراقة الخمور ـ بعد تحريم تداولها وبيعها وتصنيعها واستيرادها داخل الأراضي السودانية ـ (١٩٨٣م) ، استفتاءً حقيقياً للشارع السوداني في مدى الاستجابة لتطبيق شرع الله في البلاد » ..

ويلمح الدكتور إسماعيل أن ردود الفعل الإيجابية « التي تلقاها تطبيق الشريعة في البلاد زاد من فزع القوى الخارجية والقوى المعادية داخلياً وهي الجهات العقائدية المدعومة من الخارج ، مما يهدد أمن البلاد » . الأمر الذي استدعى اتخاذ بعض الإجراءات الاستثنائية لسد الطريق أمام الفساد والقضاء على المفسدين تمهيداً لميلاد مجتمع إسلامي معافى .

ردود الفعل السلبية

« تركز ردّ الفعل الخارجي المناوىء على محورين هامين هما :

١ ــ المحور (الأيديولوجي) .

٢ ــ محور صراع الحضارات الثقافي .

فقد كان المحوران هما قطبي الرحى في رد الفعل المعاكس تجاه تطبيق الشريعة الإسلامية في السودان خارجياً وداخلياً وعلى الأصعدة العربية والأفريقية والعالمية » .

وعلى ضوء المحور الأول تناول الدكتور إسماعيل المواقف الرسمية لبعض الدول المجاورة للسودان والتي تتخذ موقفاً عدائياً ينطلق من ارتباطها (الأيديولوجي) باستراتيجية المعسكر الشرقي . كما تناول

■ الاستفتاء الحقيقي للشعب السوداني : « لا بديل لشرع الله .. لا ولاء لغير الله » ■

■ المرأة المسلمة سجلت حضوراً واضحاً في أعمال المؤتمر . ■

المواقف المناوئة للإعلام (الأيديولوجي) في العالم العربي لا سيما ذلك الذي يقع تحت التأثير (الأيديولوجي) الماركسي ..

وحول ردود الفعل المناوئة القائمة على الصراع الحضاري بين السودان وبين الثقافة الغربية وحركتي الاستلاب والتغريب ، يرى الدكتور إسماعيل أن اكثرها حدَّة تمثَّل في « المؤتمر الديني الذي انعقد في مدينة « ليمورة » الكينية (عقب إعلان التطبيق مباشرة) وحضره عدد من الأساقفة الأفارقة بما فيهم كبير أساقفة نيجيريا ، وقد تراس المؤتمر « روبرت رونس » كبير أساقفة الكنيسة الانجليزية (كانتربري) ، واصدر المؤتمر في ختام اعماله بياناً قرر فيه أن السودان يمارس الاضطهاد والمضايقات على النصارى ... وأن الشريعة الإسلامية وتطبيقها لا يقصد به اضطهاد غير المسلمين .. وكان هذا هو الوتر الحساس الذي اخذت تضرب عليه اجهزة الإعلام الغربية والدول المستغربة في افريقيا وغيرها » .

القوى التقليدية

وإلى جانب الصراع على المحورين : (الأيديولوجي) والاستلاب الحضاري ، يلمح الدكتور إسماعيل بعداً ثالثاً للمواقف المناوئة داخل السودان .. وهو « سلوك القوى التقليدية » .. ويعتقد الدكتور إسماعيل أن هذا السلوك يعود بشكل رئيس إلى أن هذه القوى سُلبت إرثاً كانت تراه حقاً مشروعاً .

المسيرة المليونية

وفي صباح الثلاثاء ٣٠ ذي الحجة ١٤٠٤هـ [٢٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٤م] ، خرجت الجماهير المسلمة في العاصمة الخرطوم في تظاهرة ضخمة لم يشهد لها السودان مثيلاً في تاريخه المعاصر حيث فاق تعدادها مليوناً من اساتذة الجامعات والطلاب والمثقفين ورجال القوات النظامية والشباب والنساء ورجالات الطرق الصوفية وعامة الشعب المسلم .

وكان شعار الجماهير المسلمة في هذه التظاهرة :

[لا إلــه إلَّا الله .. لا بديل لشرع الله .. لا ولاء لغير الله] ..

... خرجت المسيرة المليونية في ذلك اليوم للتعبير عن فرحتها وتأييد التوجه الإسلامي ولتحية المؤتمرين والمدعوين من قادة الفكر والراي في العالم الإسلامي ولتؤكد :

أن الجماهير المسلمة لا ترضى بغير شرع الله حاكماً ولا هادياً .. وأن الأحاسيس والعواطف والطاقات المسلمة لا تتحرك أو تتفجر بغير الإسلام ..

ولتؤكد أيضاً أن لا مجال للتراجع أو الارتداد لأن الثمن سيكون باهظاً وردّ الفعل سيكون عنيفاً .

وكل من شاهد المسيرة المليونية ، أدرك أن الجماهير المسلمة التي خرجت في ذلك اليوم بعفوية وعن قناعة كاملة رغم شدة الهجير وصعوبة المواصلات ، لهي الضمانة الرئيسة لاستمرارية التحول السوداني نحو الإسلام ..

على أبواب المستقبل

لا شك أن السودان يمر بمرحلة تحول حضاري واجتماعي سوف لا تنحصر آثارها في إطار السودان وحده وإنما ستنعكس على كل البلاد العربية والإسلامية والأفريقية وعلى العمل الإسلامي في كل أقطار العالم . ولذلك فإن ما يحدث في السودان ليس مسؤولية أهله وحدهم وإنما هو مسؤولية كل مسلم حيثما كان وأينما كان ..

إن صورة التضامن والتلاحم والتصالح التي شهدها السودان كثمرة للتوجه الإسلامي ، لم يتحقق مثيل لها في تاريخ السودان الحديث ، وما ذلك إلَّا بفضل الإسلام ..

والأمر يتطلب أن يحافظ الجميع على هذا التصالح والتآلف الإسلامي وان يتناسوا مخلفات عهود التصادم .

وقد يكون المطلوب أكثر فأكثر إيكال الأمر إلى أهله المؤمنين به ، والحذر من أن يتسلق إلى بعضه من لا يحسنون صنعاً .. وقد أجمع المشاركون في المؤتمر من العلماء والمفكرين على اهمية الكادر البشري المنوط به حمل أعباء التحول نحو الإسلام .. فالعمل الإسلامي لا يقوم به إلَّا من عرف الإسلام عقيدة وشريعة والتزم به فكراً وسلوكاً وأفنى وقته وجهده في خدمته وإنزاله على واقع المسلمين ..

إن التحول نحو الإسلام يتطلب أن تجتمع كل الفئات العاملة في حقل الدعوة الإسلامية على كلمة سواء وأن يسع بعضهم بعضاً فيما يختلفون حوله ، فتحديات المرحلة أعظم من الاختلاف حول فرعيات ليست من أصول الدين ..

ويتطلب الأمر أيضاً مزيداً من الحرية وإفساح المجال أمام كل الآراء فالمرحلة تحتاج إلى الكثير من الاجتهاد وهو ما لا يتحقق إلَّا بالمحاورة والمجادلة والمناقشة وإشاعة حرية الرأي والفكر .

والمطلوب من أولي الأمر في السودان أن يتنبهوا إلى الحملات التي بدأت تطل برأسها ، للتشكيك في صدق نوايا من ساهموا بفكرهم وسواعدهم في إرساء دعائم التحول ، والتخويف من تلاحم الجماهير المسلمة ووقوفها خلف شعارات الإسلام ...

وما يلحظه المرء أن هذه الحملات بدات ، داخل السودان وخارجه ، والمؤتمر لم ينه اعماله بعد ..وكأنما الأيدي التي تحرك القوم داخل السودان هي الأيدي نفسها التي تكتب لأجهزة الإعلام الغربية وبعض الأجهزة العربية ، بكل ما يمكن أن يوقف عجلة التحرك نحو الإسلام ..

والمطلوب من كل مسؤول أيضاً أن يحسب حساباً لكل حديث أو تصريح يدلي به إلى جهاز إعلامي .. فقد تؤوّل التصريحات إلى ما يسيء إلى السودان وإلى حركته باتجاه تطبيق شرع الله ..

وقد يكون المطلوب من الجميع ، أكثر من أيّ وقت مضى ، ألَّا تبقى عملية التحول نحو الإسلام مرهونة بشخص أو فئة أو جماعة ، فالأشخاص زائلون مهما كان إيمانهم ، وقد لا تؤمن عليهم الفتنة ما داموا أحياء و « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء » ..

الطريق إلى بناء الإنسان المسلم

في حوار مع دكتور: رشدي فكار

أجراه: محمود قظام

■■ يدعو الدكتور رشدي فكّار ـ المفكر الإسلامي المعروف والأستاذ في جامعة محمد الخامس في الرباط بالمغرب ـ العرب والمسلمين إلى ضرورة الاستفادة من معطيات التجريب في الحضارة الغربية بشقيها الليبرالي والماركسي واختزالها في فترة قصيرة حتى تتمكن الأمة العربية والإسلامية من اللحاق بركب الأمم المتطورة والمتحضرة .. دون الأخذ بقيم وعادات الإنسان الغربي ... جاء ذلك ضمن الحوار الذي أجرته معه « الأمَّة » في عمّان ـ العاصمة الأردنية ـ خلال الزيارة التي قام بها تلبية لدعوة المركز الثقافي بالجامعة الأردنية .. ■■

●● **يتردد الحديث في الأوساط الفكرية عن أزمة الإنسان المسلم في العصر الراهن .. ما هي في تصوركم أبعاد هذه الأزمة ؟**

ـ تواجه الأمة الإسلامية حالياً أزمة جيل لا أزمة مصير ، وأزمة نخبة لا أزمة أمة ، وبالتالي فإن ما تعانيه الآن ليس سوى مسألة عابرة ستزول بحول الله إذا ما صدقت النوايا في توظيف العقلية والذهنية العربية والإسلامية لأداء دور القيادة والريادة كما هو الحال في مستهل تاريخنا الإسلامي المشرق .

والإنسان العربي المسلم هو إلى حد كبير إنسان الدورات التاريخية ، حيث مرَّ بعدة دورات أبرزها دورة السلالات ، قبل الإسلام حيث كان العرب مجرد قبائل متصارعة تعيش هنا وهناك ، ثم ظهرت الدورة الثقافية مع ظهور الإسلام ، ثم الدورة الحضارية الشاملة التي رافقت الفتوحات الإسلامية ، استطاع خلالها الإنسان العربي المسلم أن يقنع شعوباً أخرى بالمثل والقيم والعقيدة الإسلامية .. وكانت هذه الدورة الحضارية الإسلامية بمثابة أطول فترة تاريخية من حيث العطاء المكثف والكم الزمني ... إن الأزمة الحالية التي تعاني منها الأمَّة العربية والإسلامية هي أزمة سلوك إسلامي وليست أزمة إسلام .

●● **في ظل التراجع .. ما هي الخيارات المطروحة أمامنا كعرب مسلمين ؟**

ـ الخيارات المطروحة هي :

إما أن ننزلق ونهوي ، وهنا سنصبح في دورة سلالية مزمنة أقسى من الدورة السلالية الأولى التي انطلقنا منها مع بزوغ فجر الإسلام ، وبالتالي سنصبح هامش الهامش وحاشية الحاشية .. والنفايات التي لا يراها أحد في معترك حضارة اليوم ، أو أن نتجاوز فنستعيد نسبياً الدورة الحضارية الإسلامية ، وهذا الخيار أكثر احتمالاً لكون الإسلام أصبح مطروحاً الآن بقوة في المحافل العالمية كافة كحل منقذ للبشرية من وهدة السيطرة المادية .

●● **ما هو السبيل في تصوركم أمام العرب والمسلمين لمنافسة الغرب تقنياً أو على الأقل اللحاق به ؟**

ـ ينبغي علينا الاستفادة القصوى من معطيات التجريب في الحضارة الغربية واختزالها في فترة قصيرة حتى تتمكن الأمة العربية والإسلامية من اللحاق بركب الأمم المتطورة ، بيد أن الأخذ بمنجزات الحضارة الغربية بشقيها الليبرالي والماركسي ينبغي أن لا يمتد للأخذ بقيم ومثل وعادات الإنسان الغربي وعلوم الإنسان لديه ، لا سيما وأن علوم الإنسان مرتبطة بالبيئة والعقيدة والظروف التاريخية للمجتمع وتطوره ، وأن الحضارة العربية الإسلامية أدت دوراً رائداً في « **عقلنة** » الحضارة الغربية السائدة في العصر الراهن ، فكان أن تراكمت المعرفة لدى الحضارة الغربية خلال الخمسين سنة الأخيرة بكمٍّ يعادل المعرفة خلال عشرة قرون ، حيث استطاع التجريب الغربي أن يحقق انتصارات وإنجازات ، في الوقت الذي فشل في ترويض الإنسان ، بدليل الأمراض النفسية المنتشرة بشكل وبائي في المجتمع الغربي ، وقد تم رصد عدد المصابين بأمراض نفسية في بعض المدن الغربية فوصل إلى نسبة ٨٥٪ من سكانها ، وهذا مؤشر خطير يدل على مستوى الانحدار والضياع الذي وصلت إليه الحضارة الغربية .

■ **ويضيف الدكتور فكّار** :

... إن بناء الإنسان العربي المسلم يتطلب عملية رصف للإنسان قبل رصف الشوارع وبناء العمارات حتى نصل إلى إنسان واعٍ قادر على العطاء ، وإلاَّ سيبقى الإنسان العربي المسلم مسلوب الإرادة ومستلب الحضارة من قبل الآخرين ، وعلينا أن

■ الدكتور رشدي فكَّار : في المركز الثقافي ـ الجامعة الأردنية ■

■ الإسلام يشق الآن طريقه إلى قلوب البسطاء كما يشق طريقه إلى عقول الأقوياء .

■ الأمَّة الإسلامية تواجه الآن أزمة جيل لا أزمة مصير .. وأزمة نخبة لا أزمة أمَّة .

نستفيد من إنجازات الآخرين الصناعية دون التطلع إليهم كأشخاص ، إن هذه العملية تتطلَّب تعبئة إعلامية وتربوية ، وتعديل المناهج الدراسية والبرامج المقدمة في وسائل الإعلام .

●● الصحوة الإسلامية التي نرىٰ مظاهرها الآن في العالم الإسلامي إلى أين تسير ؟

ـ إن الإسلام هو الدين المؤهل لقيادة البشرية في المستقبل بحول الله بعد إفلاس حضارة الغرب بشقيها الرأسمالي والاشتراكي ، خصوصاً بعد ما بدأ مفكرو وعلماء الغرب يتساءلون : لماذا الإسلام كحل ومنقذ لمعضلات وأزمات الإنسان المعاصر ؟ وذلك لقناعتهم الأكيدة, أنّ الإسلام يحتفظ بحركية وحيوية قادرة على مواكبة كل جديد وتقديم حلول مناسبة لكل طارىء ، فالإسلام يمتاز بمصداقية التوثيق التاريخي ، وهذه ميزة خاصة له عن سائر الأديان والمعتقدات ، والإسلام يشق الآن طريقه إلى قلوب البسطاء كما يشق طريقه إلى عقول الأقوياء .

●● ما هي الشروط التي ترون ضرورة توفرها لتحقيق حوار إيجابي بين الحضارات المعاصرة ؟

ـ ينبغي أن نعمل على إيجاد ذهنية وعقلية عربية إسلامية تستوعب الآخرين وتكون قادرة على الحوار الإيجابي والفعَّال مع الحضارة الغربية المعاصرة بشقيها الرأسمالي والاشتراكي ، إن الحضارة الغربية ترتكز على المكر والخداع لكونها تستغل جهل الآخرين حتى تستفيد من أخطائهم وبالتالي فهي تملي شروطها في الحوار معهم .

ولا بد في الحقيقة من التعامل مع معطيات ومنجزات الحضارة الغربية بنَفَسٍ طويل وبذكاء شديد حتى نتمكن من الاستفادة من معطياتها وتوظيفها في خدمة التنمية العربية والإسلامية ، لا سيما وأن مجتمعنا لا يزال فتياً وإمكاناته محدودة بالمقارنة مع الأمم المتطورة ، وما يزال يبحث عن ذاته للوقوف على قدميه ، في الوقت الذي وصلت فيه الحضارة الغربية إلى قمة التكنولوجيا والصناعة والعلم التجريبي ... إن الحوار الحضاري سيكشف لنا عرباً ومسلمين أن من بين أطراف الحوار الأخرىٰ من له أهداف عضوية ومن له أهداف وظيفية من وراء هذا الحوار ، بحكم نظرية المصالح المتبادلة التي تحكم الحضارة الغربية في التعامل مع الآخرين ، إن ما يحتاجه العرب والمسلمون من وراء هذا الحوار هو المساعدة في استيعاب وتوظيف التكنولوجيا المبسطة في القطاع الزراعي لتأمين الغذاء وتطوير القطاع الزراعي الصناعي إضافة إلى بناء قوة ذاتية عربية إسلامية رادعة .

●● ننتقل الآن بالحوار إلى نقطة أخرىٰ حول قضية المرأة المسلمة .. في تصوركم أين تقف المرأة المسلمة من الالتزامات الأسرية والتطلعات الاجتماعية ؟

ـ ابتداءً أقول : إن على المرأة المسلمة أن تعطي الأولوية في حياتها للأسرة أولاً ، ثم تأتي التطلعات الاجتماعية في المرتبة الثانية ، لا سيما وأن عمل المرأة داخل الأسرة هو الأساس .. إن دور المرأة الغربية وخروجها لميدان العمل هو الذي أدىٰ إلى عدم شعور المرأة هناك بأنها تتعامل مع زوج ، بل مع عضو في مصلحة أو شركة ، كما أدىٰ إلى انقلاب الدور الاجتماعي ، وبالتالي إلى انفصال أسري ، مما حدا ببعض المفكرين والعلماء الغربيين إلى القول : إن المجتمع الاسكندنافي سينقرض خلال نصف قرن لابتعاد الناس عن التزاوج .. ولا يجوز انتقال هذه العدوىٰ إلى المجتمع العربي الإسلامي وإلَّا ستكون كارثة تهدد مستقبل أجيالنا القادمة .

تغطية الإعلام الأمريكي للإسلام

للدكتور
إدوارد سعيد

مقدمة

□□ « COVERING ISLAM » أو « تغطية الإعلام الأمريكي للإسلام » هو الكتاب الثالث والأخير في سلسلة من الكتب كرّسها الدكتور إدوارد سعيد ، أستاذ الأدب الانجليزي بجامعة كولومبيا الأمريكية ، لدراسة العلاقة بين العالمين العربي والإسلامي من جهة والغرب ـ وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية ـ من جهة أخرى .

أما الكتاب الثاني فهو « ORIENTALISM » أو « الاستشراق » الذي يتحدث فيه المؤلف عن الدور التاريخي الذي لعبه المستشرقون في إعداد وتحضير القوى الاستعمارية الغربية نفسياً وتمهيد السبيل أمامها لاستعمار البلاد الاسلامية والعربية منها على وجه الخصوص .

والكتاب الثالث « THE QUESTION OF PALESTINE » أو « المسألة الفلسطينية » الذي يستعرض فيه الدكتور سعيد مأساة الشعب الفلسطيني ومراحل الصراع بينه وبين الحركة الصهيونية العالمية المدعومة من قبل الغرب .

وفي كتابه الأخير Covering Islam يستعرض الدكتور ادوارد سعيد ذو الأصل الفلسطيني كيف قامت وسائل الاعلام وصنّاع الرأي العام في الولايات المتحدة بعرض الدين الاسلامي والثقافة الإسلامية ، بصورة مشوهة ، للجمهور الأمريكي . ويعتقد المؤلف بشكل جازم بوجود علاقة عضوية مباشرة بين التشويه الصارخ الذي تتصف به تغطية وسائل الاعلام الأمريكية للإسلام والثقافة الاسلامية ، والعداء التاريخي الذي يكنه الغرب النصراني للاسلام والمسلمين ، ذلك العداء الذي بدأ منذ أيام

بقلم : خالد سلمان

○ جري فولول : زعيم التيار المحافظ ○
(Moval Majovity)

○ بول هارفي ـ الذي وصف الإسلام بانه دين ذو جذور مسـمومة ○

■ **هناك تماثل خطير بين الدور الذي لعبه المستشرقون الانكليز والفرنسيون والذي تقوم به حاليًا أجهزة الاعلام في الدول الغربية وأمريكا ..**

الصليبيين الأولى واستمر بشكل أو بآخر حتى يومنا هذا □□

في الفصل الأول من الكتاب يستعرض المؤلف العلاقة التاريخية بين دُنيا الاسلام وأوروبا النصرانية ، ويوضح أن الشعور العدائي الغربي نحو الاسلام يعزى جزئياً إلى التناقضات والاختلافات الدينية والثقافية والحضارية بين الاسلام والنصرانية .. والتي يقول المؤلف إنّها « **تجسدت في قالب من العواطف الهائجة والتعصب الديني والمصالح السياسية** » ، ويعتقد المؤلف « أن هناك تماثلاً خطيراً بين الدور الذي لعبه المستشرقون الانجليز والفرنسيون في القرن الماضي ـ حيث أوجدوا الأرضية الفكرية للغزو الاستعماري الغربي للبلاد الاسلامية ـ والذي تقوم به حالياً أجهزة الإعلام في الدول الغربية وأمريكا بشكلٍ خاص في تشويه صورة الاسلام والشعوب الاسلامية » .

ويشير المؤلف إلى أن الطريقة العدائية الحاقدة التي تتميز بها تغطية وعرض وسائل الإعلام الأمريكية للأمور والأحداث المتعلقة بالعالم الإسلامي توجد لدى المواطن الأمريكي استعداداً نفسياً لتقبل فكرة غزو عسكري أمريكي للبلدان الإسلامية خصوصاً تلك التي تملك منابع النفط .

أما الفصل الثاني من الكتاب فيكرسه الدكتور سعيد لتحليل **موقف وسائل الإعلام الأمريكية** من بعض الظواهر في العالم الإسلامي حيث يصف هذا الموقف بأنه خليط من الجهل والتعصب واللاموضوعية . ويدين المؤلف بشدة **التشويه الواضح للإسلام** من خلال شبكات التلفزيون الأمريكية التي تعرض الإسلام في معظم الأحيان على أنه ظاهرة متخلفة عن ركب الحضارة .. تحارب العلم وترفض التقدم ..

وينتقد أيضاً بشدة قيام وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة بشكل روتيني بربط كل الظواهر والمظاهر السلبية في المجتمعات الاسلامية بالدين الاسلامي محاولة إيهام الجمهور بأن الاسلام هو سبب التخلف الذي تعاني منه الكثير من البلدان الاسلامية ... **ولكن وعلى النقيض من ذلك تربط هذه الوسائل ـ بشكل مباشر أو غير مباشر ـ الأمور الإيجابية والتقدم ـ كما يراه الأمريكيون ـ بالحضارة الأمريكية والأنظمة التي تتبنى هذه الحضارة في البلاد الاسلامية** .

ويعلّق المؤلف على هذه الازدواجية في التفكير قائلاً « **من الطبيعي أن لا تربط أجهزة الإعلام بين مذبحة « جونز تاون » أو التدمير الشامل الذي أحدثته أمريكا في الهند الصينية ، وبين الديانة النصرانية أو حتى الثقافة الغربية الأمريكية . إن هذا النوع من الربط يحفظ دائماً للإسلام** ..

وفي الفصل الثالث والأخير من الكتاب يتحدث المؤلف عن الدراسات الاسلامية والشرق أوسطية في الولايات المتحدة وكيف أصبحت هذه الدراسات أداة في يد الأوساط السياسية الرسمية على عكس الدراسات الاستشراقية المستقلة التي قد تتسم أحياناً بقدرٍ من الموضوعية المجردة ـ على حد تعبير الكاتب ـ .

ويقول الكاتب **إنه بالرغم من التقدم الهائل الذي أحرز في مجال البحث**

العلمي في الميادين الانسانية ، فإن الدراسات والأبحاث المتعلقة بالإسلام في الولايات المتحدة لا تزال تعاني من التشويه والسطحية وعدم الموضوعية تماماً كدراسات المستشرقين في **القرن التاسع عشر** - حيث إن التعصب ومنطق النفعية السياسية لا يزالان يوجهان ويتحكمان بهذه الدراسات .

وفي سياق حديثه عن الدوائر الفكرية الأمريكية يعتقد **الدكتور سعيد أن أي دراسة اجتماعية انسانية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون خالية تماماً من تأثير القيم والمثل السائدة ، لكنه يطالب أن يعترف العاملون في أوساط الدراسات الاسلامية في الولايات المتحدة بأخطائهم وأن يسألوا أنفسهم لمصلحة من يقومون بأبحاثهم ودراساتهم .. ألمصلحة النقد البناء والموضوعية المجردة والحِسِّ الخلقي ... أم لمصلحة القوى الرسمية والمصالح السياسية** ؟ .

لا شكَّ أن Covering Islam يعتبر إدانة صريحة وبليغة للمواقف الغربية والأمريكية نحو الاسلام - تلك المواقف التي اتسمت دائماً بالتعصب الأعمى والاستعلاء الثقافي الزائف وارتبطت بالجهل والسطحية الأكاديمية - . لقد كان الدكتور **إدوارد سعيد** مصيباً عندما أشار إلى أنَّ وسائل الاعلام الأمريكية المؤيدة **للكيان الصهيوني** - تقوم بدور خبيث يشبه في خطورته التاريخية الدور الذي قام به المستشرقون في تشجيع الاستعمار الغربي للبلاد الاسلامية وما دعوة **جري فويول القِسّ البروتستانتي الأمريكي وزعيم التيار المحافظ** Moral Magority للأمريكيين لمساندة إسرائيل في « **استعادة** » الأراضي الممتدة من النيل إلى الفرات إلَّا دليل واضح لا يقبل الشك على صدق ما ذكره المؤلف بهذا الخصوص .

وأما فيما يتعلق بما طرحه الدكتور سعيد حول المفاهيم الغربية المشوهة عن الاسلام وأثرها في العلاقة بين الغرب والشعوب الاسلامية فيذكر ببرنارد لويس ، أحد أبرز مستشرقي اليوم ، في كتابه Return of Islam أن أفكار وتصورات الغربيين عن الاسلام لم تكن تمت للإسلام بصلة ، وكيف أن **الملحمة الشعرية الفرنسية** Chanson de Roland التي تدور وقائعها حول **الحرب بين الاسلام والنصرانية صوَّرت المسلمين على أنهم أناس يعبدون ثالوثاً إلَهياً يتكون من النبي محمد وشخصين آخرين ، كلاهما شيطان ، وهما أبو لين وتير فاجنت** Apollin and Terfajant .

وبالرغم من أنه قد مضى أكثر من ٥٠٠ عام على الصورة التي عرضتها الملحمة الشعرية الفرنسية إلَّا أنَّ التعصب الأعمى والتشويه الصارخ لا يزالان يمثلان الملامح الأساسية للمواقف والتصورات الغربية نحو **الاسلام** .

●● تعليـــــــــــق ●●

التشـــويه الذي يتعرض له الاسلام في الولايات المتحدة والغرب عموماً يضع أكثر من جهة في العالم العربي والاسلامي أمام مسؤولياتها . إنه يضع المسلمين في تلك الديار أمام مسؤولياتهم ، فعددهم ليس قليلاً ، وتواجدهم في مختلف الميادين ليس محدوداً ، **وربما كان الذي يحتاجونه هو تنسيق وترشيد جهودهم في حقل العلاقات العامة والاعلام من جهة ، وتجسيد مبادىء الاسلام في سلوكهم الشخصي من جهة أخرى** .

وهو يضع حكومات الدول الاسلامية وسفاراتها في الخارج أيضاً أمام المسؤولية . تلك السفارات التي يقتصر نشاطها الاعلامي على المناسبات الرسمية لبلادها .

وهو يضع المسلمين عموماً أمام المسؤولية في أكثر من جانب ، ان باستطاعتهم **شراء أو انشاء الصحف الناطقة باللغات الأجنبية والموجهة للقارىء الغربي** . وبإمكان أفراد من أغنياء المسلمين القيام بذلك ، لقد عرضت أكثر من **صحيفة أجنبية للبيع** ، وقصة صحيفة « **التايمز** » اللندنية التي اشتراها اليهودي الاسترالي « **مردوخ** » قبل عامين معروفة .

من جهة أخرى فإن المسلك الشخصي لكثير من المسلمين في بلاد الغرب ، **سواء أكانوا** مقيمين أم سياحاً يؤكد للغربيين الصورة المشوهة التي تعرضها وسائل الاعلام .

ولا ننسى كذلك أن **الانهيار المعنوي والأخلاقي والمادي الذي يعيشه المسلمون في ديارهم** نتيجة بعدهم عن الاسلام يؤكد تلك الصورة . فهل نستطيع انكار تخلفنا المادي وتمزقنا واقتتالنا الذاتي ثم عجزنا أمام الأعداء ؟ إننا نقول في أنفسنا كثيراً أكثر مما يقوله الغربيون .

القضية إذاً ليست قضية اعلام وحسب ، بقدر ما هي قضية واقع يستغله الاعلام ، **الاعلام لا ينشىء الصورة بل يستغل الواقع ويبالغ فيه** . « **الأمـــة** »

بعد السفر

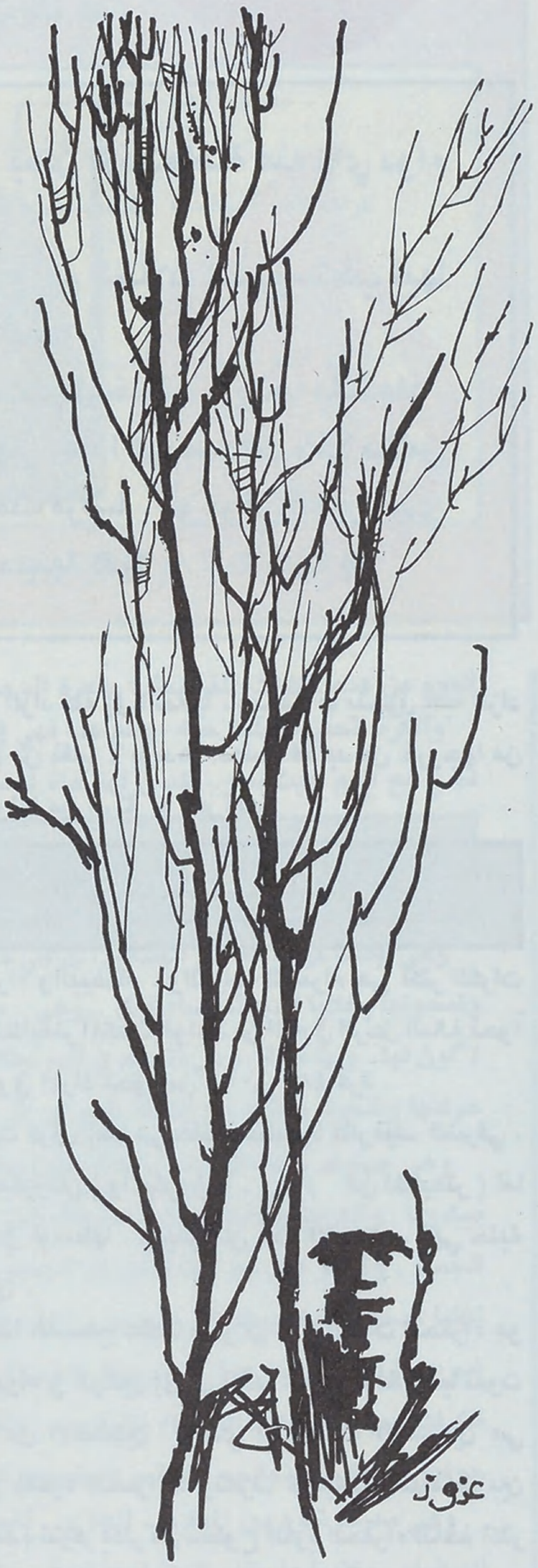

أيْنَ حِفْظي لِلسُّوَرْ وَدُعائي في السَّحَرْ
أَيْنَ أَصْحابي وَأَحْبا بي .. وَقَدْ كانوا زُمَرْ
أَيْنَ مِحْرابي فَقَدْ عِشْ......تُ بِهِ مُنْذُ الصِّغَرْ
وَيَميني شَيَّدَتْهُ حَجَراً بَعْدَ حَجَرْ
هَلْ تُراهُ أَظْهَرَ الحُزْ نَ لِفَقْدي أَمْ سَتَرْ ؟!
كَيْفَ حالُ المِنْبَرِ الشّا مِخِ مِنْ بَعْدِ السَّفَرْ
مَنْ عَلاهُ ؟! بَعْدَ أَنْ غادَرْتُهُ دونَ نُذُرْ
أَتُراهُ صارَ يَبْ......كي بَعْدَ ما فاضَ الخَبَرْ
عِنْدَ ما فارَقْتُهُ لَيْلاً وَأَخْفَيْتُ الأَثَرْ
غَلَبَ الدَّمْعُ عُيوني وَعَصاها وَانْحَدَرْ
ضَجَّ لَمّا حَبَسْتُهُ وَتَأَبّى وَانْفَجَرْ
إِنَّهُ لَيْسَ بُكاها إِنَّ قَلْبي يُعْتَصَرْ
قَدْ زَرَعْتُ الغَرْسَ في الرَّوْضِ وَفي كُلِّ مَمَرّ
وَرَعَيْتُ الغَرْسَ حَتّى أَصْبَحَ الغَرْسُ شَجَرْ
ثُمَّ إِنّي غِبْتُ عَنْهُ قَبْلَ أَنْ يَبْدو الثَّمَرْ
كُنْتُ أَسْقيهِ حَناني مَعَ حَبّاتِ المَطَرْ
كُنْتُ أَحْميهِ مِنَ الرّ يحِ لِئَلّا يَنْكَسِرْ
وَلَهُ خالِصُ وُدّي وَحَديثي وَالسَّهَرْ
كُنْتُ إِنْ غِبْتُ قَليلاً كادَ قَلْبي يَنْفَطِرْ
وَهُوَ مِثْلي حينَما أُشْغَلُ عَنْهُ يَنْكَدِرْ
ما الَّذي حَلَّ بِهِ في ذَلِكَ اليَوْمِ العَسِرْ ؟!
مَسْجِدَ الإيمانِ أَيْـ......ـنَ النّورُ وَلّى وَانْحَسَرْ
أَيْنَ يَأْوي بَعْدَ أَنْ كُنْتَ لَهُ خَيْرَ مَقَرّ
أَتُراهُ غاضَ أَمْ أَبْقى لَهُ بَعْضَ أَثَرْ ؟
وَابْتِسامُ الحَيِّ لِلإيما نِ قُلْ لي هَلْ فَتَرْ ؟!
كَيْفَ يَحْيا بَعْدَ ما فارَقَهُ القَوْمُ الغُرَرْ ؟
آهِ ما أَحْلاكَ لَمّـ......ـا صِرْتَ لِلْحَيِّ قَمَرْ
آهِ ما أَجْمَلَ ذاكَ النّورَ لَمّا أَنْ غَمَرْ
لي في المَسْجِدِ رُكْنٌ كُنْتُ فيهِ أَسْتَقِرّ
يَجْلِسُ الأَصْحابُ حَوْلي أُسْرَةً لا كَالأُسَرْ
نَقْرَأُ الآياتِ نَجْني مِنْ ثَناياها العِبَرْ
وَلَكَمْ كُنّا نُطيـ......ـلُ المُكْثَ في ظِلِّ السُّوَرْ
وَلَكَمْ يَحْلو لَنا في رَوْضَةِ الفِقْهِ السَّمَرْ
مَنْ لِهَذا الرُّكْنِ مَنْ يَمْسَحُ عَنْهُ كُلَّ ضُرّ
مَنْ لَهُ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَضْحى كَئيباً وَافْتَقَرْ
مَسْجِدَ الإيمانِ لا زا لَ فُؤادي يَنْتَظِرْ
كُلَّما لاحَ شُعاعُ النَّـ......ـجْمِ أَوْ ضَوْءُ القَمَرْ
جاءَني يَقْرَعُ صَدْري قائِلاً : قُمْ وَابْتَدِرْ
إِنَّ هَذا النّورَ رَمْزٌ لِبِداياتِ الظَّفَرْ
وَهُوَ وَعْدُ اللَّهِ وَالـ......ـلَّهُ عَزيزٌ مُقْتَدِرْ

شعر : خـــالد البيطـــار

إن نقل الدم أصبح في هذا العصر حاجة ملحة لا يمكن أن نجد لها بديلاً ، هذه الحاجة الملحة اقتضت من حكومات العالم إنشاء بنوك للدم مجهزة بكميات من الدماء لتستعمل عند الحاجة ..

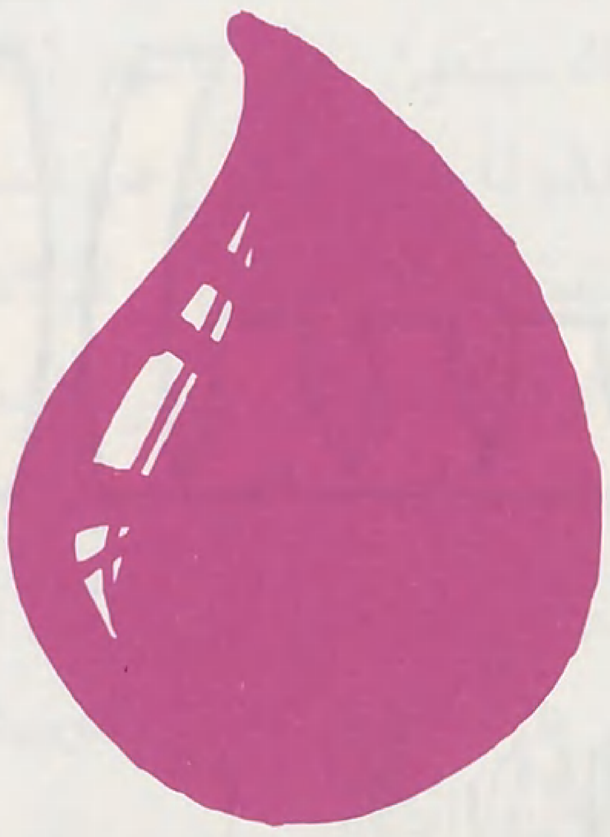

التبرع بالدم بين الدين والعلم

■■ لا شك أن نقل الدم إلى المريض ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها وعلاج لا يمكن الاستعاضة عنه بأي دواء آخر .

فقد أصبح نقل الدم شائعاً في استطبابات كثيرة ، ولكن قبل أن نستفيض في شرح أهم الحالات التي يستطب فيها بنقل الدم وضرورة عملية نقل الدم وغيرها .. علينا أن نعرف أولاً .. ما هو الدم ؟

إن الدم هو طريق المواصلات في الجسم ، فيه الرسل تروح وتجيء ، تطرق باب كل خلية ، تزودها بالطعام ، وتحمل عنها نفايا هذا الطعام ، ورسل كرجال الشرطة تدور في أرجاء الجسم ليل نهار ، فإذا هي صادفت خللاً بالأمن تصايحت يدعو بعضها بعضاً ، لتدفع زمرة واحدة ذلك العدو الغازي ، الذي نسميه مرضاً ، هو مرض العفن الذي يحمله الميكروب إلى الجسم . وللدم مآرب أخرى ، أدق غاية سنعرض لها في حينها ■■

الدم لونان وطبقتان ..

دم الإنسان المزود بالأكسجين في الشرايين ، أحمر قان ، وكلما قل أكسجينه صار أحمر داكناً ، وتزيد « دكانته » حتى ليكاد يكون أسود اللون ، وهو يُرى في الأوردة بظاهر الجسم أزرق اللون .

والدم المأخوذ من الوريد ، يضاف إليه مادة تمنع تجلطه ، ويترك حيناً ، فينفصل إلى طبقتين ، طبقة عليا ، صفراء ، شفافة أو فاقدة لبعض شفافيتها ، فهذه الطبقة المعروفة بالبلزما Plasma أو الجبلة أو مصل الدم Blood Serum ، وهي تؤلف من حيث الحجم قليلاً من نصف حجم الدم ، ثم طبقة سفلى ، وهي طبقة كرات الدم وتتكون من كرات حمراء Red Corpuseles وكرات بيضاء White Corpuscles ثم الصفائح الدموية أو لويحات الدم Platelets هذه الطبقة أكثر كثافة من طبقة المصل لذا فهي تهبط دائماً .

أما البلازما أو مصل الدم فيتألف من ماء . وبه مواد شتى أهمها البروتينات وتبلغ نحو ٧ : ٨٪ من المجموع ، بعضها للتغذية وبعضها لتثخين الدم ، وسد الجروح بالتجلط ، كما تظهر لنا خبرتنا كل يوم إذا أصاب جلدنا جرح ، وبعضها الثالث لمكافحة الأمراض ، ويعرف بالمواد المضادة Antibodies (أي أنها تضاد الأمراض) . وفي السائل البلازمي ، أو المصل الدموي يوجد كذلك (الجلوكوز) أو السكر والدهون وكل ما أخرج من الأغذية بعد تفاعلها في الخلايا ، وكذا الأملاح ، وبالطبع فيه الأكسجين وثاني أكسيد الكربون وأشياء شتى غير هذه .

إن مصل الدم يحمل الزاد كله إلى الخلايا ، ويحمل ما يتحول إليه الزاد بعد تركه خلايا الجسم من نفايا لا يريدها الجسم فلا بد من خروجها من الجسم إما في البول ، وإما من الرئة أو غير ذلك .

الكرات الحمراء ..

إن كرات الدم الحمراء والبيضاء ، والكرات الحمراء هي أكثر الكرات عدداً ، ويبلغ عددها في الملليمتر المكعب الواحد من الدم في الرجل البالغ نحواً من ٥٤٠٠ر٠٠٠ كرة ، وفي المرأة نحواً من ٤٨٠٠ر٠٠٠ كرة .

والكرة الحمراء ليست كرة ، إنما هي خلية مستديرة كالرغيف الشرقي ، قطرها يقع بين ٧ و ٨ ميكرونان (والميكرون = ١/١٠٠٠ من الملليمتر) أما سمكها فميكرون واحد في أوسطها ، وميكرونان عند الأطراف ، فهي خلية مفرطحة مقعرة الوجهين .

وتظهر الحكمة من هذا التسطح عندما نذكر أن عمل الكرات الحمراء هو حمل الأكسجين ، من الهواء في الرئتين إلى كل خلايا الجسم ، فالخلايا تموت إذا لم يصلها نصيبها من الأكسجين ، والذي يحمل هذا الأكسجين هي الصبغة الحمراء التي بالكرة الحمراء ، وتعرف كيميائياً بالهيمجلوبين Hemoglobin . وهذه المادة تتركز أكثر من سطوح الكرة الحمراء لتأخذ أكثر ما تستطيع من أكسجين وهي في الرئة . وكلما زادت هذه السطوح زاد حملها للأكسجين . وشكل الكرات الحمراء الذي وصفناه أعون ما يكون على زيادة حمل الأكسجين . وقد قدر الحاسبون أن هذه الكرات ، لو كانت على شكل كرات حقاً ، إذن لاحتاج الإنسان من هذه الكرات إلى تسعة أضعاف ما بدمه

بقلم : د . نبيل سليم علي

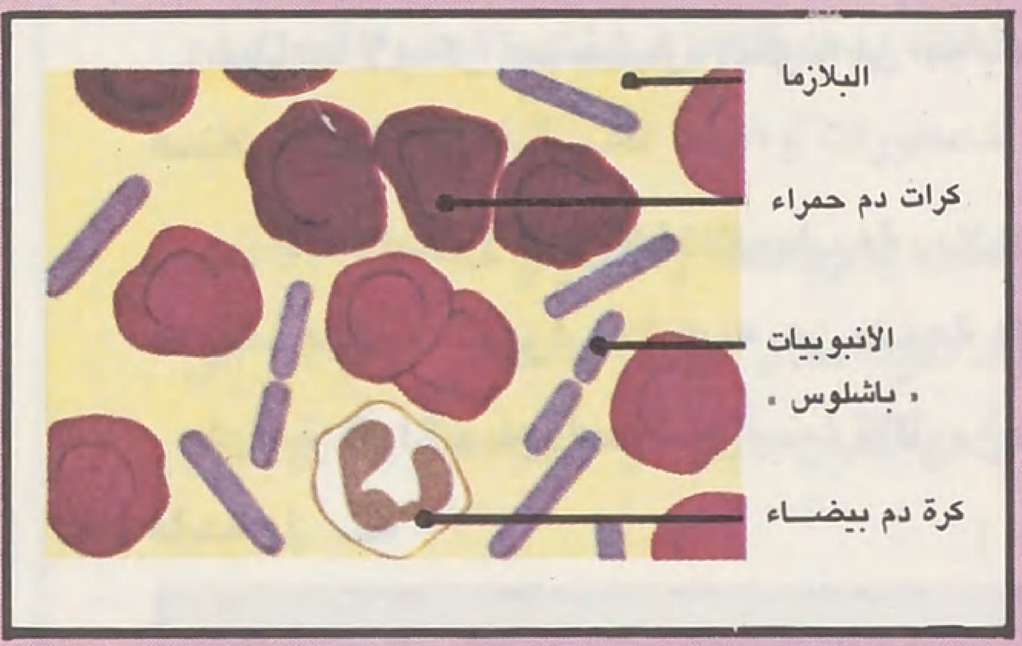

● مكونات دم الإنسان ●

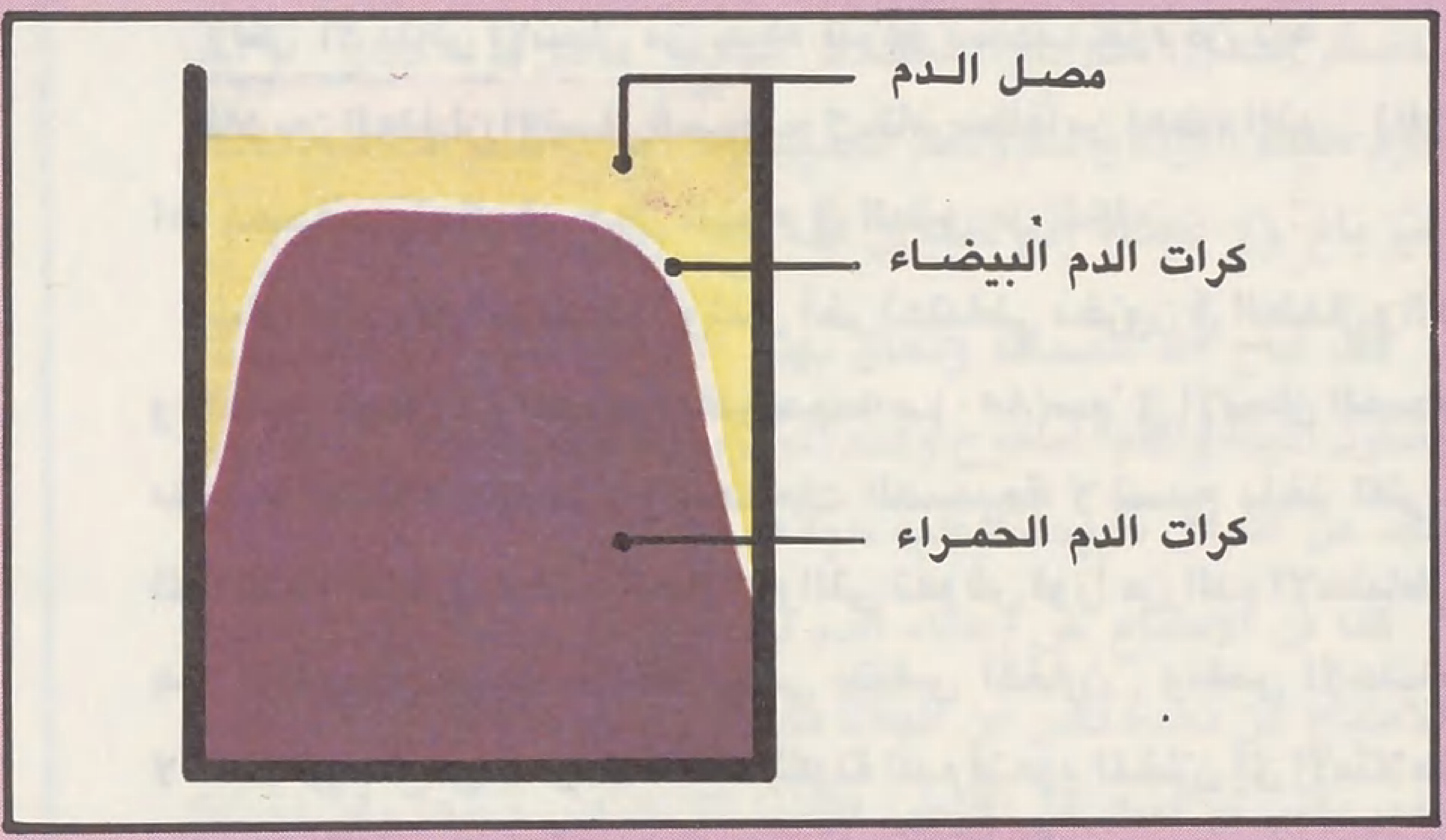

● تركيبات الدم في ترتيبها « الكثافي » ●

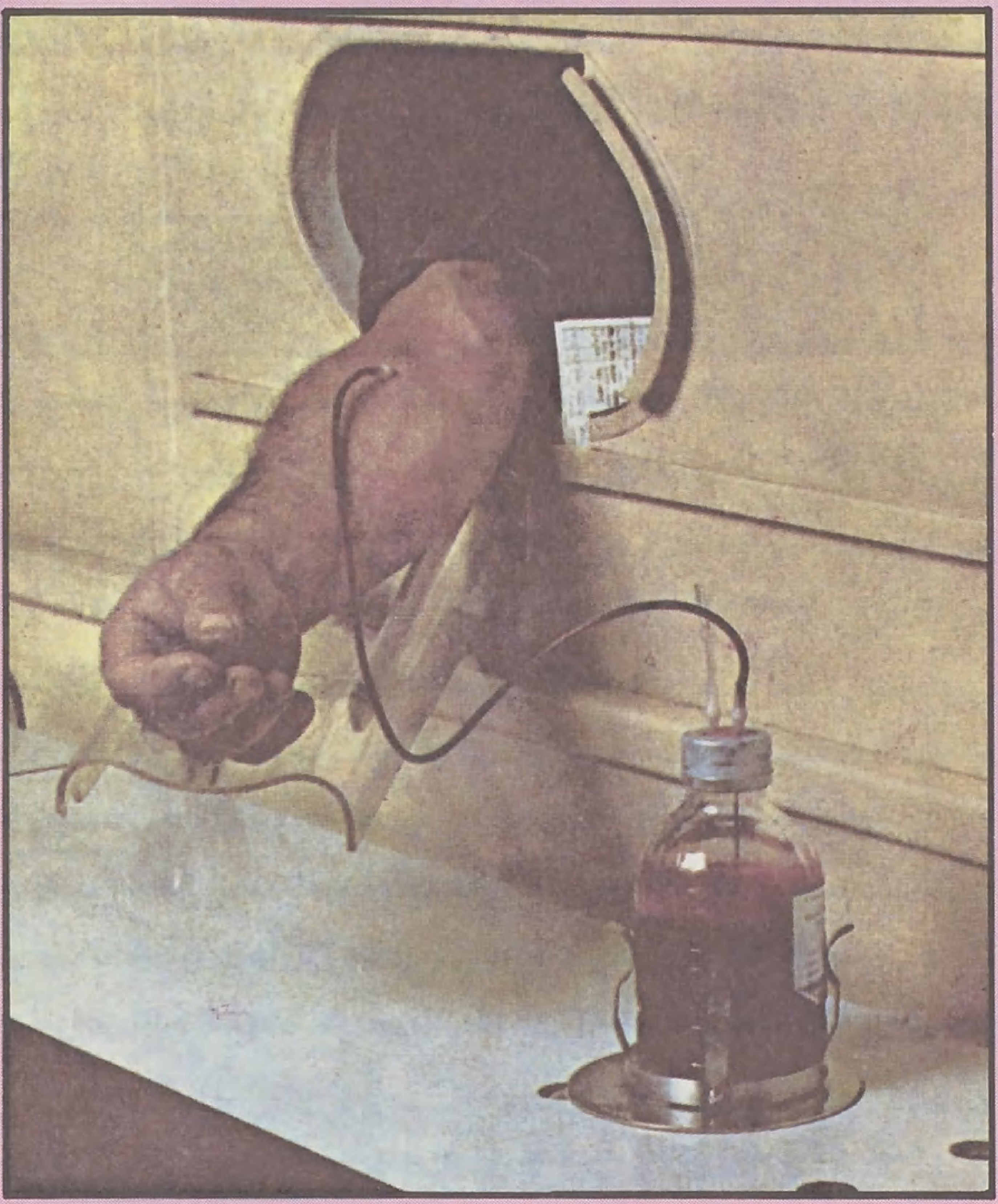

● إن التبرع بالدم يتم تحت رعاية طبية كاملة ●

اليوم من هذه الكرات المفرطحة ، مقعرة الوجهين .

والكرة الحمراء خلية حية ، ومع هذا فهي في الإنسان لا نواة لها ، وهي تسير مع الدم حيث سار ، فليس لها أداة للسير تسير بها على استقلال .

الكــرات البيضـــاء ..

وهي ليست كرات بالمعنى الهندسي ، بل هي خلايا لها أشكال غير منتظمة ، وتسميتها بخلايا الدم البيضاء أولى .. وهي ، على نقيض الكرات الحمراء ، لا لون لها ، ولها نواة ، وهي تتحرك في الدم بطاقة من نفسها ، ولا تكاد تهدأ حركتها وتتحرك وتتجه مع اتجاه الدم أو على العكس منه إذا شاءت .

وهي صنوف تبلغ أقطارها بضعة ميكرونات وقد تصل إلى نحو (١٥) ميكروناً . والكرات البيضاء تمثل «الشرطة» التي تحرس وتدفع الأمراض عن الجسم ، وأخطر عمل لها أنها تدفع عن الجسم الأمراض العفنة ، أي التي تنشأ بدخول الميكروبات إلى الجسم ، وإذا دخل ميكروب إلى الجسم فما أسرع ما تظهر عنده عدة من « رجال الشرطة » هذه - أي عدة من هذه الكرات - وتحيط الكرة البيضاء بالميكروب ، وتطوقه ثم تلتهمه فإذا هو في جوفها ، وإذا هي تعالجه بالهضم فتهضمه وتفنيه .

وهي معركة تقوم بين الميكروب الغازي ، المسبب للمرض ، وبين الكرات البيضاء ، وكثيراً ما يظهر أثرها قيحاً أبيض ، هو (الصديد) الذي يرى في «الدمل» عندما ينضج . وعندما يدخل الميكروب إلى الجسم تتسع شعيرات الدم عند ذلك الموضع ويحمر الجلد ، ونقول : إنه التهاب ، وما التهابه واحمراره إلا لزيادة الدم باتساع الأوعية الدموية في هذا الموضع ، وإنما اتسعت لتفتح الطريق إلى « رجال الشرطة » من الكرات البيضاء لتلتقي بالعدو المهاجم .

والمعركة قد تنتهي بفوز الكرات البيضاء وانتصار الجسم ، وقد تنتهي بفوز الميكروب فينتشر المرض في الجسم انتشاراً .

إنها ظاهرة من أعجب ظواهر الخلق ، نصفها وكان وراءها عقلاً يعمل ، وفرقة شرطة ساهرة على سلامة الجسم في الليل والنهار ، وهذا كله حق . ووجود العقل العامل وراء كل هذا معنى من معاني الحياة الأعمق الذي لا نستطيع إدراكه إلَّا تصوراً . ومع التصور الإيمان الصادق .

وعدد الكرات البيضاء يبلغ في الدم ما بين (٥٠٠٠) إلى (١٠٠٠٠) كرة ، ولكنه لا يثبت حتى في اليوم الواحد ، فهو يزيد مع المجهود ، ومع الانفعالات النفسية وغير ذلك ، كما يزيد عند المرض أي عندما يحتاج الجسم للدفاع .

ومن الأمراض المشهورة مرض سرطان الدم «لوكيما» ، وهو مرض يتزايد فيه عدد الكرات البيضاء في الدم حتى ليبلغ مليون كرة في الملليمتر المكعب من الدم ، وهو مرض وبيل .

صفــائح الــدم ..

وغير الخلايا الحمراء والبيضاء في الدم توجد الصفائح أو لويحات الدم ، وهي خلايا صغيرة لا نواة لها يقع قطرها ما بين ٢ : ٤ ميكرونات . ومتوسط عددها يبلغ في الملليمتر المكعب من الدم (٢٥٠,٠٠٠) ولها من النشاط مثل ما للكرات البيضاء ، وبذلك دلت الأبحاث حديثاً ، ولها في تجلط الدم شأن .

التبرع بالدم

وللذين يعنون بالأرقام ، حتى ولو كانت كبيرة ، نذكر ، أن جسم الرجل المتوسط الذي يزن نحو (٧٠) كيلوجراماً به من الدم نحو ستة ليترات ، فإذن يكون بجسم هذا الرجل نحو (٢٥،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠) من الكرات الحمراء اي (٢٥) مليون كرة ، وبه من الكرات البيضاء ما بين (٢٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠) إلى (٥٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠) كرة ، وبه من الصفائح او لويحات الدم (١،٢٥٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠) .

حـــالات نقـل الــدم ..

هذه ببساطة المعلومات الأساسية عن الدم وتركيباته ، فهل رأيت عزيزي القارىء اهمية الدم بالنسبة للجسم والحياة . وهل توافقني على ان نقل الدم إلى المريض ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها ؟!

ولكن ما هي اهم الحـالات التي يتطلب فيها الأمر نقل الدم ؟

إن الحالات التي يستطب فيها بنقل الدم كثيرة منها :

١ ـ حالات النزيف الشديد التي يفقد فيها المريض جزءاً من دمه مثل الصدمات ، والجروح الكبيرة ، والحروق ، والنزف عند النساء ، وفيها يعطى الدم كإسعاف سريع لإنقاذ حياة المريض .

٢ ـ التهاب الكليتين المزمن الذي يؤدي إلى هبوط او فشل كلوي .

٣ ـ أمراض الدم الخبيثة مثل سرطان الدم وفي هذه الحالات لا ينقذ حياة المريض إلا نقل الدم .

٤ ـ عند الأطفال لدى إصابتهم بأمراض معينة مثل انواع الحمى الوخيمة وقد نلجأ إلى تغيير مجموع الدم عند حدوث تسمم لدى بعض الأطفال بعد الولادة مباشرة .

٥ ـ في حالات انحلال الدم وذلك لدى التسمم ببعض المواد السامة او لدى حدوث انحلال مرضي في الدم .

٦ ـ عند القيام بأعمال جراحية لمرضى ضعيفي البنية ، فقد نضطر إلى نقل الدم إسعافاً لحياة المريض .

٧ ـ في العمليات القيصرية قد نلجأ إلى نقل الدم كإسعاف لحياة المولود .

٨ ـ في الإصابة ببعض انواع السموم كلدغات الأفاعي او التعرض لبعض الغازات السامة او تناول بعض السموم .

٩ ـ قد يضطر الطبيب إلى إعطاء الدم لمداواة بعض الأمراض مثل الأنيميا الخبيثة او الأمراض الجلدية .

١٠ ـ قد يضطر الطبيب إلى نقل الدم كإسعاف لحياة المريض اثناء معالجته لأمراض القلب او الرئتين او في امراض الأوعية الدموية ، وفي كل الأمراض التي تؤثر على كمية الدم فتؤدي إلى نقصها .

والحقيقة اننا لو اردنا أن نحصي الأمراض التي يستطب فيها بنقل الدم لوجدنا انفسنا أمام حقيقة لا مراء فيها ، وهي أن نقل الدم اصبح في هذا العصر حاجة ملحة لا يمكن ان تجد لها بديلاً خاصة في ايام الحروب ، كما ان اتصال الدم بالحياة هو حقيقة علمية لا يختلف فيها اثنان ، فالدم يدافع بكرياته البيضاء ضد غارات الجراثيم ، وبكرياته الحمراء ينقل الأكسجين إلى كل ناحية من نواحي الجسم وإلى كل خلية من خلاياه ، ومن اجل استمرار حياتها بما يسمى بالتنفس الخلوي .

ومن هنا نستطيع أن نستنتج استحالة الحياة بدون دم ولا ادل على ذلك من شعور الإنسان بالضعف والخمول ، وفتور الهمة ، والصداع والخفقان والضجر حين إصابته بخسارة دموية كبيرة ، هذه الخسارة الدموية الكبيرة لا بد من تعويضها بنقل الدم الذي ينقذ الإنسان بسرعة من خطر يتهدده كما هو واضح من الأمثلة السابقة . فيجب الحصول على الدم ولكن كيف .. ؟ ومن اين ..؟

صناعياً لا يمكن استحضاره لتكونه من خلايا حيَّة لا يزال العلم عاجزاً عن صنعها مهما كانت .

من الحيوانات لا يمكن لاختلاف طبيعة دمائها عن طبيعة دماء البشر ، كما تختلف طبيعة الحيوان وتركيبه عن طبيعة الإنسان وتركيبه .

لم يبق إلَّا الإنسان الصحيح البنية ننقل من دمه إلى آخر سقيم وفي حاجة ملحة إلى دمه .

فوائد نقـل الدم من السليم ..

ولكن الا يتاثر الإنسان من جراء تبرعه بسحب جزء من دمه ؟

لقد بين العلم ان الإنسان الصحيح لا يتاثر مطلقاً من إعطاء الدم .. ذلك ان الله سبحانه وتعالى قد جعل الدماء في البشر على شكلين :

شكل دوَّار يقوم بوظيفته ، وشكل آخر احتياطي مخزون في الطحال والكبد والنسيج المبطن من الجسم ، يقدر حجمه بـ(٨٥٠)سم³ في الإنسان الصحيح متوسط الامتلاء والقامة . والتعليمات الصحيحة لا تسمح بأخذ اكثر من ثلث هذه الكمية في احسن الحالات والتي تعوض فوراً من الدم الاحتياطي . هذا التعويض يسبب نشاطاً يسمى بتنفس المخازن . ونقص الاحتياطي لا يلبث ان يعوَّض بفعل الأعضاء المكونة للدم فتعود المخازن إلى الامتلاء كما كانت قبل الأخذ ، على ان اخذ الدم من الإنسان السليم عدا عن كونه غير ضار فإنه نافع في حالات أخرى مثل ارتفاع الضغط الشرياني ، القصور التاجي للقلب ، وما اكثر ما يصادف الإنسان من عواقب وامراض نتيجة عدم تنشيط الدم ومركباته وهذا ما حدا بالعديد من البشر ان يقبلوا على الفصادة والحجامة اللتين اكد فائدتهما العلاجية سيد المرسلين محمد ﷺ .

فقد « كان ﷺ يحتجم من الأخدعين ، وكان يحتجم لسبعة عشر وتسعة عشر » [اخرجه الترمذي] ، وكما قال ﷺ : « إذا اشتد الحر فاستعينوا بالحجامة لا يتبيغ (أي : يهيج) الدم باحدكم فيقتله » [أخرجه الحاكم] . فبالفصادة والحجامة او بسحب الدم بالإبرة تخف الحمولة عن القلب وعن الأوعية ، هذه الحمولة إذا ما زادت إلى حد اقصى تودي بحياة المرء وتجعله من الهالكين .

إذاً لا فرق من حيث الغاية بين الطريقتين القديمة او الحديثة في هذا التخفيف ، ومن حيث النتيجة فالفصادة لا تمكننا من الاستفادة من الدم المقطوف بينما اخذه من العروق الكبيرة بالسحب بالإبرة يحقق لنا نتيجة ممتازة ، وذلك بإمكان الاستفادة من الدم ونقله إلى إنسان مريض او جريح او امراة نازفة إثر ولادة حيث تكون الدماء بمثابة الخيط الفاصل بين الحياة والموت ، ويجب أن نعلم أن دم الإنسان يتكسر ، يتغير ، كلية كل (١٢٠) يوماً اي انه يستعيد حيويته كاملة مرة كل اربعة شهور ؛ مما يؤكد ان اخذ كمية التبرع البسيطة منه لن تؤثر على صحة الجسم السليم بشيء .

الــدين ونقـل الــدم ..

ولا شك ان الشريعة الإسلامية بقواعدها العامة واصولها الكلية ، فتحت الباب على مصراعيه أمام التقدم العلمي في معالجة المرضى ، وإنقاذهم من

أسباب الهلاك ، حتى جعلت تعلم الطب فرض كفاية على أفراد المجتمع الإسلامي ، ويغدو عيناً على الشخص الذي ينحصر فيه الاستعداد اللازم والكافي لفن معين من فنون الطب يحتاجه مجتمعه ، كما أباحت بعض المحرمات إنقاذاً للحياة : كأكل الميتة ولحم الخنزير وشرب الدم والخمر وغير ذلك عندما تبيح الضرورات المحظورات وعندما تقدر الضرورات بقدرها .

والدم حرام أكله أو شربه فهل يحرم نقله والتداوي به ؟

نقول : إن تحريم طعامه مؤكد لقوله تعالى : ﴿ قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ ... ﴾ (الأنعام : ١٤٥) .

وأما عن نقله والتداوي به فنقول :

١ - الدم وإن حرم طعامه لا يحرم نقله والتداوي به ، بل يغدو واجباً على المضطر إليه إذا تعين دواء منقذاً من الهلاك . بدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة : ٢٨) .

فقد أباح الله سبحانه وتعالى بهذه الآية للمضطر أن ينقذ حياته بتناول الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير إذا تعين الإنقاذ في ذلك ، ولم يجد من الحلال ما يحفظ عليه حياته .

كما أن الامتناع عن إعطاء الدم للتداوي به حرام : لأنه من قبيل الامتناع عن نجدة نفس من الهلاك مع القدرة على ذلك ﴿ وَمَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ (المائدة : ٣٢) . وقد ذكر المفسرون أن إحياء النفس معناه إنقاذها من الهلاك ، ولا ريب أن التبرع بالدم عمل مبرور وسعي مشكور ، فالمسلم ذو قلب فياض برحمة الخلق حتى بالحيوانات .. وقد جاء في الحديث الشريف : « في كل كبد رطبة أجر » [رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود] .

٢ - إن المحتاج إلى الدم كالظمآن الذي أشرف على الهلاك ولديك من الماء ما يطفىء به أواره ، ويبرد به غلته ، ويبقيه في زمرة الأحياء . وكما أن سقي الماء هذا أقرب القربات إلى الله سبحانه وتعالى ، فإن إعطاء الدم لمحتاجه المضطر إليه ، له هذه المنزلة الرفيعة في صالح الأعمال ، والله تعالى قال فيه : ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ .

التبرع واجب ديني ..

أفلا يبادر شبابنا إلى التبرع بدمائهم مأجورين مبرورين غير خاذلين لإخوانهم ، فإن النبي ﷺ قال في الصحيح : « المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يظلمه ولا يسلمه » [أخرجه الترمذي] . أي فلا يقبض يداً عن استبقائه دونما خذلان أو ظلم أو تركه فريسة للعدو المغتال ، ولا يحسب هؤلاء المتبرعون أن هذا ضار فإن التخفيف عن الامتلاء الدموي من أسباب الصحة .

وهنا دقيقة فقهية أحب أن ألفت الأنظار إليها هي :

أنه ليس من الجائز أخذ عوض عن هذا الدم المبذول ، ذلك لأن الإنسان مكرَّم محترم وفي القرآن الكريم ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ... ﴾ (الإسراء : ٧٠) .

فلا يباع شعره للنسج كما يباع وبر الإبل وصوف الغنم ، والدم كالشعر فيحرم بيعه كما يحرم بيع الشعر ، فليحذر المرء من هذا الإسفاف وهذا الشح بالخير على المضطر إليه فمن تعوض عن دمه فإنما يتعوض شراً ويأكل جمراً .

وإذا توافقت فصائل الدماء وضن القادر على الإغاثة بدمه إلا ببدل مقابل - وكانت الضرورة في المستغيث قائمة لا مفر منها ولا محيد - فالإثم يلحق آخذ المال لا الدافع له .

إن التبرع بالدم واجب عيني على الذي يتعين دمه دواء لمريض ، ولا يوجد غيره إذا لم تتعرض حياة المعطي للخطر . وإذا امتنع المعطي أجبر قضاء على الإعطاء ؛ لأن الامتناع من قبيل التواطؤ على قتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق .

والتبرع بالدم بشكل عام مندوب إليه في الإسلام وموعود بأعظم الثواب وأكبر الأجر . كيف لا وفيه إنقاذ حياة ودفع هلاك وتأمين وسلامة . كيف لا .. وإنقاذ المسلم واجب ..

بل إن التبرع بالدم يدخل في تجهيز الغازي ، ولتجهيز الغازي حكم المجاهد في سبيل الله ، ألم يقل ﷺ : « من جهَّز غازياً فقد غزا » وهل أفضل من تجهيزه بما يضمن سلامته وينقذ حياته لدى الإصابات ؟

كما أن التبرع بالدم فيه كشف كربة المسلم « من نفَّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » [أخرجه الترمذي] . وهل أشد من كربة الهلاك . وبالتالي هل أعظم ثواباً من إنقاذ النفس حيث هو إنقاذ للشخصية الإنسانية . فالتبرع بالدم مطلوب من المسلم ، ويصبح هذا التبرع واجباً عينياً على من تعيَّن دمُه دواءً حتى إنه يجبر عليه قضاء .

لهذا فإنني أدعو كل الهيئات الطبية والعلمية والثقافية والمهنية والإعلامية في الوطن العربي إلى تدعيم الدعوة ، وإرساء قواعدها ، وانتشارها من أجل زيادة عدد المتبرعين بالدم ، وذلك عن طريق :

١ - تخصيص برنامج دوري أسبوعي في الوسائل الدعائية لبيان أهمية ذلك (إذاعة - تليفزيون - صحف - مجلات - نشرات ... إلخ) .
٢ - إلقاء محاضرات في التجمعات الثقافية والسكانية حول أهمية وجود الدماء وضرورة تحضيرها وتجهيزها مسبقاً لإنقاذ الحياة .
٣ - إلقاء الخطب في المساجد وحث المصلين على التبرع بالدم وبيان رأي الشرع في الموضوع .
٤ - تشجيع التبرع بالدم وجعل المكافآت الرمزية ومنح الميزات للمتبرعين بشكل درجة فخرية للنوادي والفرق والنقابات ، وحث طلبة الجامعات والمدارس على التبرع .
٥ - التبرع بالدم من قبل المسؤولين والأطباء والعلماء ، بل ورؤساء الحكومات على شاشات التليفزيون وأمام الشعب بمناسبات خاصة حتى يذهب هذا الخوف من نفوس الناس .

وبعد فإن الإسلام دين الحضارة الإنسانية لم يقف حجر عثرة في سبيل التقدم الطبي الحديث بل شجعه .

ونقل الدم يعتبر اليوم من أروع الانتصارات الطبية الحديثة التي أنقذت آلاف المرضى والأصحاء على السواء من خطر الموت في شتى المواقف والأحداث المحرجة .

تصريحات وأقوال

■■ [إن تطبيق الحدود أمر ضروري لتطهير المجتمع من المفسدين .. والحدود ليست كل القوانين ، والشريعة ليست كلها قوانين ، والقوانين وحدها لا تصنع المجتمع المسلم .] ■■

(الدكتور يوسف القرضاوي)

■■ [إن كل تجربة إسلامية ليست لشعب بعينه بل هي للمسلمين جميعاً .] ■■

(برهان الدين ربَّاني ـ أحد قادة المجاهدين الأفغان)

■■ [لا يمكن أن نسمح باستفحال خطر الاتحاد السوفييتي ، وأن الحركات الدينية التي تمثل في نظري الخطر الأكبر على الأنظمة العربية المعتدلة وعلى أمن الخليج العربي واستقراره أكثر بكثير من خطر إسرائيل .] ■■

(ألكسندر هيج ـ وزير خارجية أمريكا السابق)

■■ [إن المسؤولية عن تلك الهزيمة ـ هزيمة عام ١٩٦٧م ـ تقع إلى درجة كبيرة على عاتق أولئك المشككين من مفكرينا الذين زعزعوا الأسس الأخلاقية والفكرية للشباب ، وألقوا بالقيم الإسلامية في رحاب الفوضى] ■■

(أبو الحسن الندوي)

■■ [إن الأمريكان رغم صعودهم للقمر إلَّا أنهم لم يتمكنوا من تحقيق الأمن والطمأنينة بالشارع الأمريكي .] ■■

(الدكتور أحمد صقر ـ رئيس الكلية الأمريكية الإسلامية بشيكاغو)

■■ [إن أثيوبيا تواجه الزحف الإسلامي في أفريقيا ، ويجب على كل النصارى في أفريقيا مساندتها .] ■■

(هيلا مريم ـ رئيس أثيوبيا والأمين العام للحزب الشيوعي فيها)

■■ [إن اليهود يخوضون اليوم مع العرب معركة المياه ، وعلى مصير هذه المعركة يتوقف مصير إسرائيل ، وإذا لم ننجح في هذه المعركة فإننا لن نكون في فلسطين .] ■■

(بن غوريون ١٩٥٥م ـ رئيس وزراء دولة العدو الأسبق)

● الدكتور يوسف القرضاوي ●

● الدكتور أحمد صقر ●

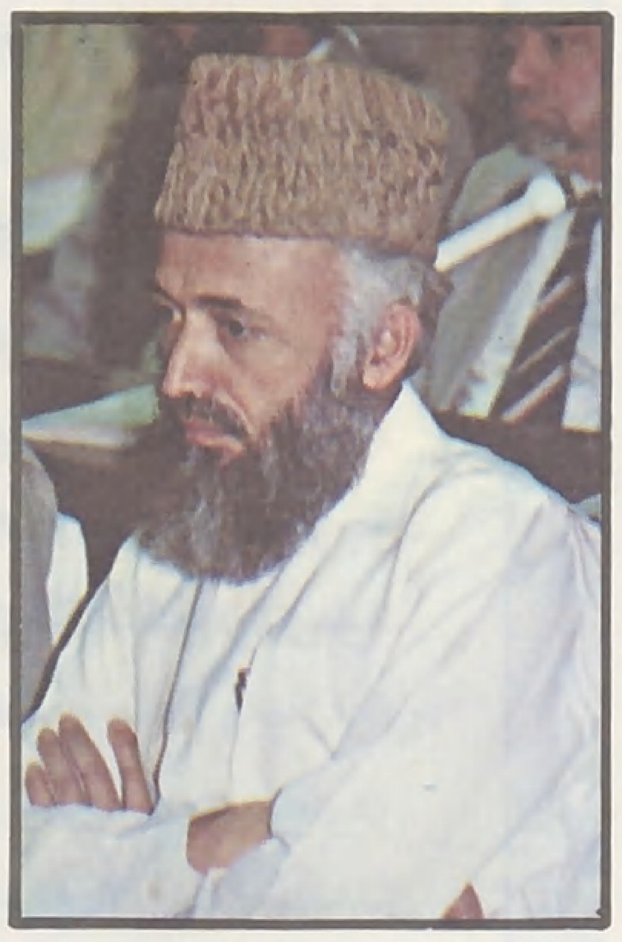

● برهان الدين ربَّاني ●

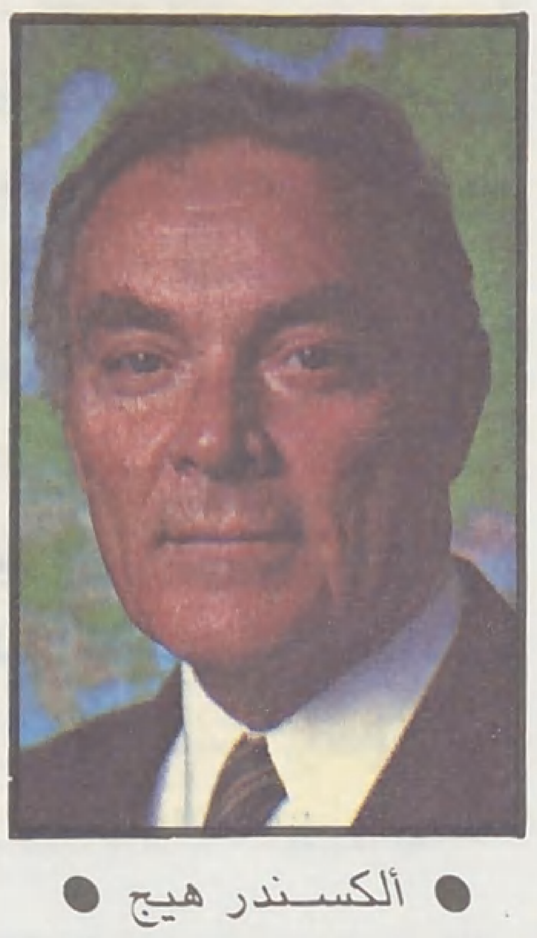

● ألكسندر هيج ●

قريب نصرنا

متى يا نصرُ تطلعُ في رُبانا — طُلُوعَ الفجْرِ من بعدِ اختناقِ
تُبدِّدُ كُلَّ أحزانِ الليالي — وتَجْعَلُ عيشَنا حُلْوَ المَذاقِ
لأنْتَ النُّورُ يَمْلأُ كُلَّ قلبي — بآمالٍ محبَّبَةٍ رِقاقِ
متى تَدنو فتَصْفعَ كُلَّ يَأسٍ — ونَنْعَمُ باللِّقا بعد الفِراقِ
أتبقى عن كَتائِبنا بَعيداً — وتَتْرُكُها تُلاقي ما تلاقي
لقَدْ زادَتْ مَصائِبُنا وكادَتْ — بها الأرواحُ تَصْعَدُ للتراقي
ففي « أفغان » محتلٌ بغيضٌ — وفي « لُبنان » بَحْرُ دمٍ مُراقِ
وفي القدسِ الشَّريف اليومَ أفعى — مَكائِدُها على قَدَمٍ وَساقِ
وفي كُلِّ الدُّنا الإسلامُ يشكو — ولا يَلْقى فِكاكاً مِنْ وَثاقِ
فهَلاَّ عُدْتَ فالأكبادُ ظَمْأى — تَكادُ تذوبُ مِن حَرِّ اشتياقِ
سأعْمَلُ في سبيلِك طُولَ عُمْري — ففيكَ عزيمتي ولَكَ انطلاقي
أخُوضُ إليكَ بحراً من لهيبٍ — ولاَ أخشى فَنائي واحْتِراقي
ستَرجِعُ للحمى وتعودُ حتْماً — لِتَمْسَحَ بالسَّنا لَيْلَ المَحاقِ
يَقُولُ اليائِسُونَ : لقد تولَّى — وهَيْهاتَ الرُّجُوعُ أو التَّلاقي
مُحالٌ أن نَرى لِلنَّصْرِ وَجْهاً — ولَوْ طِرْنا إلى السَّبْعِ الطِّباقِ
سَنَبْقى في انتكاساتٍ وذُلٍّ — ومَسْكَنَةٍ مُمَدَّدَةِ الرِّواقِ
ولكِنِّي أقُولُ : لَسَوْفَ تأتي — وتَنْهَضُ أُمَّتي بَعْدَ انْزِلاقِ
سَنُدْرِكُ ثأرَنا لاَ بُدَّ يَوْماً — ونَسْقي بالمَنِيَّةِ كُلَّ ساقِ
سَتَجْتَمِعُ القلوبُ على إخاءٍ — ويَنْتَصِرُ الوِفاقُ على الشِّقاقِ
لَقَدْ غَفَلَتْ كتائِبُنا زَماناً — وعادَتْ للصِّراعِ وللسِّباقِ
قريبٌ نصرُنا يا قَوْمُ جِدّاً — فَإنَّ الحَقَّ مُنْتَصِرٌ وباقِ

شعر: محمد محمد عبد العزيز صادق

الفصحى
والمناهج اللغوية الحديثة

■■ ليس فينا حاجة إلى تفصيل القول بأهمية اللغة، وعظم شأنها،، أو إلى بيان أنها هُوية الأمة ولسانها الناطق، وقلبها النابض، وعقلها الواعي الذي يحوي تراثها وثقافتها ومجدها. فهذه من الأمور البدهية التي يدركها القاصي والداني، ويستوي في معرفتها المتعلم وغير المتعلم؛ إذ الكل يعيش وسط آثار هذه اللغة، ويلمس الدور الكبير الذي تقوم به في التواصل بين الأفراد والجماعات، ويسمع ويرى الوسائل والأجهزة التي أفرزتها الحضارة المعاصرة لفهم وتقريب معطياتها من الإنسان ولتسهيل مهمته في العيش والحياة ■■

بقلم: عيسى أمين صبري

ولقد أدركت الأمم والشعوب هذه الأهمية للغة، قديماً وحديثاً، فلم تتوان كل أمة عن دراسة لغتها، والاهتمام بها، والحرص على نشرها وتعليمها للآخرين. ويحدثنا التاريخ عن جهود الإغريق المبكرة في النظر في لغتهم؛ فبحثوا في طبيعة اللغة ونشأتها، وتضافرت جهودهم في سبيل وضع قواعد لغتهم، ابتداءً من القرن الثاني قبل الميلاد. وشارك الفلاسفة اللغويين، فكانت أبحاث أفلاطون في أصل الكلمة، ومشكلة المعنى، أو العلاقة بين الأشياء والكلمات.

ودرس الرومان اللاتينية، وكما اقتصر الإغريق على لغتهم فقط، تابعهم الرومان في ذلك، فلم يدرسوا قواعد أية لغة غير لاتينية، كأنهم ظنّوا ـ أو ربما أرادوا ـ أن تصبح هذه القواعد قوانين عامة تصلح لجميع اللغات. وهي نظرة سادت في أوروبا، وظلت آثارها إلى سنوات قليلة مضت، إذ حاول اللغويون هناك تطبيق قواعد اللغتين اليونانية واللاتينية على اللغات التي انحدرت منهما، غاضين النظر عن مسافة الخلف بين هذه اللغات الحديثة وتينك اللغتين الميتتين.

وانصب اهتمام الإغريق والرومان أيضاً على وضع قواعد لما يمكن أن يقابل اللغة الفصحى أو الأنموذجية. وهي لغة لم تكن مُتَحَدَّثة آنذاك. وانشغل القوم بوضع قواعد وضوابط ومعايير لهذه اللغة، سميت بالقواعد المعيارية ولا تتغير بمرور الزمن. وهكذا أرادوا أن تكون اللغة الدينية المستعملة في النصوص المقدسة، وفي الطقوس، غير تلك التي يتحدث بها الناس في حياتهم اليومية، ومصالحهم الخاصة. **أي أن اقتناعهم هو ما يجب أن تكون عليه اللغة، وليس ما هو كائن بالفعل.**

وفي الهند، كان للكتاب الذي ألَّفه «**بانيني**» في القرن الرابع الميلادي، الأثر البارز في توضيح قواعد اللغة السنسكريتية. وهذا الكتاب الذي وضع أساساً لخدمة الديانة البراهمية، جاء فيه وصف النظام الصوتي والصرفي والنحوي لتلك اللغة وصفاً دقيقاً. **وقد ساعد اكتشاف العلماء الأوروبيين لهذا الكتاب في القرن التاسع عشر في نشوء الدراسات اللغوية المقارنة وازدهارها،** وأدى فيما بعد إلى تقسيم اللغات العالمية إلى أسر لغوية.

وتوالت الدراسات اللغوية بعد ذلك، فبعد المقارنات جاءت الدراسات التاريخية، إلى أن عرف الناس علم اللغة العام، الذي يعد العالم السويسري «**فيرديناند دي سوسير**» رائده بلا منازع. عندما ظهر كتابه «**محاضرات في علم اللغة العام**» بعد وفاته عام ١٩١٦م، وأبحاث هذا الكتاب تنبع من اللغات القديمة والحديثة.

وقد تعددت مناهج هذا العلم فيما بعد، وكثر أتباعه، واختلفت مدارسه واتجاهاته، وسادت الدراسة اللغوية الحديثة جميع أرجاء العالم.

تفوّق المسلمين في اهتمامهم بلغة قرآنهم

إذا كانت هذه الإطلالة السريعة على الدراسات اللغوية عند غير المسلمين توقفنا على مدى الاهتمام الذي حظيت به اللغة قديماً، وحرص أهل كل لغة على ربطها بالنصوص والترانيم المقدسة لديهم، أو المحاولة لتكون هي اللغة الوحيدة الأنموذجية، ثم نمو الرابطة القومية في أوروبا، والنظر إلى اللغة على أنها الأداة التي تجمع الشعب الواحد، إذا كانت هذه الحال عند غير المسلمين، فلا نعجب إذا رأينا الاهتمام الكبير من علماء المسلمين بلغة

القرآن الكريم ولسنا اعتزازهم وفخارهم بها ، حتى راحوا يذبّون عنها كل شائبة ، ويبينون خصائصها ، وجمالها ... فازدهرت العلوم اللغوية على أيديهم أيما ازدهار ، وبزغت في سماء العلم أسماء رجال أجلّاء عرفهم العالم وشهد لهم العلماء من جميع أصقاعه : **الخليل بن أحمد** ، **وسيبويه والدؤلي** ، **وأبو علي الفارسي** ، **وابن جني** ، **وابن فارس** ، **والثعالبي** ، **والسيوطي** ، **والأصمعي** ، **والجرجاني** وقوافل أخرى ممن خلّفوا لنا تراثاً تفوق ضخامته ما أتى به غيرهم . واستوفت اللغة جميع جوانبها النحوية والصرفية والصوتية والمعجمية والبلاغية .

علم اللغة الحديث وتأثيره على اللغويين

ويجدر بنا أن نلقي نظرة على الدراسات اللغوية الحديثة في الغرب ، حتى يتضح مفهوم **علم اللغة** Linguistics ولنتعرف على بعض مناهجه ، لنتلمس بعد ذلك الأثر الذي تركه هذا العلم على لغويينا ، أو لنرى مدى إسهامه سلباً أو إيجاباً في التأثير عليهم ، أو مدى انطباق مناهجه على لغتنا العربية .

أشرنا قبلاً إلى كتاب « **دي سوسير** » الذي يعد الركن القوي الذي استند إليه كل الذين تبعوه من دارسي اللغة . وقد حوى هذا الكتاب الذي أخرجه تلاميذ سوسير بعد وفاة أستاذهم ، جميع المسائل والأفكار الرئيسة والعامة لهذا العلم . وغيَّر النظر إلى اللغة باعتبارها وسيلة تُدرس مختلطة بغيرها من المعارف . ووضّح أنها يجب أن تُتناول لذاتها وفي ذاتها . وقد كانت أهم الآراء التي جاء بها سوسير فاتحة لدراسات ومناقشات واسعة لمن جاؤوا بعده سواء خالفوه أو تابعوه في هذه الآراء التي منها :

تفريقه بين مصطلحين لغويين هما : **اللغة** Language **والكلام** Parole .

ويقصد بالمصطلح الأول أية لغة وهي تلك الظاهرة المرتبطة بعقل المجتمع . أي أنها مجموعة قوانين وقواعد مختزنة في ذهن الجماعة اللغوية صاحبة تلك اللغة . وتكون بمثابة الأنموذج الذي يحتذيه الأفراد في كلامهم . على عكس الكلام الذي هو النشاط الفعلي الذي يتمثل في الأصوات المسموعة التي يُحدثها الفرد . وهو بالطبع يختلف من شخص إلى آخر .

وفرق « **دي سوسير** » أيضاً بين طريقتين في تناول المادة اللغوية هما الدراسة « **السنكرونية** » والدراسة « **الديكرونية** » أو الوصفية والتاريخية ، وحدد لكل منهما منهجه وكانت المناهج قبله غير واضحة تماماً ، أو يغلب عليها المعيارية .

وقد تضمن كتاب « **مساق في علم اللغة العام** » أيضاً بذور محاولة وضع القواعد العامة لجميع اللغات . ولكنّ الثورة الفعلية في الدرس اللغوي ، هي رأيه في دراسة الكلام المنطوق ، وإيلاؤه الأهمية الكبرى ، بإبراز قيمته وأنه يفضُل المكتوب بما يمتاز به من خواص ليست متوافرة في المادة المكتوبة .

وقد عمت هذه النظرة كل الدراسات اللغوية بعد سوسير ، وأصبح النظر في الحديث المنطوق هو الأساس ، بينما تراجعت المادة المكتوبة وعهدت دراستها لفقه اللغة أو « **الفيلولوجيا** » Philology .

هذه هي أهم الآراء التي تضمنها كتاب « **سوسير** » ، وهي الآراء التي تبناها اللغويون بعده ، وطوّروها ، وظهرت على أثرها فروع علم اللغة المختلفة .

والمعروف أن علم اللغة يدرس اللغة من جوانبها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، وقد أصبح لكل جانب من هذه الجوانب ، علم خاص به ، له أدواته ومصطلحاته التي تعددت ، وتنوعت . فهناك **علم الأصوات** Phonetics بقسميه وتفريعاته ، **وعلم الصرف** Morphology **وعلم النحو** Syntax **وعلم الدلالة** Semantics .

وقد اختلفت طرائق اللغويين في دراسة هذه المادة باختلاف ميولهم ومشاربهم ، فمنهم من يدرسها من الوجهة النفسية ، في إطار علم النفس اللغوي ، أو علم اللغة النفسي فيما بعد ، ومنهم من يتناولها لصيقة بالمجتمع أي ضمن علم اللغة الاجتماعي ، (وهكذا يفضل اللغويون هذه التسمية على علم الاجتماع اللغوي ، حيث إن اللغة هي مدار البحث) ، وعلم اللغة التربوي ، وعندما بدأ اللغويون يخضعون اللغة للآلة كالحاسب الآلي (**الكمبيوتر**) أو المعامل الصوتية ، أو التسجيلات ، ظهر علم اللغة التطبيقي ، وبرز مؤخراً علم اللغة الرياضي ، بعد الدراسات اللغوية وتطبيق نظريات رياضية عليها .

أمّا المناهج التي سادت القرن العشرين ، فأهمها اثنان استمدا خيوطهما من هذا المنحى الجديد في دراسة اللغة . أولهما هو المنهج الوصفي ، والثاني هو المنهج البنيوي .

أما الأول فقد اصطبغت الدراسة اللغوية بصبغته منذ أوائل هذا القرن ، وظل تأثيره مسيطراً حتى بعد ظهور كتاب « **نوام تشومسكي** » (**التراكيب النحوية**) عام ١٩٥٧م على الرغم من كون هذا المؤلَّف ردّة حقيقية على المفاهيم التي سيطرت في النصف الأول للقرن . خاصة تلك الآراء التي أتت بها المدرسة السلوكية بزعامة « **سكينر** » .

ولما تزامن ازدهار المنهج الوصفي في الغرب وانتقال المفاهيم والأفكار الغربية إلى بلادنا ، فلا غرو أن نلمس رياح هذا المنهج قوية عندنا . والمنهج الوصفي بفروعه وأنواعه ، يقوم على تصورات ونظرات إلى اللغة يمكن أن نجملها في :

١ - **تناول لغة واحدة « أو لهجة » معينة في فترة زمنية محددة** .

٢ - **الاهتمام والتركيز على الكلام المنطوق دون المكتوب في غالب الأحيان** .

٣ - **وصف القواعد والظواهر اللغوية كما هي ، دون أن يقحم الوصفي نفسه بمعايير الصواب والخطأ في اللغة ، وإنما ينظر إلى الظواهر - مهما كانت - بحيدة وتجرد تامّين** .

٤ - **عدم المفاضلة بين لغة وأخرى ، أو لغة ولهجتها** .

ولقد انتقلت الأفكار والمفاهيم والنظريات اللغوية الحديثة إلى بلادنا ، على أيدي

■ **إن الاستعمال الصحيح للغة هو الذي يحييها ويوقظ ما أُهمل من ألفاظها ويقوِّم ما اعوج من تراكيبها .**

الفصحى
والمناهج اللغوية الحديثة

المستشرقين الذين كانوا يحاضرون في جامعاتنا، ثم على تلاميذهم، أو جماعة الدارسين في الغرب، وكانت هذه الدراسات تتخذ أسماء تراوحت بين فقه اللغة، وعلم اللغة، واللسانيات، والألسنية، وقد ولّدت هذه الدراسات مناقشات، وأثارت مجادلات بين أنصار القديم والجديد، في العقود الأولى من هذا القرن وما تلاها من سنوات، وتساءل المحافظون عن القيمة الفعلية لهذه الدراسات، ثم ازدادت المناظرات عندما حاول الدارسون تطبيق هذه القوانين والنظريات على اللغة العربية، ومحاكمة التراث اللغوي على أساسها، وعدم التحرز من نقده أو لمزه أحياناً. وفي الوقت الذي رأى فيه أنصار الجديد هذه المناهج موازين لتقييم وتصحيح المعوجّ من القواعد والضوابط القديمة، وأحسوا ضرورة إفادة العربية من هذه المناهج إذا عولجت اللغة في ضوئها، كان المتشككون في المناهج الوافدة يرون أن هذا الضوء إن هو **إلّا تلك النار المستعرة المستعدة لأكل هذا التراث، وإفساد تلك اللغة. ورأوا في هذه المناهج أيضاً تحدياً حقيقياً، وأنه حلقة في سلسلة الأخطار التي رصدها الأعداء لمواجهة الإسلام ولغته. وهي - في رأيهم - مؤامرة لا تختلف عن الدعوة إلى العامية وإحلالها محل الفصحى، أو نبذ الحروف العربية، واستبدال الحروف اللاتينية بها.. وإن جاءت اليوم ترفل بثوب علمي، وتدّعي النزاهة والمعرفة الخالصتين.**

واكتفى أنصار هذا الرأي بما في تراثنا اللغوي، وارتأوا مسلك الأجداد في تقعيد اللغة، والنظر في مسائلها على طريقتهم، لأنها كانت خدمة للقرآن الكريم، ومسخّرة لحفظه وصيانته. لهذا يفضل كثير من الدارسين الدراسة في مجال فقه اللغة العربية، وهم ينتقدون في الوقت ذاته ما حمَّله بعضهم لمصطلح فقه اللغة من الدراسات المقارنة بين اللغات السامية، حيث عدّوا هذه المقارنات إحياءً للثقافات اليهودية، ورفعاً من شأن اللغة العبرية. وقد نبع شكُّهم وتوجسهم من كون التسمية «**السامية**» مستمدة من التقسيم التوراتي للشعوب، ومن أن علماء المقارنات معظمهم من اليهود الذين كانوا يهدفون إلى إبراز دورهم الحضاري وفضلهم على العرب. ويُذكر أن **شلولتسر** Schlozer هو أول من استخدم كلمة «**السامية**» في عام ١٧٨١م.

ومن حقنا الآن بعد أن خبت نار الجدل، وخفتت الأصوات المعترضة نسبياً، بسيطرة علوم اللغة، واستقرار تدريسها ودراستها في جامعاتنا، مثلها في ذلك مثل جميع فروع العلوم الاجتماعية، التي صبغت معاهد العلم في البلاد الإسلامية كعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم التربية، وسائر الفلسفات والمناهج الغربية التي تعددت فروعها، وكثرت مسمياتها ومصطلحاتها، من حقنا أن نتساءل عن تأثير هذه المناهج - ونحن نُعنى باللغوية منها هنا - على لغتنا وتراثنا.. ولا بد أن نشير قبل ذلك إلى أن الطريقة التعليمية لقواعد العربية لا تزال تُدرس للطلاب بالطريقة المعيارية، وتقتصر على حفظ القواعد وتطبيقاتها على النصوص.

أسلفنا بالذكر أن علم اللغة يولي الكلام في صورته المنطوقة جل اهتمامه، وأنه يعد المظهر المكتوب أمراً ثانوياً، وإن كان يدرسه في حالات وضمن مناهج محددة.

وليس لنا اعتراض على دراستهم للمنطوق، ففيه صفات - كما قالوا - حُرم منها الكلام المسجل في الكتب والمحفوظ في المدونات والمخطوطات. وللمادة المكتوبة أيضاً أهميتها المعروفة، فكلاهما إذن وجهان للغة الفصحى. وقد كنا نتوقع من لغويينا الإفادة من هذه النظرة والاهتمام بالمقروء أو المسموع من فصيح اللغة، ولكنهم بدلاً من ذلك سايروا العلماء الغربيين المعاصرين في دراسة اللهجات العامية التي أفرد لها علم خاص دعوه «**علم اللهجات**».

مسلك اللغويين القدامى له ما يبرره

وعندما نظر اللغويون العرب إلى تراثهم، فوجدوه خلواً من هذا الضرب من الدراسة، عابوا - على اللغويين القدامى، هذا النقص الذي تُمثل دراسته من وجهة نظرهم خدمة للفصحى وعاملاً مساعداً لفهمها. ولكن من الإنصاف أن نذكر هنا أن هذا المسلك من اللغويين القدامى له ما يبرره عندهم، فقد تملكهم حب الفصحى، وأخلصوا للغة القرآن، إلى الحد الذي صرفهم عن دراسة اللهجات المحكية، وهذا منحى طيب، ظلوا عليه حتى استوت علوم العربية، واكتملت فروعها، وعندئذ أضافوا استطرادات مبسوطة، وافتراضات كثيرة، وطرقوا مسائل وهمية في اللغة، تخيلوها وكدّوا أذهانهم في حلها.

ولا يفوتنا أن عدم إفرادهم دراسة للهجات، تزامن مع نضوج الفصحى واستواء سوقها، وازدهار علومها، فهل يسوغ لنا أن نهجرها نحن في زماننا هذا وحالتها هذه إلى دراسة العامية ؟!

تهافت علم اللهجات وخطره على الفصحى

أما الزعم بأن في تناول اللهجات الدارجة بالدراسة إثراءً للغة الفصحى المشتركة، وأنه يسدي لها خدمة المحافظة عليها، فهو زعم لم يقم عليه دليل عملي، ولا يؤدي قيمة فعلية، ولن يصل إلى نتائج مفيدة للغة القرآن الكريم، لسبب غير خفي هو أن أوليات علم اللهجات الحديث تقرر وتهدف إلى دراسة اللهجة المعينة لذاتها وفي ذاتها.

وإن قيل إن دراسة العامية أو اللهجات، تمثل حقاً للمنظّرين في أن ينظروا في كل ظاهرة، أو يرصدوا كل سلوك إنساني، فما بالك بهذه الظاهرة وهذا السلوك الذي يحيا معنا في غالب المواقف، ويعد من السمات المميزة لشخصية الفرد، ومحور تصرفاته ؟

ونحن لا ننفي هذا الحق أو نغمط أهله فيه، ولكننا في الوقت نفسه نضع الأولويات، ونرتب الأمور الأهم فالمهم فالأقل أهمية. لا يمكن لمطلع على حال اللغة العربية أن يُنكر الحالة التي هي عليها، والمشكلات في طريقها، والتحديات التي تواجهها. أفليس من الخير بل من الواجب إذاً أن نتوجه إليها بكلياتنا، ونتلمس صعابها، ونسير في السبيل الموصل إلى صمودها وعزها، بدلاً من إهدار الجهد والزمن في الأمور النظرية الثانوية. أو اتباع مناهج لا تؤتي أكلها بالنسبة للغة العربية، فهو أمر لا نحتاجه الآن، أو قُل إنه ترف علمي لم نصل إليه بعد.

على أن بالإمكان الاستنارة بظاهرة لهجية،

أو الرجوع إلى طريقة نطق لصوت أو لكلمة في لهجة محكية ، قديمة أو حديثة ، ولكن في إطار المنهج الشامل في دراسة اللغة ، الذي يغاير منهج علم اللهجات الحديث ، ويخالف هدفه .

المنهج الوصفي لا يصلح للغة العربية

وينظر المنهج الوصفي إلى التطور أو التغير الذي يطرأ على اللغة ، على أنه سنة طبيعية تصيب الكلام فتميت بعض الألفاظ ، وتنمي ألفاظاً ، وتغير أو توسع أو تضيق معاني ألفاظ أخرى . ويقف هذا المنهج موقفاً حيادياً من هذا التطور ، أو يقوم برصده بعد ملاحظته وتدوينه ، لاعتماده فيما بعد معياراً في قضية الصواب والخطأ في اللغة .

ولا شك أن هذا الصنيع ، إذا ما طُبِّق على اللغة العربية ، فإنه يفتح الباب على مصراعيه ، أمام أصوات وألفاظ وعبارات غريبة وخاطئة للدخول في جسم اللغة ، والعمل على إتلافه . ونحن مع إيماننا بخطورة هذه القضية ، نؤكد ضرورة دراستها دراسة شاملة ، ومعالجتها بوضوح وحيدة ، خاصة بعد أن تسربت إلى اللغة أغلاط مست بنية الكلمة والعبارة . نتيجة لضعف المستوى اللغوي ، وتأثير الترجمة غير السليمة من اللغات الأجنبية ، والجهل باللغة ، الذي يؤدي إلى كل ذلك .

ويقيننا التام هو أن ألفاظ وعبارات القرآن الكريم حيَّة لا تموت كما أن معانيها لا تموت ، وأن الاستعمال الصحيح للغة هو الذي يحييها ، ويوقظ ما أهمل من ألفاظها ، ويقوِّم ما اعوجّ من تراكيبها .

ولغتنا بطبيعتها ممتازة عن غيرها بما فيها من قدرة على الاشتقاق والمرونة ...

وإذا كان المنهج الوصفي الحديث يجعل أساس دراسته للغة ، تناولها في فترة زمنية معينة ، فإن تطبيق هذا المنهج على الفصحى يمسها من جوانب كثيرة . لأن هذه اللغة قد شرفت بنزول القرآن الكريم بها ، مما أكسبها صفة الديمومة ونفى عنها الانقراض . **وبذا لا يمكن أن نَعُدَّ المراحل التي مرت بها ، لغاتٍ تستقل كل مرحلة منها بخصائص وقواعد مختلفة** . فلا يجوز أن نفصل تراث الأجداد ، ونقعِّد للغة قواعد ، ثم ننظر في العربية المعاصرة وما لعبه التطور الشاذ فيها ، وندوِّن منها قواعد وخصائص ومفردات وأساليب لغوية جديدة ، **وهكذا نفعل عند كل حقبة جديدة ، وبتعدد الفترات ، نجد انفسنا امام لغة جديدة ، أو بعيدة عن لغة القرآن الكريم** التي تمسي متقوقعة في أغراض العبادات والشعائر الدينية فقط . وبذلك تنقطع صلتنا بالماضي وتحول الصعوبة اللغوية دون فهمها .

ولئن فهم من كلامنا ما يشي بنكران التطور مطلقاً ، فليس ذلك بصحيح . وسببه أن التطور الطبيعي الذي يثري اللغة لا يضاد سننها وقواعدها . ولقد عرفت العربية قديماً المجاز ، وغيره من الأساليب التي أفادت اللغة وأثرتها . ولكن لا نرضى أن يتسرب الخطأ والضعف في المستوى تحت ستار هذا التطور .

أمَّا الآراء التي جاء بها المحدثون ، والمتضمنة فكرة القواعد العالمية لجميع اللغات ، ففيها خروج عن سنن الحقيقة واختلاف الألسنة ، وهي تذويب للعربية ، ومحو قواعدها وكذا الحال أيضاً بالنسبة للترويج للغة العالمية ، أو الاقتصار على لغة واحدة لجميع البشر ، كلغة « الاسبرنتو » ذات الحروف والكلمات اللاتينية أو القريبة منها .

تلك هي بعض الأمثلة من آثار مناهج علم اللغة الحديث ، وخاصة المنهج الوصفي ، في لغتنا العربية . وقد عرضناها لنقف على الحقيقة لحاجة هذه اللغة إلى دراسة ورعاية واهتمام . إننا لا ندعي الصحة المطلقة في دراسة أجدادنا للغة ، كما لا نزعم أنهم قد وصلوا إلى مرحلة الكمال الذي يحرِّم تناول طريقتهم وأسلوبهم بالدرس والنقد ، فهم بشر يؤخذ من كلامهم ويرد . وحسب القوم أنهم كانوا مخلصين لهذا الدين ولغته ، وكانوا مدفوعين بعاطفة حب صادقة تجاه هذه اللغة ، ربما أنستهم سلوك منهج معين ، أو السير في قناة واحدة ، **فكانت النتيجة أن اندفعوا يخدمون هذه اللغة كلٌ بطريقته الخاصة ، وإن التقوا في النهاية في الغاية نفسها ، وهي هذه النظرة العملية الوظيفية للغة** .

لقد سبق أن عرفنا الصورة التي رسمتها الأمم قبل الإسلام للغاتها ، وهي صورة تظهر اللغة فيها بتلك الهالة الدينية المقدسة التي لا تلبي سوى الطقوس والمراسم في المعابد . **وقد اتت المناهج اللغوية الحديثة لتشبع الحاجات المادية العلمية والنظرية ، وصرفت انظارها عن الدين ، في سبيل إحياء القوميات الحديثة ، بعد أن وقف رجال الدين في وجه البحث** .

أما اللغة العربية ، فهي لغة حضارة خالدة أولت الجانبين المادي والروحي معاً اهتمامها ، وحققت الاعتدال والوسطية . لذلك لا بد في دراستها من منهج يضع في اعتباره تلك الحقيقة . وليس من شك أن هذا المنهج يولد مع الحضارة نفسها . وهذا يقود إلى القول : **إن المنهجية في اللغة ، تنبع من طبيعة هذه اللغة ، وخصائصها ، واغراضها** .

إن الفصحى ليست تلك اللغة اللاهوتية التي تحاط بهالة من التقديس تحجبها عن تلبية حياة المجتمع ، وتتركها قصيَّة عن القيام بدورها في تلك الحياة ، وهي ليست أيضاً تطرح الدين جانباً ، لتنساق مع تيار يُعجِّل بها إلى التذويب وفقد الهوية . وأنى لها المقدرة على إبعاد الدين ، وإقصاء القرآن الكريم ، والتنكر لفكر المسلمين ، وهي التي استمدت من كل هذه أسباب القوة والمنعة وطول العهد . وهي ليست كذلك تلك اللغة المرتبطة بفترة زمنية قصيرة هدفها إشباع حاجات مادية أو علمية مؤقتة .

إذن لا بد من منهج لغوي يحقق الوسطية المبتغاة لامتنا في الأمور الخيرة دائماً . تلك الوسطية التي تمتلك القدرة على التمييز والنقد ، ولا يغريها ركوب مطية التزييف مهما كان سهلاً ، وسطية يكون رفض المناهج الوافدة فيها صعباً ، ويحتاج إلى جهد ومثابرة ، كما يكون قبولها أيضاً صعباً ، ويحتاج إلى مثل ذلك الجهد والتمحيص ، وفي الوقت نفسه ، تُحسِن هذه الوسطية تناول تراثنا في اللغة خاصة ، وهو ليس بالهين ، وتكيّفه ، وتشكله ليكون خير عون لإنارة الطريق لحاضرنا ، كما كان كذلك في الماضي ، وكما يرجى له في المستقبل .

إننا لا نغمط بعض النتائج التي توصل إليها علم اللغة الحديث ، ولا يسعنا أن نغض البصر عن الآثار التي تمخضت عن الفروع التطبيقية لهذا العلم . **فقد استطاع علم اللغة التطبيقي أن يطوِّع الأجهزة ، ويفيد من الوسائل في حفظ الصوت ، أو تعليم اللغات ، أو مساعدة المعاقين بعاهات كلامية أو سمعية ، أو الالتجاء إلى الحاسب الآلي (الكمبيوتر) في صناعة المعاجم وغيرها من أمور اللغة** .

وبعـد ، فقد كانت بغيتنا أن تثير هذه الصفحات القليلة ، التأمل والتدبر في أمر اللغة العربية ، فهي أحوج الآن إلى دراسة علمية منهجية واعية ، مما مضى من زمن . وهي تستنهض أهلها وتستحثهم للقيام بواجبهم تجاهها .

اهتمام الإسلام بتغذية الطفل

■■ أثبت الطب الحديث أن العناية بتغذية الإنسان من حين تكوينه في رحم أمّه ثم أثناء طفولته ، لمن أهم الأسباب في تكوين جيل من الشباب القويّ بما له أيضاً من انعكاس على مرحلة الشيخوخة ، وأثبت كذلك أن الجنين أو الطفل إذا حُرم من الغذاء عامة أو من نوعٍ معين منه ، فإن هناك تغيرات سيئة تعقب هذا الحرمان لا يمكن البرء منها بعد ذلك ■■

بقلم : الدكتور فاروق مساهل

ويبدأ اهتمام الإسلام بتغذية الفرد المسلم منذ اللحظات الأولى من خلقه داخل بطن أمه ، وحيث إن مصدر غذاء الجنين هو أمّه التي تحمله في أحشائها ، فإن الإسلام اهتم بتغذية الأم ـ كزوجة وكحامل ـ لأنها الأصل بالنسبة للطفل ، ولأنها المنبت الذي ينشأ فيه الجنين وينمو في رعاية تامة ، وأمان كبير .

وبجانب حمل الزوجة للجنين وإنجابها للأولاد ، فإنها تتابع العناية بهم ، وتباشر عمل البيت ، وتسهر على راحة الزوج ، فكيف تقوى ربة البيت على مواجهة كل هذه المسؤوليات دون أن يكون الاهتمام بها وبما يعينها على تأدية وظيفتها الجليلة ، ويعطيها المقدرة البدنية لتأدية عملها السّامي ، ونقصد به الاهتمام بتوفير الغذاء الجيد لها ؟

لقد جعل الإسلام أعظم الثواب هو ثواب الإنفاق على الأهل ، فعن **أبي هريرة رضي الله عنه** قال : **قال رسول الله ﷺ** : « **دينار انفقته في سبيل الله ، ودينار انفقته في رقبة ودينار تصدّقت به على مسكين ، ودينار انفقته على اهلك ، اعظمها اجراً الذي انفقته على اهلك** » [رواه مسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد ـ واللفظ لمسلم] .

وسأل رجلٌ **النبي ﷺ** : **ما حق المرأة على الزوج ؟**

قال : « **أن يُطْعِمَهَا إذا طَعِمَ** ... » [رواه ابن ماجه . والمعنى لا تؤثر نفسك عليها بطعام] .

ويأبى إسلامنا العظيم إلَّا أن يثيبنا على كل شيء نحن مطالبون بعمله والقيام به ، حتى إطعام أهلينا وذوينا ، وقد جاء في الحديث الشريف : « **إنَّك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلَّا أُجِرْت عليها ، حتى اللقمة ترفعها إلى فيّ[1] امراتك** » [متفق عليه] .

واعتبر **الرسول ﷺ** حبس المال أو الطعام ، سواء بالبخل أو بالتجويع ، إثماً كبيراً ، فقال عليه الصلاة والسلام : « **كفى المرء إثماً أن يحبس عمَّن يملك قُوتَهُ** » [رواه مسلم] .

ويعتمد الجنين في غذائه وهو في بطن أمّه على ما يحتويه دم الأم من مواد غذائية تنتقل إليه عبر المشيمة ، فينمو ويكبر ، وتكتمل أطواره ومراحله بإذن الله .

ولما كان من المستحيل على الجنين أن يخرج إلى العالم المحيط به ليحصل على ما يريده من طعام ، فإن احتياجاته داخل الرحم من الغذاء لها الأسبقية والأفضلية على أمّه ، فالأم تستطيع الحصول على ما تشاء أينما وكلما أرادت ، فإذا حيل بينها وبين ما تريد ، ظهرت عليها أولاً عوارض نقص هذا الصنف من الغذاء ثم تظهر بعد ذلك على الجنين ، ومثال ذلك مادة **الكالسيوم الضرورية** لتكوين وصلابة الهيكل العظمي في الإنسان ، فإذا

كلمـــة

الخـرق الكبيـر

□□ لقد كان الأثر السلبي للمواقف الدفاعية أظهر ما يكون في مجال المرأة ، حيث قذف إلينا أعداء الإسلام بمجموعة مشكلات تحكمت بمسارنا الذهني ، واستهلكت الكثير من جهودنا وأوقاتنا ، وحالت دون إبصار مهماتنا الرئيسة ومشكلاتنا الحقيقية ، وكلما أوشكنا أن نتخلص من مشكلة قذف إلينا أعداء الإسلام بأخرى لتستمر عملية التحكم واستنزاف الطاقة الذي أشرنا إليه .

ولا بد لنا من الاعتراف بأننا أوتينا من قبل المرأة ، وكان الخرق المريع في الأسرة أخطر مؤسساتنا الاجتماعية وأبعدها أثراً ، ولقد ساهمنا سلبياً في ذلك حيث إننا لم نعط المرأة ما أعطاها الله ، ولم تطق نفوسنا التخلص من موروثات الجاهلية النفسية ، فعمليات الوأد النفسي مستمرة في كياننا وثقافتنا وألفاظنا وممارساتنا اليومية ، والدفء التربوي الذي يعيشه الذكور مغاير تماماً لما تلقاه الإناث .

إنه الثغر المفتوح في حياتنا الإسلامية الذي أوتينا من قبله ، لأن جلّ دفاعاتنا كانت على حساب بناء المرأة وتربيتها من جانب وعلى محاصرتها وتحكم العادات والتقاليد الجاهلية والموروثات التي انحدرت إلينا من عصور التخلف والانحطاط وأصبحت عند بعضنا ديناً تجب المحافظة عليه من جانب آخر ، هي التي حكمت ممارساتنا وأفقدتنا المرأة المسلمة والبيت المسلم □□

لم تداوم الأم على تناول الأطعمة المحتوية على عنصر الكالسيوم (مثل اللبن والخبز والزبد والبيض) وأيضاً على فيتامين دال الذي يساعد على امتصاص مادة الكالسيوم من داخل الأمعاء ، فإن أعراض مرض الكساح تبدأ في الظهور على الأم ، وأهم هذه الأعراض هي تقوس عظام الساقين ، وآلام في العظام كافة ، وضعف في العضلات يؤدي إلى العجز عن النهوض من المقعد أو صعود الدرج ، ثم بعد ذلك تظهر هذه الأعراض على الجنين ، هذا إذا لم يتدارك الموقف وتحصل الأم على مددٍ ملائم من الكالسيوم وفيتامين دال .

ونتيجة لاعتماد الجنين كلية على دم أمه فيما يحمله له من الغذاء ، وحتى لا يتأثر هذا الغذاء - سواء في كمه أو في كيفه - فإن الإسلام رخَّص للحامل (وللمرضع) بالإفطار في شهر رمضان ، فلقد جاء في الحديث الشريف : « **إن الله وضع عن المسافر الصوم ، وشطر الصلاة ، وعن الحبلى والمرضع الصيام** » [متفق عليه] .

والحكمة من وراء الترخيص للحامل بالفطر في شهر رمضـــان هي استمرارية مدّ الجنين في بطن أمّه بالغذاء اللازم لبنائه وهو في طور التكوين ، حيث إنَّه لا يصبر على ما تصبر عليه أمّه من الجوع ، وكيف للجنين أن يخبرنا بأنه جوعان ؟! إن أعضاءه وخلاياه قد تتلف بصورة دائمة إذا تأثر تدفق الغذاء إليه بصيام أمّه ، وهذه قمة الشفقة والعطف على الجنين وعلى من تحمله في أحشائها .

ويظهر لنا الإسلام اهتمامه المقرون بالرحمة والعناية بالأم وبطفلها أثناء ولادته ، فيذكر لنا القرآن الكريم لحظة ولادة مريم البتول لابنها عبد الله ونبيه عيسى عليه السلام ، وهي وحيدة ليس معها أحد يعينها ويخفف عنها من أزمتها التي جعلتها تتمنى انها لم تُخلق ولم تكُ شيئاً على الإطلاق : ﴿ **فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً**(١) **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً**(٣) ﴾ (**مريم : ٢٤ - ٢٥**) .

فالمرأة أثناء الوضع تبذل مجهوداً جسمانياً كبيراً ، تشترك فيه عضلات الجسم كلّه ، هذه العضلات تحتاج إلى طاقةٍ جاهزةٍ أولاً بـأول لاستكمال عملية الوضع ، والطاقة التي تحتاجها العضلات تأتيها من السكر الذائب في الدم بعد تحريكه من مخازنه المحدودة في الكبد ، والبلح الرطب يحتوي على السكر الجاهز للاستعمال ، لأن هذا البلح سهل الأكل ، لا يحتاج إلى هضم ، سريع الامتصاص من الأمعاء ، فيصل السكر إلى العضلات لإعطائها الطاقة الضرورية لمشاركتها الفعلية في عملية الوضع ، ومن الأم يصل السكر إلى الجنين أيضاً فينعشه ، خاصة إذا طالت عملية الوضع .

وأما الماء فهو هام لتعويض ما يفقده الجسم من العَرَق الذي يصاحب كل مجهودٍ عضلي ، بالإضافة إلى تعويض حجم الدّورة الدموية عما فقدته من الدم المصاحب لعملية الولادة .

ولما كان من المستحيل هذه الأيام أن يؤتى لكل امرأة أثناء وضعها بجدول ماءٍ عذبٍ ، ورطب لذيذ ، فإن الطب الحديث قام بإذابة السكر في الماء ، وسماه محلول **(الجلوكوز)** ، يعطى للأم بعروقها في المستشفيات ودور الولادة أثناء وضعها !

ولقد ألزم الإسلام الزوج بالنفقة على الزوجة المطلَّقة الحامل حتى لا تُهْمَل ويُهْمَل معها جنينها ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ** ﴾ (**الطلاق : ٦**) .

تحنيك المولـــود(٤)

حينما أتيح للسيدة **أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما** أن تهاجر من مكة إلى المدينة فراراً بدينها ، كانت قد أتمت حملها بابنها **عبد الله بن الزبير** ، وما إن بلغت **قُباء** حتى وضعت وليدها ، فكبّر المسلمون وهلّلوا ، ولم لا ، فهو أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة ، **ثم أتت النبي ﷺ ووضعته في حجره ، فبشّ له المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، ودعا بتمرة فمضغها ثم حنّكه بها ، ثم دعا وبرّك عليه ، فكان ريق الرسول ﷺ أوّل ما دخل في جوف عبد الله بن الزبير رضي الله عنه** .

وكانت تتكرر عملية **التحنيك** هذه كلما أراد الأبوان نوال دعاء النبي عليه الصلاة والسلام للمولود عقب ولادته مباشرة .

والتحنيك ـ بكل المقاييس ـ معجزة نبوية طبية ، مكثت البشرية أربعة عشر قرناً من الزمان لكي تعرف الهدف والحكمة من ورائها . فلقد تبين للأطباء أن كل الأطفال الصغار (وخاصة حديثي الولادة والرضّع) معرضون للموت لو حدث لهم أحد أمرين :

١ - **إذا نقصت كمية السكر في الدم (بالجوع)** .

٢ - **إذا انخفضت درجة حرارة اجسامهم عند التعرّض للجو البارد المحيط بهم** .

فالطفل - بعد ولادته - يجد نفسه وقد انفصل عن أمه ، وانقطع سيل الغذاء الجاهز إليه ، فيلجأ إلى الاعتماد على ما استطاع جسمه من تخزينه من طعام - وهذا ليس بالكثير - أثناء حمله في رحم أمّه ، وحتى إفراز اللبن من ثديها ، والذي قد يستغرق وقتاً متفاوتاً من الزمن (من يوم إلى ثلاثة أيام) .

وبما أن نشاط أجهزة الجسم في الطفل حديث الولادة تكون في قمتها ، فإن المخزون في جسمه يُستهلك بسرعة ، وتنخفض تبعاً لذلك نسبة السكر في الدم ، ووقتها تبدأ أعضاء الجسم في الشكوى من قلته ، حتى إذا انخفض إلى مستوى ضئيل تَلِفت الأنسجة ، وأول ما يتلف هو المخ ، نظراً لحساسية خلاياه الشديدة لنقص السكر ، ويعقب تلف المخ - في معظم الأحوال - الموت .

وحيث إن الفترة الحرجة في إطعام المولود الجديد هي ما بين اكتمال عملية وضعه والبدء برضاعته ، فإننا نلاحظ تدخل رحمة الله سبحانه وتعالى بالأطفال على يد نبيّه ﷺ ، وذلك بتحنيكهم بالتمر المملوء بالسكر ، والذي يمتص بسرعة في عروقهم ليحافظ على مستوى السكر في دمائهم ، أو يرفعه إلى مستواه الطبيعي إن كان قد انخفض فعلاً .

وتتأكد لنا المعجزة النبوية التي تهتم بشحن الطفل حديث الولادة بالسكر بواسطة التحنيك إذا علمنا أن لبن الأم (في الإنسان) يحتوي على كمية من السكر أكبر بكثير من تلك التي توجد في لبن الرضاعة لأي من مخلوقات الله الأخرى مما يدل على أهمية السكر القصوى للأطفال ، وعلى سبيل المثال :

	سكر	بروتين	دهن
لبن الأم (الإنسان)	٧,٢	١,٤	٣,٧
البقـر	٤,٩	٣,٤	٣,٩
الماعـز	٤,٨	٣,٣	٣,٨
الغنـم	٤,٥	٥,٥	٦,٥

(**الأرقام السابقة هي نسب مئوية**)

ومن التحنيك نشأت عند الناس عادة إعطاء الطفل بعد ولادته الماء المحلى بالسكر حتى يبدأ ثدي الأم بإفراز اللبن .

وأول دفعة من لبن الأم يرضعها الطفل الصغير هو ما يسمى بلبن « **المسمار** » ، وهذا فضل من الله سبحانه وتعالى ورحمة بالطفل حديث الولادة الذي لم يطعم شيئاً ، ويتغير تركيب اللبن تدريجياً ، وعلى مدى ثلاثة أيام ، حتى يصبح اللبن بالشكل العادي الذي يرضعه الطفل ، ويفي باحتياجاته في مرحلة الرضاعة .

الرَّضــــاعة

اجتاحت العالم - وما تزال - موجة من الغضب ضد الجهات الصحية وضد شركات تحضير اللبن المجفف للأطفال الرضع ، حيث أثرت هذه الشركات ثراء فاحشاً على حساب قتل الآلاف من أطفال الدول النامية والمتخلفة ، والتي يسبب نقص الطعام وسوء تغذية الأمهات شحّ اللبن في أثدائهن فيلجأن إلى اللبن المجفف ، ولكن تحضير كل رضعة من هذا اللبن يحتاج إلى ماءٍ مغلي نقي من الجراثيم الشائعة

اهتمام الإسلام بتغذية الطفل

التي لو دخلت جوف الطفل لفتكت به ، ولقضت عليه : ليس هذا فقط بل حتى لو تهيأت الوسائل لغلي الماء ، فإن قارورة اللبن وما عليها من حلمةٍ اصطناعية ، تتعرض للتلوث بالجراثيم حينما لا تكون في فم الرضيع .

أضف إلى ذلك أن عملية إرضاع الطفل من اللبن المجفف تتطلب من أساسها إدراكاً ووعياً صحياً لا يتوفران في البلاد النامية ، والتي تكثر فيها نسبة وفيات الأطفال بسبب رضاعتهم للّبن المجفف .

على أن توفر وسائل تعقيم الماء ، وارتفاع مستوى المعيشة ، لم يجعل الأمهات في الدول المتقدمة يقلعن عن عادة إرضاع أطفالهن اللبن المجفف ، وغرضهن من ذلك هو الاحتفاظ بالمنظر الخارجي لأثدائهن وذلك لأمرٍ في أنفسهن(٥) .

الرضاعة من ثدي الأم

وللرضاعة من ثدي الأم مزايا عديدة ومتنوعة :

١ ـ فالطفل يرضع لبناً نظيفاً معقماً ،

٢ ـ ليس بارداً ولا حاراً ،

٣ ـ **متوفراً في كل الأوقات** ، يتدفق غزيراً في الثدي بمجرد سماع الأم لبكاء صغيرها ، ويستمر تدفقه برضاعة الطفل من الثدي .

٤ ـ **لا يفسد بالتخزين** .

٥ ـ **يتناسب ومعدة الرضيع** . فلبن الأم يحتوي على نوعين متساويين من البروتين هما : بروتين الجُبْنين ، والزلال اللبني ، وهما يتناسبان مع مقدرة قناة الطفل الهضمية ، بينما كل البروتين الموجود في لبن البقر والذي يستخدم مجففاً لإرضاع الطفل هو من بروتين الجُبْنين الذي يتناسب ومعدة العجل الصغير .

٦ ـ **يفي باحتياجات الطفل الرضيع** . بخلاف **نوعيَّة** البروتين الذي يحتويه لبن الأم ، فإن **كميَّة** البروتين تعادل خُمس كمية البروتين الموجود في لبن البقر ، والسبب في ذلك هو أن معدل النمو في أطفالنا أقل من معدل نمو العجل .

٧ ـ **يضفي على الطفل مناعة خاصة ضد الجراثيم** : إن من عناية الله سبحانه وتعالى بأطفالنا الذين يرضعون لبن أمهاتهم خلال الشهور الأولى عقب ولادتهم حمايتهم من شر كثير من الأمراض الشائعة في الأطفال .

فالطفل يحمل في جسمه مناعة اكتسبها من أمّه خلال فترة حملها فيه (كالمناعة ضد مرض الحصبة والتي تستمر أثناء الشهور القليلة الأولى من عمر الرضيع) ، ويحمل لبن الأم للطفل عناصر الوقاية ضد أمراض أخرى وأهمها الوقاية من النزلات المعويَّة ، والتي ينشأ عنها القيء والإسهال وجفاف الدورة الدمويَّة .

فماذا يحدث لو حُرِم الطفل من الرضاعة من ثدي أمه ؟

إن لبن البقر لن يحمي أطفالنا من الإصابة بالنزلات المعوية ، لأنه لا يحتوي على عناصر الوقاية التي يحتوي عليها لبن الأم .

٨ ـ **الرضاعة المباشرة من ثدي الأم تمنع حدوث البدانة في الأطفال ، فالأم التي تغذي طفلها على لبن البقر المجفف تُحضِّر كل رضعة بناءً على تعليمات ثابتة مكتوبة دون اعتبار لا لمعدة الطفل ولا لاحتياجاته ، وتصحبها بالإصرار على تفريغ كل محتويات القارورة في بطن الطفل الرضيع ، وكما ينطبق على الكبير الاتزان في تناول الطعام**

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ (**الأعراف** : ٣١) فلا بد من مراعاة ذلك أيضاً على الصغير ، فبعض الأمراض التي تصيب الكبير تبدأ بالإسراف في إطعام الصغير (مثل بعض أمراض القلب) .

٩ ـ **يزداد وزن الأم أثناء حملها في جنينها ، ومن بين أسباب زيادة وزنها هو تخزين الدهن داخل جسمها** (والذي قد يصل إلى أربعة كيلوجرامات) ، لكن هذا الدهن ليس له فائدة أثناء حمل الأم في جنينها ، إذاً لماذا يخزن في بدنها أثناء فترة الحمل ؟

إن تخزين هذا الشحم إنما هو من كرم الله سبحانه وتعالى على أطفالنا ، ومن عطفه جلّ وعلا على الأطفال الذين يبدأون في الرضاعة من صدور أمهاتهم ، فهو مخزون على ذمة رضاعة الطفل من ثدي أمه ، يستعمله جسم الأم في تحضير اللبن في صدرها ، لأن عملية تحضير اللبن وإرضاع الطفل تحتاج إلى طاقة جسمانية هائلة ، فإذا لم يرضع الطفل من ثدي أمه فإن هذا الشحم لن يتصرف ، ويظل مخزوناً في جسم الأم مساعداً في حدوث البدانة عندها .

١٠ ـ **والرضاعة من ثدي الأم تنمي الحنان وتقوي الرابطة العاطفية بين الأم ووليدها** .

من أجل كل هذه المزايا ـ وغيرها ـ فإن الأم المسلمة ملزمة بإرضاع طفلها من ثديها ، لأن هذا اللبن هو غذاء الطفل الذي رزقه الله إياه ، ولا يعقل أن يُحال بين الطفل وبين طعامه الذي هيَّأه الله سبحانه وتعالى له .

ولكن هناك حالات تستدعي استعمال القارورة في تغذية الطفل (كانكماش حلمة الثدي أو التهاب الثدي) ، وهذه حالات استثنائية ، قد تكون مؤقتة أو دائمة ، وفي مثل هذه الحالات إن لم يتوفر للطفل الصغير مرضعة ترضعه من ثديها ، فلا بد من استخدام اللبن المجفف مع الأخذ بكل الاحتياطات اللازمة .

هوامـش

(١) أي : فمهـا .

(٢) جدول الماء الصغير .

(٣) البلح الرطب الطريّ .

(٤) الحنك هو الفم .

(٥) ستون بالمائة من أفراد الشعب الأمريكي لم يرضعوا مطلقاً من أثداء أمهاتهم ، وتزداد هذه النسبة إلى ٨٠٪ بعد أن تُوقِف الأمريكيات إرضاع أولادهن بعد ٣ شهور من ولادتهم .

أم مسلمة

بقلم : الاخت أم عبد الرحمن

■■ عرفتها في يوم محنة فكانت بلسماً وشفاءاً ، وكانت عوناً وعضداً قوية استندتُ إليها رغم قرب عهدي بها .

حسبتها جيلًا راسخاً بل قل : شجرة باسقة أصلها ثابت وجذورها تمتد إلى ألف وثلاثمائة عام تمتص عبيرها من سيف طارق ابن زياد الذي فتح الله به بلاد الأندلس .

إنها أم .. مجرد أم !! وكم من النساء حملن هذا اللقب ولايعرفن مما يعنيه الا القليل ؟

إنها أمُ مسلمة يجب على كل مسلمة في عصرنا أن تتعرف عليها وعلى بعض مآثرها لأنها واحدة من أولئك الجنود المجهولين الذين تقوم على سواعدهم الأمم وتحمى بهم العقائد .

في المغرب العربي ، وفي واحدة من المستعمرات الأسبانية ولدت ونشأت يتيمة الأم ، وكانت لاتقرأ ولاتكتب ولم تنتسب إلى جامعة ولا إلى مدرسة ولم تتصل بمؤسسات الثقافة . ولم تعش حياة الرفاهية ، ولا سكنت القصور ، بل سكنت ومازالت تقطن قرية مافتىء المستعمر الأسباني يحاربها في عقيدتها واقتصادها ورفاه شعبها .

تعلمت هذه الأم في مدرسة الحياة والتجارب ، وتربت على الاعتزاز بالإسلام ، ونشأت بالمعاناة والصبر والمجاهدة ، وتخلقت بالنجدة والإيثار وتقديم العون لكل إنسان وطلب العلم من كل مكان تجده فيه .

عندها من الوعي والإدراك مالم أره قط بين الكثيرات من المتعلمات والجامعيات ، ولديها من الكرامة والعزة مالم أعرفه إلا في حياه اللواتي فهمن دقائق الإسلام وكلياته .

وتملك من التواضع والروح العملية مالو وُزِّعَ على عشر نساء لا ستطعن تشكيل مجتمع صغير متماسك متعاون متآلف .

استطاعت بفضل الله أن تحيا بأسرة متعاونة متآلفة متحابة ، يظهر ذلك من خلال أبوين صديقين متفهمين متفاهمين واعيين ، يجد الأبناء عندهما الملجأ من كل همّ ومشكلة ، وهذا أمر قلما نصادفه في أسر هذه الأيام التي تفككت وتهدمت وهام كل فرد فيها يبحث عن نفسه خارج بيته .

ولقد كانت وهي التي عاشت حياتها في المستعمرات الصليبية ، مسلمة مسلمة .. تسمو على كل معاني الكفر والشرك متحدية كل مازرعه أعداء الإسلام في تلك الأرض المسلمة .

وعلى الرغم من فرض لغة المستعمر على ذلك الشعب ، وقهره على استعمالها ، فقد نشأت أولادها على لغتهم الأصلية ، التي تعتبر احدى اللغات الإسلامية المنتشرة في الشمال الإفريقي إضافة إلى اللهجة المغربية السائدة ، ولم يتعلم الأولاد لغة المستعمر إلا عند انتسابهم لمؤسساته التعليمية ، التي لم تتمكن من محو بصمات شخصياتهم الإسلامية التي ربتهم عليها مثل هذه الأم .

أما مظاهر المدنية الزائفة التي تركع أمام أوثانها الكثيرات من نسائنا مستشعرات النقص ، فلا نجد عند هذه الأم - وكامل أفراد أسرتها - إلا الاحتقار والنعت بالكفر ، لكل مايمت لغير الإسلام : بشكل لم يسبق لي أن رأيت مثله ولا سمعت عنه في مجتمعنا .

حملت عزة موسى بن نصير في فتحه للأندلس ، ونقلتها لأبنائها ، وأنزرعت آلام جلاء المسلمين عن الجزيرة في صدرها ، وزرعتها في قلوب أبنائها ، فما فتئوا يعيشون على الرغم من التغريب والاستعمار ومحاولات التنصير والسلخ المتكررة ، مسلمين ! ولانغفل جهلهم بدينهم ، وهذا أمر لم يسلم منه ملايين المسلمين حيثما وجد الاستبداد أو الاستعمار .

دفعها اعتزازها بدينها ، وثقتها بنفسها ، وحبها للكمال إلى تعلم كل شيء تستطيع تعلمه بعقل متوقد الذكاء ، وذهن عبقري الذاكرة ، فهي أشبه بطبيبة وصيدلانية ومدرسة ... ومعلمة في مدرسة الحياة .

لايكاد يخفى عليها شيء من أمراض النساء والأطفال مع الدواء المناسب لكل حالة ، وليس ذلك فحسب بل إنها لترشد إلى أنجع وسائل الإسعاف المنزلي ، وأحدث أنواع العلاجات والمسكنات الطبية دون اللجوء إلى الشعوذات التي تترافق عادة بالأمية في صفوف نسائنا .

وهذا الوضع جعلها ملجأً لنساء قريتها كلما حزبهم أمر ، فتعلمهن وتدركهن وتنجدهن ، وقفت نفسها بعدما بلغت الأمانة لأولادها على خدمة تلك الأسر الفقيرة التي نهب الاستعمار خيرات بلادها ثم تركها بين براثن الجهل والمرض والفقر .

لقد حفظ الله الإسلام في المغرب الإسلامي - وفي كل مكان في الأرض الإسلامية - بمثل هذه الأم المجاهدة الصابرة ، التي يجب علينا أن نقدمها مثلاً يحتذى لنسائنا اللواتي لايقدرن فضل الله عليهن في الأمن دونما حروب ولا استعمار ولا فقر ولاجهل ديني ولادنيوي ، ثم هنّ يُضَيِّعْنَ أمانة أولادهن !!! بينما تقوم مثل هذه الأم بتثبيت أركان الإسلام في أرض اجتثت من فوقها شجرة الإسلام ، حيث بقيت هؤلاء الأمهات جذوراً خضراء حية ، مالبثت أن انتشت من جديد ، هذه الشبيبة التي عاشت بعزة الإسلام ، فلما هيأ الله لها من يوقد شعلتها تفجرت بالعطاء والأمل .

فعسى أن نتعلم بعض الدروس من هذه المدرسة العظيمة وعسى أن تكون لنا مثلاً يقتدى في كل حين ■■

رجاء بن حيوه

عالم مسلم غير نظام الحكم الأموي في دمشق

نسبه

■■ هو أبو المقدام - ويقال أبو نصر - رجاء بن حيوة بن جرول - أو جندل - بن الأحنف بن السمط بن امرىء القيس بن عمرو بن معاوية، الكندي الفلسطيني - ويقال الأردني - الشامي، شيخ أهل الشام، وكبير الدولة الأموية[1].

كان والده حيوة مع المجاهدين في بلاد الشام، وقد قابل رجاء - مع والده - معاذ بن جبل رضي الله عنه. فقد أخرج أبو القاسم وابن زنجويه عن رجاء بن حيوة قال: كنا ذات يوم أنا وأبي جميعاً؛ فقال معاذ بن جبل: من هذا يا حياة؟ قال: هذا ابني رجاء. قال معاذ: فهل علمته القرآن؟ قال: لا.. قال: فعلمه ... ثم ضرب بيده على كتفي وقال: يابني: إن استطعت أن تكسو أبويك حلتين يوم القيامة فافعل! قال: فما حالت علي السنة حتى تعلمت القرآن[2] !!... ■■

نشأته ...

نشأ حياته الأولى في بيسان بفلسطين، حيث شب فيها وترعرع[3]، ثم صار يتنقل في مدن فلسطين والأردن والشام، يقابل فيها العلماء والعباد والزهاد، ويتلقى عنهم العلم، ويقتدي بهم في عبادته وزهده، فانتفع بلفظهم ولحظهم وسلوكهم.

ولذلك نشأ حياة إسلامية صافية صادقة، واكتحلت عيناه بالقرآن الكريم منذ صغره، وذاق لذة العبادة وحلاوة الإيمان من صباه.

ويعتبر من سادات التابعين، واعتبره الذهبي في الطبقة الرابعة من الحفاظ[4].

شيوخه ...

روى رجاء عن مجموعة من الصحابة الكرام، ممن قدموا الشام واستوطنوها. منهم: معاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل، ومحمود بن الربيع، وأبو الدرداء، وأبو أمامة الباهلي، وعبادة بن الصامت، وعدي بن عبد الرحمن بن غنم، والنواس بن سمعان، وأبو سعيد الخدري، والمسور بن مخرمة، وجابر بن عبد الله، وغيرهم.. رضي الله عنهم أجمعين[5].

تلاميذه ...

روى عن رجاء بن حيوة مجموعة من تلاميذه، منهم: ابنه عاصم، وعدي بن عدي بن عميرة، وابن عجلان، وابن عون، وثور بن يزيد، ومطر الوراق، ومحمد بن شهاب الزهري، ومحمد بن جحادة، وحميد الطويل، ومكحول، وقتادة، وغيرهم[6] رضي الله عنهم أجمعين.

توثيقه ...

أجمع العلماء على توثيقه، ووصفه بالعدالة والثقة والضبط، وقبول أحاديثه، وقد روى له البخاري ومسلم، وأبو داود والترمذي، والنسائي وابن ماجه، رحمهم الله جميعاً[7].

صلته بالخلفاء الأمويين ..

قلنا: إن رجاء شب وترعرع في بيسان، ثم تجول في مدن بلاد الشام، فذهب إلى القدس، ثم استوطن الأردن، وكان يتردد على دمشق العاصمة، ويمكث فيها فترات متباعدة، كما أنه ذهب إلى الكوفة مع بشر بن مروان[8] شقيق الخليفة عبد الملك بن مروان.

وقد كان رجاء بن حيوة وثيق الصلة بالخلفاء الأمويين، فقد وصفه أبو نعيم في الحلية بأنه «مشير الخلفاء والأمراء»[9]، ووصفه المؤرخ الذهبي في تذكرة الحفاظ بأنه «شيخ اهل الشام، وكبير الدولة الأموية»[10].

لم تكن صلته بالخلفاء طمعاً فيما عندهم، فإن عبادته وزهده وقناعته، تأبى عليه هذا، ولم تكن علاقته معهم ركوناً إليهم، فإن إيمانه وعقيدته تأبى عليه هذا، كما أن قربه منهم لم يكن عوناً لهم على ظلمهم لأن خوفه من الله، يأبى عليه هذا.

لقد كان رجاء بن حيوة إماماً مصلحاً، وعالماً عاملاً، وداعية ربانياً، وقد كانت رسالته هي الدعوة والتبليغ والإصلاح والتوجيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصرة المظلومين، ومساعدة المحتاجين.

وقد أداه اجتهاده إلى أنه باتصاله بالخلفاء الأمويين، وقربه منهم، يكون أقدر على أداء رسالته، والقيام بمهمته، فهو يرشدهم وينصحهم، وهو يحاول بقدر استطاعته أن يرفع الظلم عن المظلومين، وهو - بقربه منهم - يكون أقدر على رفع حوائج المحتاجين من الضعفاء الذين لا يجدون من يرفع هذه الحوائج والمظالم والشكاوى؛ وقد كان في الخلفاء الأمويين - عبد الملك بن مروان وأولاده - بقية من خير،

بقلم : صلاح عبد الفتاح الخالدي

وتقدير للعلماء ، وسماع نصائحهم ومواعظهم ...

قال ابن الجوزي في صفة الصفوة : **« كان يصحب الخلفاء ، ويامرهم بالمعروف . فلما مات عمر بن عبد العزيز انقطع عن صحبتهم »**[11] .

وروى رجاء نفسه ، حادثة غريبة جرت معه ، تبين تصوره لصلته بالخلفاء الأمويين . قال : **« كنت واقفاً على باب سليمان بن عبد الملك ، فاتاني رجل ، لم اره قبل ولا بعد ، فقال : يا رجاء : إنك قد ابتليت بهذا ، وابتلي بك [الخليفة ..] وفي دنوك منه الوقع [الهلاك] ، يا رجاء : عليك بالمعروف ، وعون الضعيف ، يا رجاء : من كانت له منزلة من سلطان فرفع حاجة ضعيف لا يستطيع رفعها ، ثبت الله قدمه على الصراط »**[12] .

وقد كان عند الخليفة عبد الملك بن مروان ذات يوم ، وذكر شخص لعبد الملك رجلاً بسوء ، فقال عبد الملك : **والله إن مكنني الله منه لأفعلن به واصنعن ؛ فلما امكنه الله منه هم بإيقاع الفعل به** ، فقام إليه رجاء بن حيوة ، وقال له : **يا أمير المؤمنين قد صنع الله لك ما أحببت ، فاصنع ما يحب الله من العفو ، فعفا عنه وأحسن إليه**[13] .

وكان وثيق الصلة بالوليد بن عبد الملك ، ويبدو أنه ولي له القضاء فترة من الوقت . فقد قال الحكم : إنه كان قاضياً[14] .

ويبدو أنه لم يمكث طويلاً في منصب القضاء ، ولم يل القضاء لغير الوليد ، فلما استخلف سليمان بن عبد الملك - بعد شقيقه الوليد - لم يكن رجاء قاضياً ، وإنما كان مستشاراً يشير بتعيين القضاة ؛ وكان قد عزف عن القضاء ورغب عنه ، تحرجاً وخوفاً من الله ، وقد صمم على أن لا يلي هذا المنصب ولو أدى إلى قتله وموته .

قال العلاء بن روبة : **كانت لي حاجة إلى رجاء بن حيوة** ، فسألت عنه ، فقالوا : هو عند سليمان بن عبد الملك . قال : **فلقيته** ، فقال لي : ولّى أمير المؤمنين اليوم ابن موهب القضاء ، ولو خيرت بين أن ألي ، وبين أن أحمل إلى حفرتي ، لاخترت أن أحمل إلى حفرتي .

قلت : **إن الناس يقولون : إنك انت الذي اشرت به ؟** قال : صدقوا ، إني نظرت للعامة ولم أنظر له[15] .

رجاء عند سليمان بن عبدالملك

كان رجاء وثيق الصلة بسليمان بن عبد الملك - على ما وصفه ابن الجوزي - وكان مستشاراً له ، يشير بتعيين القضاة وغيرهم ، وكان رائده في ما يشير به هو مصلحة المسلمين ، وهدفه إرضاء الله ، فاستغل هذه المكانة المرموقة ، والمنزلة الرفيعة أحسن استغلال ، واستخدمها لمصالح المسلمين لا لمصلحته الشخصية ، وقد نجحت صلته بسليمان في تغيير نظام الحكم الأموي ، حيث خطط - بنجاح - لهذا التغيير ، وأشرف عليه ، وأزال العقبات من أمامه ، وأخضع الأموز له مما أدى إلى استخلاف مجدد القرن الأول ، الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

دور رجاء في تغيير نظام الحكم

قلنا : إن رجاء كان مستشاراً لسليمان واستغل قربه من الخليفة ، في مصلحة المسلمين ، ولذلك سهل الله له أن يقوم بدور عظيم ناجح في إعادة نظام الحكم إلى سمته الاسلامي الشوري العادل ، وأعانه على تحقيق ما أراد ، وجاء بعمر بن عبد العزيز خليفة للمسلمين .

وذلك أن سليمان بن عبد الملك - وهو على فراش الموت - استشار رجاء في الخليفة من بعده ! وأنى لرجاء أن يشير بمن ليس أهلاً !! لقد اعتبرها فرصة سانحة ، ليحقق آمالاً وطموحات طالما راودت خياله وخيال الصالحين المصلحين من المسلمين ، الذين لم يروا الخروج المسلح على الحكام الأمويين ، لما فيه من مفاسد كثيرة ، ولم يرضوا بمخالفاتهم وتجاوزاتهم وظلمهم ، ولم يملكوا وسيلة سلمية - بيضاء - يحققون بها ما يريدون ، أما الآن فقد جاءت الظروف المناسبة ، فلماذا لا يستغلها رجاء ؟ ولماذا لا يغتنم هذه الفرصة ؟ ويحقق - ولو مرة واحدة - حلماً من أحلام المسلمين ، وأملاً من آمال المصلحين .

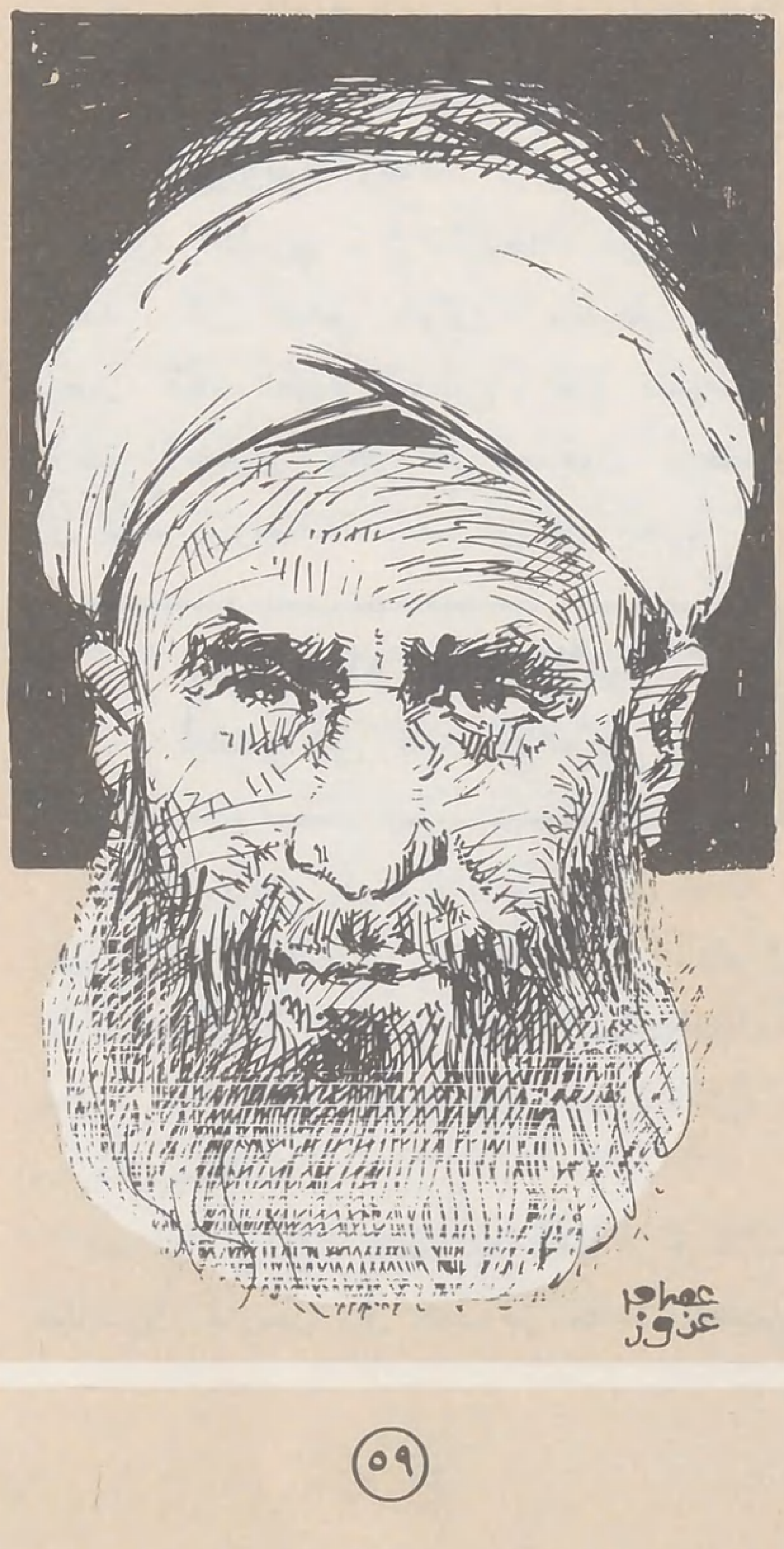

قال رجاء : **لما ثقل سليمان (من شدة المرض) عهد في كتاب كتبه لبعض بنيه ، وهو غلام لم يبلغ ! فقلت : ما تصنع يا أمير المؤمنين ؟ إنه مما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف على المسلمين الرجل الصالح !!.**

فقال سليمان : أنا استخير الله وانظر فيه ، ولم أعزم عليه .

فمكث يوماً أو يومين ، ثم خرقه . فدعاني ، فقال : **ما ترى في داود بن سليمان ؟ فقلت : هو غائب عنك بالقسطنطينية ، وأنت لا تدري أحي هو أم ميت ! فقال لي : فمن ترى ؟** قلت : رأيك يا أمير المؤمنين . وأنا اريد أن أنظر من يذكر . [وهذا من ذكائه وفطنته ، وحسن تخطيطه حتى لا يكون متهماً عند سليمان بأن له مصلحة شخصية ، أو مؤامرة على الخليفة] . قال : **كيف ترى عمر بن عبد العزيز ؟ فقلت : أعلمه - والله - خيراً فاضلاً مسلماً** . فقال : **هو والله كذلك** .

وكان رأي سليمان أن يولي يزيد بن عبد الملك بعد عمر بن عبد العزيز ، منعاً للفتنة ، ولكي يرضوا بخلافة عمر . فلما استشار رجاء في رأيه هذا بقوله : **يزيد بن عبد الملك اجعله بعده ، فإن ذلك مما يسكنهم ، ويرضون به** . أجابه رجاء بقوله : **رأيك** !![16] .

ولقد كان رجاء محتاطاً في إبداء رأيه في استخلاف يزيد بعد عمر ، ولهذا لم ينشط له ويندفع في تأييد فعل سليمان ، لأنه يعلم أن توليته لا تتفق مع نظام الحكم الإسلامي ، ولكنه لم يعارض هذا ، اقتناعاً منه برأي سليمان وتعليله لفعله ، وحتى يضمن موافقة سليمان على استخلاف عمر وكتابته بهذا ، لأنه يخشى ان لم يوافقه على يزيد بعد عمر ، أن يعدل عن استخلاف عمر ، وبهذا تفوت الفرصة السانحة التي تحقق آمال المسلمين ، وكأنه بموافقته يترك الأمر لعمر - بعد استخلافه - وهو يعلم بأنه لا يوافق على استخلاف يزيد ، وسيحاول - من مركز الخلافة - أن يغيره .

وهكذا فعل عمر ، حيث عزم في آخر أيامه أن ينزع يزيد ، وأن يرشح للخلافة أصلح المسلمين لها - في رأيه - من خارج البيت الأموي ، وهو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، الذي كان في المدينة ، ولكن بني أمية احسوا بهذا ، وخافوا أن يخرج الأمر من أيديهم ، ولهذا عجلوا بالقضاء على عمر ، بأن رتبوا له من وضع له السم في طعامه ، الذي كان سبباً في موته .

بعدما اتفقا على استخلاف عمر بن عبد العزيز . كتب سليمان كتاب الاستخلاف ، وخاطب بني أمية - في الكتاب - قائلاً : **« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من عبد الله سليمان ، امير المؤمنين ، لعمر بن عبد العزيز : اني قد وليتك الخلافة من بعدي**

رجاء بن حيوه

عالم مسلم غير نظام الحكم الأموي في دمشق

ومن بعده يزيد بن عبد الملك ، فاسمعوا له واطيعوا ، واتقوا الله ولا تختلفوا ، فيطمع فيكم عدوكم ... »[17] .

وختم سليمان الكتاب ، وسلمه إلى رجاء ، ثم ارسل إلى كعب بن حامد العبسي ـ صاحب الشرطة ـ وامره أن يجمع له كل امراء بني أمية ، ولما اجتمعوا ، ذهب إليهم رجاء ومعه الكتاب مختوماً ، وأخبرهم أن هذا كتاب الخليفة ، وامرهم أن يبايعوا من فيه .

فطلبوا أن يدخلوا على الخليفة ـ في محاولة منهم للاستيثاق من كلام رجاء ـ فأذن لهم ، ولما دخلوا على سليمان قال لهم : في هذا الكتاب ـ وكان بيد رجاء الذي وقف بجانبه ـ عهدي ، فاسمعوا وأطيعوا لمن سميت في هذا الكتاب !!

فبايعوه رجلاً رجلاً ، ولما تمت البيعة خرج رجاء والكتاب بيده ، وكأني به كان في حالة من السرور والانشراح لا توصف ، كيف لا وقد تم له مرحلة هامة من خطته التي يريدها !!

أنموذجان من الأمراء ..

لما تمت البيعة وقبل أن يموت سليمان ، خضع رجاء بن حيوة لضغوط شديدة من الأمراء ، ليكشف اسم الخليفة القادم . ولكنه صمد بثبات عجيب ، لأنه يعلم أنه في استجابته لهم يفوت الفرصة التي بين يديه .

وقد روى لنا رجاء شيئاً من هذه الضغوط والزيارات والاتصالات الخاصة .

وكان أول الرجال اتصالاً به ـ بعد البيعة ـ عمر بن عبد العزيز الذي قال له : **اخشى ان يكون هذا اسند إلي شيئاً من هذا الامر ، فانشدك الله وحرمتي ومودتي إلا اعلمتني إن كان ذلك ، حتى استعفيه الآن ، قبل ان تاتي حال لا اقدر فيها على ما اقدر عليه الساعة !!**

قال رجاء : **لا والله ، ما انا بمخبرك حرفاً ، فذهب عمر غضبان .**

ثم جاءه هشام بن عبد الملك ، يمثل الأنموذج الثاني من الأمراء ، الحريصين على الخلافة ، المتهالكين على الدنيا وزخارفها ، فقال له : يا رجاء .. إن لي بك حرمة ومودة قديمة ، وعندي شكر ، فأعلمني هذا الأمر ، فإن كان إلي علمت ، وإن كان إلى غيري تكلمت ، فما مثلي قصر به عن هذا !!!

فقال رجاء : والله لا أخبرك حرفاً واحداً مما أسر إلي !!

فانصرف هشام يائساً ، وكأنه أحس بشيء من الأمر ، وصار يضرب بإحدى يديه على الأرض ويقول : **فإلى من إذن نحيت عني ؟ اتخرج من بني عبد الملك ؟!!!**[18] .

لقد كان رجاء يعجب من هذين الأنموذجين ، أنموذج المؤمن الزاهد ، المشفق أن يكون هو الرجل المستخلف ، وأنموذج المتهالك على الدنيا ، الطامع في الخلافة ، الذي على اتم الاستعداد لأن يأخذها بأي وسيلة وليكن ما يكون !!

دور رجاء أثناء موت سليمان

دخل رجاء على سليمان وهو يجود بنفسه ، وبقي معه حتى فاضت روحه ، وكان آخر كلامه ـ كما روى رجاء ـ **« اشهد ان لا إله إلا الله ، واشهد أن محمداً عبده ورسوله »** .

ولما مات سليمان أغمض عينيه ، وسجاه بقطيفة خضراء ، وأغلق وراءه الباب وخرج فقالت زوجة سليمان لرجاء : كيف أصبح سليمان ؟ فأجابها بحكمة وفطنة وتورية وقال : نائم وقد تغطى !!. فأرسلت رسولها لينظر إليه ، فلما رآه مسجى بالقطيفة أخبرها ، فقبلت ذلك وظنت أنه نائم .

وحتى لا ينكشف موت سليمان ـ قبل أن يكشفه رجاء ، الذي كان ينفذ خطته بذكاء وحكمة ، خطوة خطوة ـ أحضر من يثق به وأجلسه على باب البيت الذي فيه سليمان ، وأمره الا يبرح الباب حتى يعود إليه ، وشدد عليه الا يدخل على الخليفة أحد !![19] .

وقد اعتبر العلماء استخلاف سليمان لعمر بن عبد العزيز ، حسنة عظيمة من حسناته . فقال رجاء عنه : **يرجى لسليمان بتوليته عمر بن عبد العزيز وتركه ولده .**

وأورد الطبري ـ في تاريخه ـ قول علي بن محمد : كان الناس يقولون : سليمان مفتاح الخير . ذهب عنهم الحجاج ، فولي سليمان ، فأطلق الأسارى ، وخلى أهل السجون ، وأحسن إلى الناس ، واستخلف عمر بن عبد العزيز[20] .

رجـــاء يتمم الأمر لعمر بن عبد العزيز

بقي على رجاء آخر مرحلة من مراحل خطته ، وهي أخطر مراحلها على الإطلاق ، وكما نجح في المراحل السابقة ، نجح في المرحلة النهائية نجاحاً عجيباً ، يدل على قوة شخصيته ، ونفوذ تأثيره ، وحزمه وصلابته .

فقد اراد أن يأخذ منهم بيعة ثانية لمن في كتاب سليمان ، فأرسل إلى كعب بن حامد العبسي ـ صاحب الشرطة ـ وطلب منه أن يجمع بني أمية . ولما اجتمعوا طلب منهم أن يبايعوا لمن في الكتاب . فقالوا : **قد بايعنا مرة ونبايع اخرى !!!** قال : **نعم** : **بايعوا من سمي في هذا الكتاب المختوم** . ولما رأوا حزمه وصلابته قاموا فبايعوا للمرة الثانية رجلاً رجلاً .

قال رجاء : **فلما بايعوا بعد موت سليمان ، رايت اني قد احكمت الأمر** . قلت : **قوموا إلى صاحبكم فقد مات** . فقالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون .

فقام وقرأ الكتاب عليهم ، ولما ذكر اسم عمر بن عبد العزيز . صرخ هشام بن عبد الملك : لا نبايعه أبداً ، وحتى لا يخرج الأمر من يد رجاء ، وحتى يتمم ما بدأ به أجاب هشام جواباً كله حزم وثبات : أضرب والله عنقك ! قم فبايع !!!

وأمام حزم رجاء وتصميمه قام هشام يجر رجليه ليبايع .

ونهض الناس إلى عمر بن عبد العزيز ـ وهو في مؤخرة المسجد ـ فلما تحقق له الأمر قال : إنا لله وإنا إليه راجعون . ولم تحمله رجلاه حتى أخذوا بضبعيه فأصعدوه على المنبر . فسكت حيناً . فقال رجاء مخاطباً بني أمية : ألا تقوموا إلى أمير المؤمنين فتبايعوه ؟ فنهض القوم فبايعوه ، وجاء هشام وبايعه وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

وقد صور رجاء ـ بسخرية من هشام وموقفه ـ سبب استرجاع عمر واسترجاع هشام ، وأنهما وإن اتفقا في كلمات الاسترجاع ـ إنَّا لله وإنا إليه راجعون ـ إلا أن الأسباب كانت مختلفة ، بل متناقضة . قال رجاء : **فلما انتهى هشام إلى عمر قال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون . حين صارت إلي (لكراهية لها) وهشام يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون حيث نحيت عني (لتهافته عليها)** !!

ولما تمت بيعة عمر ، قام فخطب خطبة بليغة[21] .

وراح رجاء يراقب فعل عمر بعد ان ولي الخلافة ، ليرى هل غيرته الخلافة ، أم لا يزال على عهده به . فسره كل ما صنع عمر : خطبة الخلافة ، وتركه دواب الخلافة ، وعدم ذهابه إلى منزل الخلافة لأن فيه عيال سليمان وذهابه إلى خيمته . وكتابه الموجز الذي وجهه إلى ولاة الأمصار !

رجاء مع عمر بن عبد العزيز

اتخذ عمر بن عبد العزيز رجاء مستشاراً له ، ووزير صدق عنده ، ورضي رجاء أن يكون بهذه

المنزلة ، وأن يقوم بهذا العمل ، بل انه اعتبرها فرصة العمر أن يكون عوناً لخليفة راشد ، فرح المسلمون - على جميع فئاتهم - بخلافته ، واعتبروها تحقيقاً لآمالهم .

ولرجاء مع عمر مواقف كثيرة خالدة ، وروى لنا مشاهد عجيبة من حياة عمر ، ودرراً منيرة من بليغ كلامه ، نورد بعضاً منها كنماذج :

استشار عمر رجاء بعدما ولي الخلافة مباشرة . فقال له : **إني قد ابتليت بهذا البلاء فاشر علي** . فأجابه بقوله : **احب للمسلمين ما تحب لنفسك ، واكره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مت إذا شئت !!!**

قال رجاء : **قومت ثياب عمر بن عبد العزيز - وهو يخطب - باثني عشر درهماً**[22] .

وقال رجاء : **امرني عمر أن اشتري له ثوباً بستة دراهم ! فاتيته به ، فجسه وقال : هو على ما احب لولا أن فيه ليناً !!! قال رجاء : فبكيت ! قال : فما يبكيك ؟ قلت : أتيتك وانت امير بثوب بستمائة درهم ، فجسسته وقلت : هو على ما احب لولا أن فيه خشونة ، واتيتك وانت امير المؤمنين بثوب بستة دراهم ، فجسسته وقلت : هو على ما احب لولا ان فيه ليناً !!**

فأجابه عمر - رضي الله عنه - مبيناً سر هذا الموقف العجيب ، بكلمات تعتبر معالم مضيئة في الطريق إلى الله . فقال : يارجاء ! إن لي نفساً تواقة . تاقت إلى فاطمة بنت عبد الملك فتزوجتها ! وتاقت إلى الإمارة فوليتها !! وتاقت إلى الخلافة فأدركتها !!! وقد تاقت إلى الجنة فأرجو أن أدركها إن شاء الله عز وجل !!![23] .

وقد كان رجاء ليلة عند عمر ، فهم السراج أن يخمد ، فقام إليه ليصلحه ، فأقسم عليه عمر ليقعدن ، وقام هو فأصلحه . فقال له رجاء : تقوم أنت يا أمير المؤمنين !! قال : **قمت وانا عمر ، ورجعت وانا عمر !!**[24] .

وقد مات لعمر ولد فحزن عليه كثيراً ، فقال له رجاء يعزيه : أكان ابنك يا أمير المؤمنين يخلق ؟ قال : لا .. قال : أفكان يرزق ؟ قال : لا .. قال : فما جزعك على مخلوق مرزوق ، الله خير لك منه ، وثواب الله خير لك منه ![25] .

من بليغ كلامه :

لرجاء بن حيوة كلمات وأقوال مأثورة ، فيها الكثير من المعاني التربوية ، والدلالات المختلفة ، كما أن له مواقف في التربية والتوجيه ، والالتزام بالإسلام وآدابه في سلوكه وحياته ، منها قوله :

من لم يؤاخ من الإخوان إلا من لا عيب فيه قل صديقه . ومن لم يرض عن صديقه إلا بإخلاصه له دام سخطه ، ومن عاتب إخوانه على كل ذنب كثر عدوه[26] .

انظر الأمر الذي تحب ان تلقى الله عليه فخذ فيه الساعة ، وانظر الأمر الذي تكره ان تلقى الله عليه فدعه الساعة[27] .

ما أحسن الإسلام يزينه الإيمان ، وما أحسن الإيمان تزينه التقوى ، وما أحسن التقوى يزينها العلم ، وما أحسن العلم يزينه الحلم ، وما أحسن الحلم يزينه الرفق[28] .

الحلم أرفع من العقل ! لأن الله تسمى به .

كان حريصاً على تعليم تلاميذه في كل مناسبة . فقد ودعه رجل قائلاً : **حفظك الله يا أبا المقدام** ، فقال : **يا ابن اخي : لا تسل عن حفظه ، ولكن قل : يحفظ الله إيمانك !**[29] .

وكان على خبرة بتحليل النفوس ، يعرف ما يصلحها وما يفسدها ، فقد حضر عند الخليفة سليمان بن عبد الملك ، وابنه يجود بنفسه ، وقد امتلأ قلبه حزناً وكمداً ، وصارت عيناه تذرفان ، فقال له رجاء : إني لا ارى بالبكاء بأساً ما لم يات الأمر المفرط ، وإن الرسول ﷺ بكى عندما مات ولده إبراهيم رضي الله عنه ، فبكى سليمان واشتد بكاؤه حتى أوشكت نياط قلبه ان تتقطع ! فانكر عمر بن عبد العزيز على رجاء فعله وتوجيهه ، وقال : بئس ما صنعت بأمير المؤمنين ! فأجابه رجاء جواباً يتفق مع التحليل النفسي الصائب : **دعه يا أبا حفص يقضي من بكائه وطراً ، فإنه لو لم يخرج من صدره ما ترى ، خفت أن يقضى عليه**[30] !!!

وكان رجاء حريصاً على تطبيق السنة ، فقد لقيه تلميذه مكحول ، وكان رجاء راكباً ومكحول راجلاً ، فسلم عليه مكحول ، فلم يرد رجاء عليه السلام ، لأنه كره خلاف السنة لأن الراكب هو الذي يسلم على الماشي[31] .

كما كان حريصاً على إخفاء النوافل والطاعات ، ويوجه تلاميذه إلى هذا ، فقد نظر إلى رجل ينعس بعد صلاة الفجر ، فقال له : انتبه لا يظن الظان أن هذا النعاس على سهرك في قيام الليل[32] !!

وفاته ...

بعد حياة حافلة بالإصلاح والدعوة ، والتوجيه والتربية ، والأعمال الصالحة الطيبة ، انتقل رجاء بن حيوة إلى رحمة الله راضياً مرضياً .

وقد جزم غير واحد من المؤرخين ، منهم : خليفة بن خياط ، والذهبي ، وابن حجر ، وابن كثير ، أن وفاته كانت سنة مائة واثنتي عشرة للهجرة ، في خلافة هشام بن عبد الملك[33] .

رحم الله القائد الرائد ، والداعية المصلح ، والمربي المؤثر ، والعالم الزاهد ، الذي خطط للمجيء بأعدل خليفة أموي راشد ، عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما .

لقد كان رجاء رحمه الله بطلاً لكن بلا طبول ، وجندياً من جنود الخفاء ، الأتقياء ، الذين إذا حضروا لم يعرفوا ، وإذا غابوا لم يفتقدوا

هـوامش :

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ٣ : ٢٦٥ ، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٥ : ٣١٥ .
(٢) تهذيب تاريخ دمشق ٥ : ٣١٦ .
(٣) تهذيب التهذيب ٣ : ٢٦٥ .
(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي ١ : ١١٨ .
(٥) صفة الصفوة لابن الجوزي ٤ : ١٨٦ - ١٨٧ وتهذيب تاريخ دمشق ٥ : ٣١٦ ، وتهذيب التهذيب ٣ : ٢٦٥ .
(٦) تهذيب التهذيب ٣ : ٢٦٥ .
(٧) تقريب التهذيب لابن حجر ١ : ٢٤٨ وتهذيب التهذيب ٣ : ٢٦٥ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ١١٨ .
(٨) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧ : ٤٥٤ ، وتهذيب تاريخ دمشق ٥ : ١٣٦ ٣١٨ .
(٩) حلية الأولياء ٥ : ١٧٠ .
(١٠) تذكرة الحفاظ ١ : ١١٨ .
(١١) صفة الصفوة ٤ : ١٨٦ - ١٨٧ .
(١٢) تهذيب تاريخ دمشق ٥ : ٣١٧ .
(١٣) وفيات الأعيان لابن خلكان - طبعة احمد فريد رفاعي - ٥ : ٣٢١ .
(١٤) تهذيب تاريخ دمشق ٥ : ٣١٦ .
(١٥) حلية الأولياء ٥ : ١٧٠ - ١٧١ .
(١٦) تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري ٦ : ٥٥٠ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٩ : ١٨١ - ١٨٢ .
(١٧) تاريخ الطبري ٦ : ٥٥١ ، وتاريخ ابن كثير ٩ : ١٨٢ .
(١٨) الطبري ٦ : ٥٥٠ ، وابن كثير ٩ : ١٨٢ .
(١٩) الطبري ٦ : ٥٥١ .
(٢٠) المرجع السابق ٦ : ٥٤٦ .
(٢١) المرجع السابق ٦ : ٥٥١ ، وابن كثير ٩ : ١٨٢ - ١٨٣ .
(٢٢) وفيات الأعيان ٥ : ٣٢٠ .
(٢٣) المرجع السابق ٥ : ٣٢٠ .
(٢٤) المرجع السابق ٥ : ٣١٩ - ٣٢٠ .
(٢٥) تهذيب تاريخ دمشق ٥ : ٣١٦ - ٣١٧ .
(٢٦) المرجع السابق ٥ : ٣١٦ .
(٢٧) المرجع السابق ٥ : ٣١٧ ، وصفة الصفوة ٤ : ١٨٧ .
(٢٨) حلية الأولياء ٥ : ١٧٣ ، وتهذيب تاريخ دمشق ٥ : ٣١٧ .
(٢٩) حلية الأولياء ٥ : ١٧٣ .
(٣٠) وفيات الأعيان ٥ : ٣٢١ - ٣٢٢ .
(٣١) تهذيب تاريخ دمشق ٥ : ٣١٨ .
(٣٢) وفيات الأعيان ٥ : ٣٢٤ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ٧ : ٤٥٤ .
(٣٣) تهذيب التهذيب ٣ : ٢٦٥ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ١١٨ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٠٤ .

معقولية الإسلام

■■ تصور آيات القرآن الكريم طبيعة الوجود والحياة تصويراً مثيراً للحواس والعقل ، واستعراض تلك الآيات يكشف أن جملة المواصفات التي يقدمها القرآن عن عناصر الكون والطبيعة تستجيب للواقع الإنساني والطبيعي إلى أبعد الحدود ، وعلى سبيل المثال فإنه حين يعرض لمناقشة مسألة الوحدانية ينطلق دوماً من المشهد المحسوس الغني بالحركة والحياة ليقيم من خلاله محاكمة عقلية تنتهي بالتبكيت والتسليم . انظر مثلاً قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (الزمر : ٢١) ■■

إن معالم الروعة في هذا الخطاب القرآني فضلاً عن انتقالته المحكمة من الميسور إلى المركب ، تبدو جلية في الجمع الدقيق بين ما هو حسي ومعنوي برباط أخاذ يجمع بدوره وحدة الدنيوي والأخروي محققاً نزعة التكامل بين روابط المادة والروح تصديقاً لشمولية الإسلام ، وتمشياً مع قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْآناً عَرَبِياً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (الزمر : ٢٧) .

تأهيل الإنسان لمرحلة أفضل

يتسم الوجود كله في النظرة القرآنية - تحقيقاً وتجسيماً للمعاني السابقة - بإحكام المقاصد والغايات فهو في الاعتبار الأول لم يُخْلَقْ عبثاً وإنما يخضع بالكلية لنظام عميق ودقيق يجعله مجالاً للحياة أولاً ثم للنظر والتفكير ، ووجود الإنسان نفسه باعتباره عُنْصراً من هذا الكون لا يخرج أيضاً عن دائرة القصد والتدبر والانتفاع ، ذلك أن الحركة وهي المقوم الدافع لكل نشاط وفعل تجعل من إحكام العلاقات بين الإنسان والوجود سبيلاً غريزياً لمقاومة الانتحار الكوني ومواصلة الحياة ؛ قال تعالى :

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج : ٤٠) .

ولهذه الأسباب وغيرها يُعلي الإسلام من شأن الفكر والعمل تأهيلاً للإنسان كي يُشرف على جوانب الحياة كلها ويهيمن عليها .

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (الإسراء:٧٠) .

إن تشريف ذريَّة آدم على جميع المخلوقات بنعم الإمداد بالعقل والنطق والعلم ، وتسخير جميع ما في الكون لصالحهم دلالة لها أهميتها القصوى في الفكر الإسلامي ، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال :

« **إن الملائكة قالت : يا ربنا أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون ويلبسون ، وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ولا نأكل ولا نشرب ولا نلهو ، فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة ، قال : لا أجعل صالح ذُريَّة من خَلَقْت بيدي كمن قلت له كُنْ فيَكون** » (رواه الطبراني وأخرجه ابن عساكر) .

إن تأهيل هذا الإنسان للهيمنة على جميع عناصر الكون إنما هو في آخر الأمر مرتبة ومرحلة وجودية رائدة لإسعاده وتقوية روحه حتى يفوز بمرحلة الشهود الأرقى يوم القيامة ، والأقوياء وحدهم قادرون على اجتياز هذه العقبة المادية

بقلم : محمد بدر الدين [بن حسن]

■ إن تعطيل الحواس عن استكشاف أسرار الكون وعدم التطلع إلى منزلة أرحب يعد خيانة لأمانة الاستخلاف على الأرض .

التي زكّى القرآن نفسه مكابدة اقتحامها :

﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ . فَكُّ رَقَبَةٍ . أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ . يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ . ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ (البلد : ١١-١٧) .

الاستجابة للواقع الطبيعي ..

إن تعطيل الحواس عن استكشاف أسرار الكون ، وعدم التطلع إلى منزلة أرحب يعد أيضاً خيانة لأمانة الاستخلاف على الأرض تعوق تواصل القدرات العقلية والنوازع الشعورية لدى الإنسان ، **ولسوء الحظ لم تعد مطالب الاستعلاء الروحي تستهوي ضمير إنسان القرن الحديث بحكم الخضوع لبريق أوثان العصر وأغلال المجتمع :**

﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾ (الصافات : ٧٠)

وتحذيراً كذلك من مغبة استحكام منزع الغرور والعناد الذي كان وراء كل ألوان تعطيل سبل المعرفة يقول القرآن الكريم :

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (الأعراف : ١٧٩) .

وإضافة لتزكية المنحى الواقعي والموضوعي الذي ينبغي أن يسود حياة العباد تستجيب فكرة الإسلام في عرضها لمقومات الوجود الإنساني والطبيعي لخصائص الفطرة القويمة والفكرة السليمة مستبعدة كل مقولات الكلام الجافة ونظريات الجدل الباهتة وجلّ المسالك التي لا تؤدي لخير أو نفع :

« عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى احمر وجهه كأنما فقىء في وجنتيه الرُّمّان ، فقال :

أبهذا أُمرتم أم بهذا أُرسلت إليكم ؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر ، عزمت عليكم أن لا تتنازعوا فيه » (رواه الترمذي) .

إن أصالة المنهج الإسلامي وواقعيته تجعل كل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها كما قرر **الإمام الشاطبي** رحمه الله :

خوض في ما لم يدل على استحسانه دليل شرعي ذلك أن الشارع يُعرض دوماً عما لا يفيد عملاً مكلفاً به مثل ردّ القرآن الحاسم :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ... ﴾ (البقرة : ١٨٩) .

فوقع الجواب بما يتعلق به العمل إعراضاً عما قصده السائل من السؤال عن الهلال :

لِمَ يظهر في أول الشهر دقيقاً كالخيط ثم يمتلىء حتى يصير بدراً ثم يعود إلى حالته الأولى ؟!

وإنا لنجد **القرآن الكريم** يمنع صراحة من الخوض النظري في مسائل الإلهيات والعقيدة ، ويدعو إلى تجنب جعل المباحث الدينية أُعبوبة للاستدلالات الفلسفية والمناقشات المجردة ، قال تعالى :

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنعام : ٦٨) .

منزع التعالي في النظرة الإسلامية

على أن المظهر الأكثر مطابقة لمعقولية الإسلام يتجلى في صرف أنظار المسلمين كلية عن مجرد البحث في مسائل الروح والخلق والتقدير ، كما في قوله تعالى :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (الإسراء : ١٠) أو في مثل قوله تعالى على لسان « زكريا » :

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (آل عمران : ٤٠)

وفي إعراض **الرسول** ﷺ عن سؤال الأعرابي حول موضوع قيام الساعة وإجابته الحازمة :

« **ما أعددت لها ؟** » دلالة تربوية هامة وتدعيم للمسلك القرآني الدافع لميادين الفعل والبناء .

معقولية الإسلام

لقد علم الرسول ﷺ وهو المشرع لأمور الدين أن البحث في قضايا الساعة والخوض في موعدها إنما هو خروج عن دائرة الحركية الإيجابية التي لا تعرف البحث في ما لا طائل من ورائه ، لأن معالم النظرة الإسلامية تنزع دوماً إلى ملء حياة المسلمين بما يصلح أحوالهم في الدنيا ويؤهلهم للفوز بنعيم الآخرة .

وإنا لنجد أيضاً تأكيداً لهذا المنزع في أغلب آيات القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا . فِيمَ أَنْتَ مِن ذِكْرَاهَا . إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا . إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ﴾ (النازعات : ٤٢-٤٥) بل إن هذا التدعيم هو أول ما يطالع المسلم وهو يفتتح كتاب ربه ففي سورة البقرة درس تربوي لهذا اللون من التفكير الواقعي : لقد كان المطلوب من بني إسرائيل ذبح بقرة على وجه النكرة دون تعقيد يُذكر ، ولكن عقلية الانحطاط اليهودية حوَّلت مجرى الحدث إلى انحراف عقيدي عظيم ، قال « ابن عباس » رضي الله عنه :

« لو ذبحوا بقرة ما لأجزأتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم » .

مسألة القول ...

ولأن « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » شددت الآداب الإسلامية في مسألة الكلام ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

« إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفع الله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم » (رواه البخاري) .

إن التصور الإسلامي يجعل الفرد مسؤولاً عن كل أقواله تجسيماً لوحدة الفعل والقول حيث لا مجال للفصل بين مختلف عناصر الدين :

﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (ق : ١٨) .

إن عظمة القرآن تكمن أيضاً في كشفه عن كوامن النفوس والتحذير من مزالق الهوى ، ولذلك نجده يحذِّر بصرامة من مغبة الانحراف :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ (المائدة : ١٠١) .

وفي بعض الروايات عن الرسول ﷺ :

« إن أعظم الناس جرماً من سأل عن شيء لم يُحرّم فحرم من أجل مسألته » (رواه أبو داود) .

■ **قوة المسلم المعاصر تتمثل في وعيه الأصيل بأن الإيجابية الدافعة لكل رقي تكمن في فهم نصوص الدين والعمل للسيطرة على الواقع ومغالبته .**

مطالب المرحلة الراهنة

وعلى العموم فإن الإسلام يريد من أتباعه الانشغال بتطبيق أحكام الدين ، والاستقامة عليها ذلك أن الخوض التجريدي والاستهانة بعالم الواقع والتجربة كان من أكبر غلطات أقوام من المسلمين ، مع أن جمهور الصحابة الكرام والتابعين المخلصين ما أثاروا أقضية تحجب عنهم دينهم الحق بل انطلقوا باسم الله الواحد الصمد ينقلون البشرية من الخرافة إلى الحق والتوحيد ، ومن الظلمات إلى النور والضياء .

إن قوة المسلم المعاصر تتمثل في وعيه الأصيل بأن الإيجابية الدافعة لكل رقي تكمن في فهم نصوص الدين والعمل للسيطرة على الواقع ومغالبته ، وحين خرج المسلمون عن هذا المنهج القرآني أصابهم ما أصاب الأمم القديمة ، وحقَّت عليهم قوانين الحياة ، فلا استقاموا على الطريقة ، ولا قدروا على حماية دينهم وأصبحوا أحاديث .

إن الهدف الرئيس لمسلم اليوم أن يعمل على تهيئة نفسه فيكتسب عناصر تكويناتها لإعلائها وترشيد خُطواتها على طريق التغيير الحق حتى إذا ما استقامت تصدَّت مباشرة لقيادة السلوك الإنساني لتعقد له وشائج قربى بالسماء أولاً وبعناصر الكون ثانياً ، وبهذا ينهض المسلم لينذر البشر بيوم الآخرة ، ويتهيأ للعمل من أجل قضايا الحياة الأبدية ، وكل انشغال عن هذا الدور الكبير يعتبر انصرافاً عن رسالة الإسلام الأولى ومشاغله الأساسية .

صفحة من كتاب

السنة

ومكانتها في التشريع الإسلامي

بقلم : الدكتور مصطفى السباعي

عرض تاريخي لأغراض المستشرقين

شاء الله أن ترتد الحملات الصليبية كلها مدحورة مهزومة ، بعد حروب دامت مائتي سنة كاملة ، وأن يُقضى على الإمارات التي استولوا عليها ، وأن ترجع هذه الحملات إلى ديارها ، تحمل في قلوبها الحسرة . وفي جباهها الهزيمة ، ولكنها في الواقع كانت تحمل في عقولها شيئاً من نور الإسلام ، وفي ايديها ثمار الحضارة التي كانت بلادهم محرومة منها ، وإذا كانت الشعوب الأوربية قد رضيت من الغنيمة بالإياب ، فإن ملوكها وأمراءها رجعوا مصممين على الاستيلاء على هذه البلاد مهما طال الزمن وكثرت التكاليف ، ورأوا - بعد الإخفاق في الاستيلاء عليها عسكرياً - أن يتجهوا إلى دراسة شؤونها وعقائدها ، تمهيداً لغزوها ثقافياً وفكرياً ، ومن هنا كانت النواة الأولى لجمعيات المستشرقين التي ما تزال تواصل عملها حتى اليوم ، والتي كانت حتى عهد قريب تتألف من رجال الدين المسيحي أو اليهودي الذين هم - ولا شك أشد الناس كرهاً للإسلام وتعصباً عليه ، ولئن كان فريق من العلماء المنصفين قد غزا هذا الوسط (التبشيري المتعصب) فعني بالدراسات العربية والإسلامية في جو يتَّسم اكثره بالإنصاف ، إلا انه لا يزال - حتى اليوم - اكثر الذين يشتغلون منهم بهذه الدراسات من رجال الدين الذين يعنون بتحريف الإسلام وتشويه جماله ، أو من رجال الاستعمار الذين يعنون ببلبلة بلاد الاسلام في ثقافتها ، وتشويه حضارتها في اذهان المسلمين . وتتَّسِمُ بحوث هؤلاء بالظواهر الآتية :

١ - سوء الظن والفهم لكل ما يتصل بالإسلام في أهدافه ومقاصده .

٢ - سوء الظن برجال المسلمين وعلمائهم وعظمائهم .

٣ - تصوير المجتمع الإسلامي في مختلف العصور ، وخاصة في العصر الأول ، بمجتمع متفكك تقتل الأنانية رجاله وعظماءه .

٤ - تصوير الحضارة الإسلامية تصويراً دون الواقع بكثير ، تهويناً لشأنها واحتقاراً لآثارها .

٥ - الجهل بطبيعة المجتمع الإسلامي على حقيقته ، والحكم عليه من خلال ما يعرفه هؤلاء المستشرقون من أخلاق شعوبهم وعادات بلادهم .

٦ - إخضاع النصوص للفكرة ، التي يفرضونها حسب أهوائهم ، والتحكم فيما يرفضونه ويقبلونه من النصوص .

٧ - تحريفهم للنصوص في كثير من الأحيان ، تحريفاً مقصوداً ، وإساءتهم فهم العبارات حين لايجدون مجالا للتحريف .

٨ - تحكمهم في المصادر التي ينقلون منها ، فهم ينقلون مثلا من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث ، ومن كتاب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه . ويصححون ما ينقله « الدميري » في كتاب « الحيوان » ويكذبون ما يرويه « مالك » في « الموطأ » ، كل ذلك انسياقاً مع الهوى ، وانحرافاً عن الحق .

بهذه الروح التي أوضحنا خصائصها بحثوا في كل ما يتصل بالإسلام والمسلمين من تاريخ وفقه وتفسير وحديث وادب وحضارة ، وقد اتاح لهم تشجيع حكوماتهم ، ووفرة المصادر بين أيديهم ، وتفرغهم للدراسة ، واختصاص كل واحد منهم بفن أو ناحية من نواحي ذلك الفن ، يفرغ له جهده في حياتها كلها ، وساعدهم ذلك كله على أن يصبغوا بحوثهم بصبغة علمية ، وأن يحيطوا بثروة من الكتب والنصوص مالم يحط به كثير من علمائنا اليوم الذين يعيشون في مجتمع مضطرب في سياسته وثروته وأوضاعه . فلا يجدون متسعاً للتفرغ لما يتفرغ له أولئك المستشرقون وكان من اثر ذلك أن أصبحت كتبهم وبحوثهم مرجعاً للمتثقفين منا ، ثقافة غربية والملمين بلغات أجنبية ، وقد خدع أكثر هؤلاء المثقفين ببحوثهم ، واعتقدوا بمقدرتهم العلمية وإخلاصهم للحق .. وجروا وراء آرائهم ينقلونها كما هي ، ومنهم من يفاخر بأخذها عنهم ، ومنهم من يلبسها ثوباً إسلامياً جديداً . ولا أريد أن أضرب لك الأمثال ، ففي صنيع الأستاذ « أحمد أمين » في « فجر الاسلام » وفي صنيع ابي رية في « أضواء على السنة المحمدية » مثلاً لتلامذة مدرسة المستشرقين من المسلمين

مكتبة الأمة

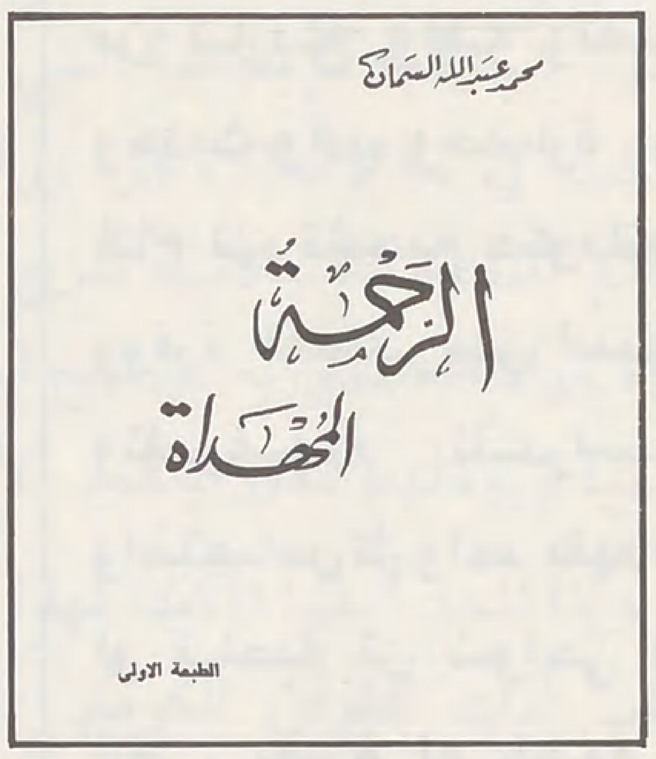

الكتاب : الرحمة المهداة
المؤلف : محمد عبد الله السمان
الناشر : دار الاعتصام ـ القاهرة

□□ إن الكتابة عن محمد ﷺ لم تنته ، ولن تنتهي حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، ذلك لأن جوانب العظمة في شخصيته لا حدود لها ، بل هي أكثر من أن يستوعبها ألف كتاب وكتاب ، بهذه العبارة بدأ المؤلف مقدمة كتابه الذي تحدث فيه عن :

● الدعوة والداعية ، الدعوة هي الإسلام ، وتقوم على أساس ومنهاج ، والداعية هو محمد ﷺ .. والعلاقة بين الدعوة والداعية علاقة وثيقة لا انفصام بينهما ، فالداعية جزء لا يتجزأ من الدعوة ، كما أن الدعوة هي كل مشاعر الداعية وأحاسيسه ، وكل حاضره ومستقبله بل ومستقبل البشرية من بعده ...

● القائد والمربي ، وفي شخصية الرسول ﷺ القيادة والتربية وثيقتا الارتباط ، فقد توافر في شخصه الكريم القيادة بمفهومها القريب وبمفهومها البعيد [القيادة العسكرية والسياسية] إلى جانب كونه قائد دعوة ، وقائد امة ، وقائد دولة ، ثم قائد تاريخ بأسره .

● المبادىء والمثل ، مبدأ بشرية القائد « إني وليت عليكم ولست بخيركم » « إني كواحد منكم غير اني اثقلكم حملاً » كلمات قالها أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما بعد وفاة الرسول ﷺ تأسياً عملياً به ، ولا غرو في ذلك فهو القدوة والأسوة ، وهو الذي كان يقول للمراة : « هوني عليك إنما انا ابن امراة كانت تاكل القديد » « لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم ، فإنما انا عبده ، فقولوا : عبد الله ورسوله » ، وهو الذي قاد الناس من نفسه « استقد يا سواد » عندما قال له سواد رضي الله عنه : اقدني بعد أن دفعه في بطنه وهو يسوي الجند ... إضافة إلى مبدأ الزهد في الدنيا وعدم التكالب عليها رغم إقبالها « يا ربّ اجوع يوماً واشبع يوماً » قالها بعد أن عرض عليه تعالى أن يجعل له بطحاء مكة ذهباً ... وكان ينام على حصير حتى يؤثر في جنبه ، ويقول له ابن مسعود رضي الله عنه : لو امرتنا ان نبسط لك ...

فقال عليه الصلاة والسلام « مالي وللدنيا ، ما انا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » وهو الذي قال : « لا يقتسم ورثتي ديناراً ، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة » و « لا نورث .. ما تركناه صدقة » لقد كان عليه الصلاة والسلام مصدراً خصباً للمبادىء الكريمة والمثل العليا ، وكان في سلوكه وفي سائر حياته قمة هذه المبادىء والمثل ...

● وأين نحن من هدي محمد ﷺ؟ لا خير فينا إن لم نكن صرحاء مع انفسنا فنعترف بالبون الشاسع بيننا وبين هذا الهدي ، وكيف تحول الإسلام على أيدي الكثيرين إلى مراسم وطقوس ، بدلاً من أن يكون تربية وسلوكاً والتزاماً وليس ثرثرة ولا جعجعة .

وينهي المؤلف كتابه بالاعتذار لرسول الله ﷺ عن تقصير المسلمين وعدم التزامهم هديه ، وكيف أن الإسلام غريب اليوم في دياره ، ولكن ما أقل المسلمين الغرباء المتمسكين بهدي الله ورسوله ﷺ .. □□

الكتاب : عروبة وإسلام ومعاصرة
المؤلف : أحمد صدقي الدجاني
الناشر : فلسطين المحتلة ـ بيروت

□□ الكتاب في أصله مجموعة ابحاث القاها المؤلف على مدى عامين وفي اماكن متفرقة ، تابع فيها تناول عدد من القضايا والمشكلات التي نعيشها على صعيد وطننا العربي وعالمنا المعاصر ، وقد أعطى للكتاب هذا العنوان « عروبة وإسلام ومعاصرة » لإبراز الأبعاد الثلاثة التي تضمنتها هذه الأبحاث ، وللفت النظر إلى فكرة دوائر الانتماء المتعددة التي شرحها في دراسة العلاقة بين القومية العربية والإسلام ...

البحث الأول : « رأي في معالجة مشكلات عالمية » والرابع « أضواء على الأزمات الروحية في عالمنا المعاصر » القاهما في أكاديمية المملكة المغربية ... وقد تحدث فيهما عن أهمية اللقاء على صعيد الفكر ، وضرورة إدراك طبيعة العصر والطبيعة الإنسانية بهدف إسعاد الإنسان ... كما تناول في حديثه : « اخطار تواجه الإنسان ، ظاهرة الأزمات الروحية وظاهرة الإحياء الروحي ، مفهوم الأزمة الروحية وماهية البعد الروحي في الإنسان ، الأزمة الروحية في الحضارة العربية الإسلامية ومستقبل حركات الإحياء الروحي ، التكامل بين الدين والعلم والفن .. » .

أما البحث الثاني « مستقبل العلاقات بين القومية العربية والإسلام » والثالث « حول نشأة الفكر القومي العربي وتطوره » فقد القاهما في ندوة « القومية العربية في الفكر والممارسة » وندوة « القومية العربية والإسلام » اللتين دعا إليهما مركز دراسات الوحدة العربية ..

والبحث الخامس « شعب فلسطين والقدس : تاريخ ومستقبل » قدمه إلى الندوة الدولية حول القدس التي انعقدت بمقر اليونسكو بمدينة باريس الفرنسية .

والبحث السادس « بين القضية الفلسطينية والقضية اللبنانية » قدمه إلى ندوة « شواغل وتطلعات لبنانية » ،

التي دعت إليها جمعية متخرجي المقاصد الإسلامية ببيروت .

والأبحاث الثلاثة الأخيرة (السابع والثامن والتاسع) « قدسنا والعالم ـ في التضامن من أجل فلسطين ـ اليهود في التيه الصهيوني » قدمها لمحافل دولية وضمنها الأفكار الرئيسة التي يرى ضرورة التركيز عليها في طرح القضية المقدسة على الصعيد الدولي ، وقد ألقيت الأبحاث الثلاثة في مجلس الأمن الدولي في افتتاح بحث قضية القدس في دورة دعت إلى عقدها منظمة المؤتمر الإسلامي ، وفي مقر اليونسكو بباريس في الاحتفال بيوم التضامن مع شعب فلسطين ... وفي هذه الأبحاث تناول العدوان الصهيوني على القدس ، ومواقف من قضية القدس ، وموقف الولايات المتحدة من قضية القدس ، وحق مقاومة الاحتلال ، والدور الحضاري لشعب فلسطين ، وحصاد الصهيونية ، ويهود العالم إلى اين ؟ ثم عقد مقارنة بين جرائمهم وجهادنا ، وانتهى إلى أن القيم العليا لا بد أن تنتصر .. □□

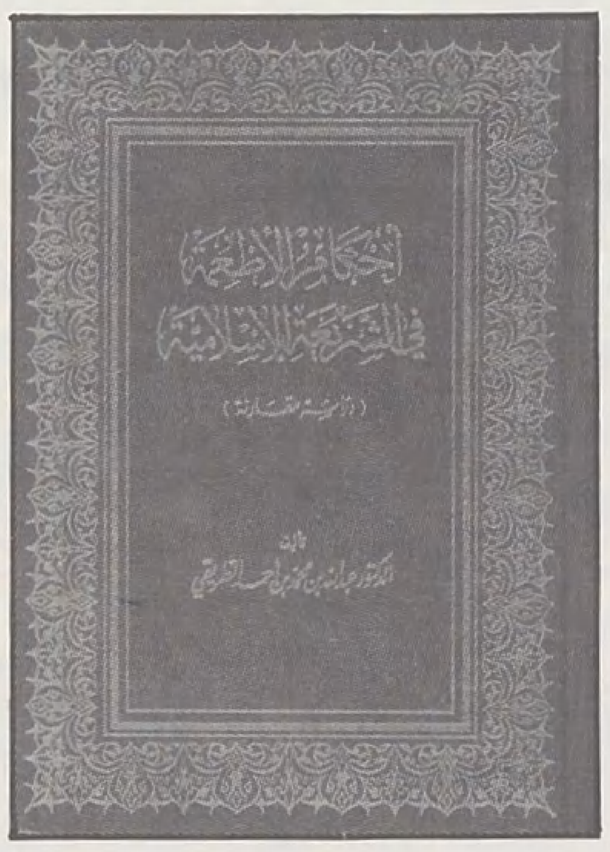

الكتاب : أحكام الأطعمة في الشريعة الإسلامية

المؤلف : الدكتور عبد الله بن محمد الطريقي

الناشر : المؤلف نفسه ـ السعودية

□□ الكتاب كما يظهر من تبويبه ومقدمته أطروحة جامعية لنيل درجة علمية ، يتكون من مقدمة واربعة أبواب وخاتمة :

اما المقدمة فجاءت في : فضل الكسب والحث عليه ، فضل الكسب الحلال ومذمة الكسب الحرام ، حاجة الإنسان إلى الطعام ، أحكام أكل الطعام ، آداب أكل الطعام .

أما الباب الأول فجاء في فصلين ، تناول في الأول منهما معنى الأطعمة واقسامها ومصدر أحكامها ، وفي الثاني تناول الأسباب العامة لتحريم الشيء وكراهته ...

اما الباب الثاني فجاء في سبعة فصول تناول فيها بيان حكم الطعام من الحيوان (الخيل ـ البغال ـ الحمير ـ السباع والطيور وما لا مخلب له من الطير ـ المستانس من الحيوان ـ الضبّ ـ القنفذ ـ القرد ـ الفيل ـ الخنزير ـ الحشرات ـ ما يحرم أو يكره من الحيوان الماكول لسبب عارض ـ حيوان البحر) .

اما الباب الثالث فجاء في ستة فصول تناول فيها حكم الطعام من غير الحيوان (الجيلاتين الموجود في كثير من الأطعمة ـ الأدهان في الأغذية ـ الأجبان ـ اكل الطين والتراب ـ أكل المسكر والمخدر ـ ما له رائحة كريهة ...) .

اما الباب الرابع فجاء في ثلاثة فصول تناول فيها أموراً متفرقة (الميتة والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع ـ أكل ما يخرج من الحيوان ـ الأكل من المحرم عند الاضطرار) .

وجاءت الخاتمة لتقدم خلاصة لأهم ما ورد في الكتاب . □□

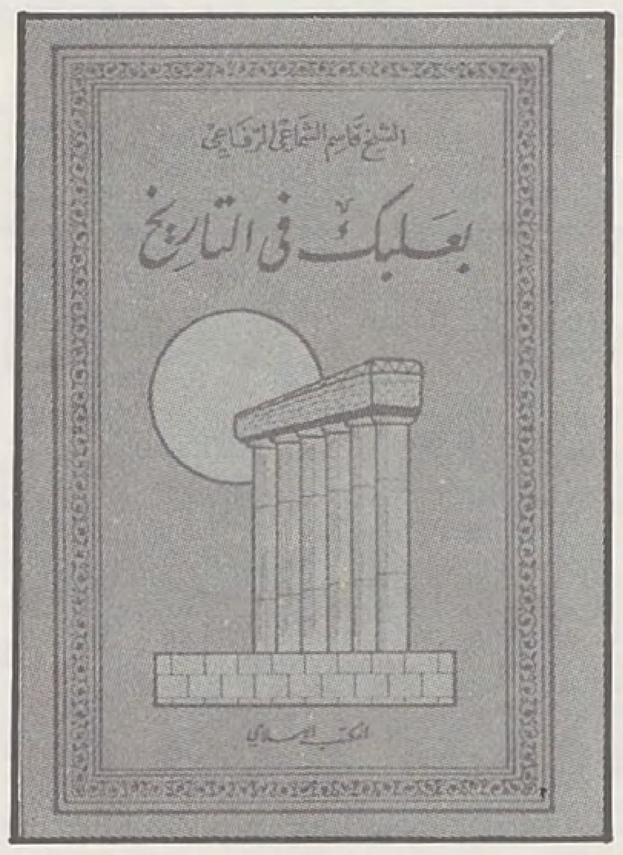

الكتاب : بعلبك في التاريخ

المؤلف : الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي

الناشر : المكتب الإسلامي ـ بيروت

□□ لمدينة بعلبك تاريخ أصيل موغل في القدم ، فتحت على عهد الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلحاً وأصبحت جزءاً من الدولة الإسلامية منذ ذلك الحين ، وفيها ولد وترعرع ائمة أعلام تركوا آثاراً عادت بالخير على البشرية عامة والمسلمين بصورة خاصة ، من هؤلاء : الأوزاعي الفقيه المحدث الصادح بالحق ، والقطب اليونيني أسد الشام ، والمقريزي صاحب الخطط وغيرهم رحمهم الله ..

هذا التاريخ المجيد يكاد ينساه حتى القريب من المدينة ، بسبب ما مر عليها في العصور المتاخرة من الجهل والإهمال ، وما خططه المستعمر في مناهج التعليم التي يُنَشَّأ عليها أبناؤنا والتي تعود إلى العهود الاستعمارية ، الفرنسية منها بشكل خاص ، حيث اصبح الاهتمام بالثورة الفرنسية ورجالاتها وتاريخ فرنسا بصورة عامة هو الأصل في هذه المناهج ، حتى غدا الطالب يعرف حتى الجزئيات عن هذه الأمور ويجهل الواضح البارز من معالم تاريخ بلدته ورجالاتها وعقيدتها ..

إلّا ان ائمة اعلاماً وقفوا في وجه هذا المد الاستعماري واخذوا على عاتقهم بيان حقيقة تاريخ المسلمين وضرورة تغيير هذه المناهج ، من هؤلاء :

العلامة الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله وأمثاله الذين نذروا انفسهم لمقارعة الانحراف .

ويأتي كتاب العلامة الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي عن مدينة بعلبك في هذا الاتجاه مبيناً ما لهذه المدينة من اثر في التاريخ ، وفي التاريخ الإسلامي منذ أن فتحت في السنة الرابعة عشرة للهجرة صلحاً .. وقد فصل المؤلف علماء القرن السادس وما قبله ، وأدرج فيه العلماء الذين اجتمعوا بعلماء بعلبكيين ، أو سكنوا بعلبك ، أو تولوا وظائف فيها ، وأما علماء القرنين السابع والثامن فقد أفردهم بتراجم متتابعة وألحق بهم العلماء الذين اجتمعوا بهم أو تلقوا عنهم ، وكذا الحال في علماء القرنين التاسع والعاشر ، وما بعد القرن العاشر فقد أدرجهم مجتمعين إلى يومنا هذا ... كما ضبط اسمها ، ومن بنى قلعتها وذكر مساجدها وأضرحتها وزواياها ومدارسها ، ووطأ لذلك بالحديث عن الإسلام وعلاقاته بالديانات الأخرى .

وقد قدّم الشيخ حسن خالد مفتي الجمهورية اللبنانية للكتاب الذي جاء بحوالي ستمائة وخمسين صفحة ، كما الحق به جملة صور لمدينة بعلبك وآثارها . □□

استطلاع

علامات على طريق الأجيال الثلاثة

●● يعود الوجود الإسلامي في ألمانيا إلى عهد الدولة البروسية ـ في مطلع القرن الثامن عشر الميلادي ـ حيث قامت بينها وبين دولة الخلافة العثمانية ـ في عهد السلطان محمد الثاني (١٧٣٠ ـ ١٧٤٥م) ـ علاقات سياسية ودبلوماسية .. استعان من خلالها البروسيون بالفرسان المسلمين لتدريبهم على الفروسية ، حتى بلغ عددهم في الجيش البروسي حوالي ألف فارس في نهاية القرن الثامن عشر ... ولم تكن غاية نشر الدعوة بعيدة عن طبيعة هذه العلاقات ، فقد جاء ضمن نص تقرير مبعوث السلطان عبد الحميد الأول إلى برلين « أحمد أفندي » : [... إن سكان برلين يعترفون بالنبي محمد « ﷺ » ، ولا يترددون عن إعلان استعدادهم لقبول الإسلام ...] . ●●

وتروي بعض المصادر أنه سُمح للمسلمين العثمانيين ـ المقيمين في بروسيا ـ بأن ينشئوا أماكن للصلاة ، ربما كان أولها عام ١٧٣١م .

أما أول اسم ـ تُوثق المصادر التاريخية اعتناق صاحبه الإسلام ، فهو اسم « **جوستاف أدولف فون فريدي** » ـ ١٨٣٥م ، الذي ظهر فيما بعد في مواقع عديدة في خدمة الجيش العثماني في استانبول وشمالي أفريقيا ، وبعد ذلك برز اسم الألماني المتخصص بالدراسات الافريقية الدكتور « **إدوارد سينتسر** » الذي اعتنق الإسلام عام ١٨٧٥م وأصبح اسمه « **محمد أمين باشا** » حاكم المقاطعة الاستوائية المصرية عام ١٨٧٨م ... وكانت الموجة الأولى لانتشار أعداد كبيرة من المسلمين داخل ألمانيا في أوائل القرن العشرين ، عندما هاجر كثير من مسلمي الجمهوريات الإسلامية جنوبي الاتحاد السوفييتي ، ومسلمي أوروبا الشرقية فراراً من اضطهاد الشيوعية ، ومعظمهم من ذوي الأصل الألماني أو حصلوا على الجنسية الألمانية ... وتقدر المصادر الكنسية هناك عددهم اليوم بحوالي (٦٥٠٠) مسلم [هذا الرقم أدنى من الواقع ، حيث يبدو أنه أهمل عدد من اعتنق الإسلام من الألمانيات وعدد الأبناء من زيجات مختلطة] ـ ومع ذلك فهم الأقل عدداً بين المسلمين من الجنسيات المختلفة .. فالمسلمون جميعهم ، الذين يعيشون في ألمانيا حالياً ، يُقدَّر عددهم بحوالي ٢ر٥ مليون مسلم ، [نصف مليون دون الخامسة عشرة و ٧٠٠ ألف امرأة مسلمة] .. في مقدمتهم جالية الأتراك (١ر٧ مليون) تليها جالية اليوغسلاف (٤٠٠ ألف) ثم العرب ، وأبرز مجموعاتهم من المغرب وتونس .. ثم المسلمون ذوو الجنسية الألمانية .

ولكن ، مهما تعددت جنسيات المسلمين في ألمانيا .. ومهما انتشرت مناطق توزعهم وتجمعهم على خارطتها .. ومهما كانت أسباب هجرتهم إليها وإقامتهم فيها ، فإن هناك حقيقة هامة ، هي أن قضاياهم واحدة ، تحيط بأجيال ثلاثة ... هي ما نسعى إلى التعرف إليها ؛ من خلال هذا الاستطلاع .

ليست جزءاً من أوروبا

قد يكون اهتمامنا الأول هو أوضاع الجالية الإسلامية في داخل ألمانيا والمشكلات التي تعاني منها ـ داخلياً وخارجياً ـ غير أنه لا يجوز أن تنفصل هذه القضية عن جذورها ومنطلقاتها التاريخية والفكرية ..

من المعروف أن دول أوروبا الغربية

■ على الرغم من انسلاخ تركيا الرسمي عن إسلامها لم يتغير موقف العالم الغربي منها فلا استطاعت أن تكون قطعة من أوروبا ولا استطاعت أن تحتفظ بموقعها ومكانتها في العالم الإسلامي .

■ يوسف محمد اكتورك : ... للأسف الشديد نادراً ما يصل أحد أبناء الجالية إلى مستوى الثانوية العامة .. ■

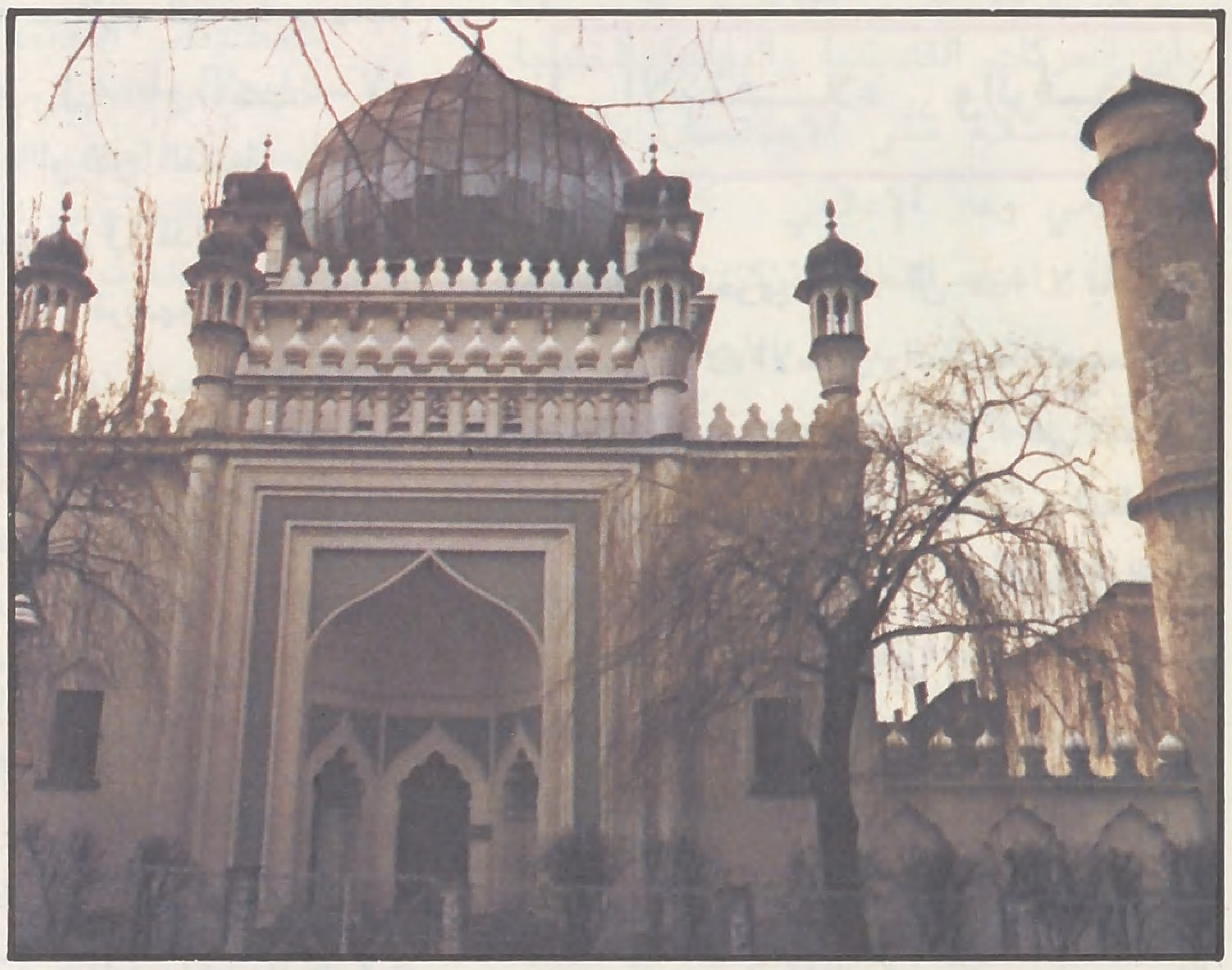

■ مسجد القاديانية في برلين ■

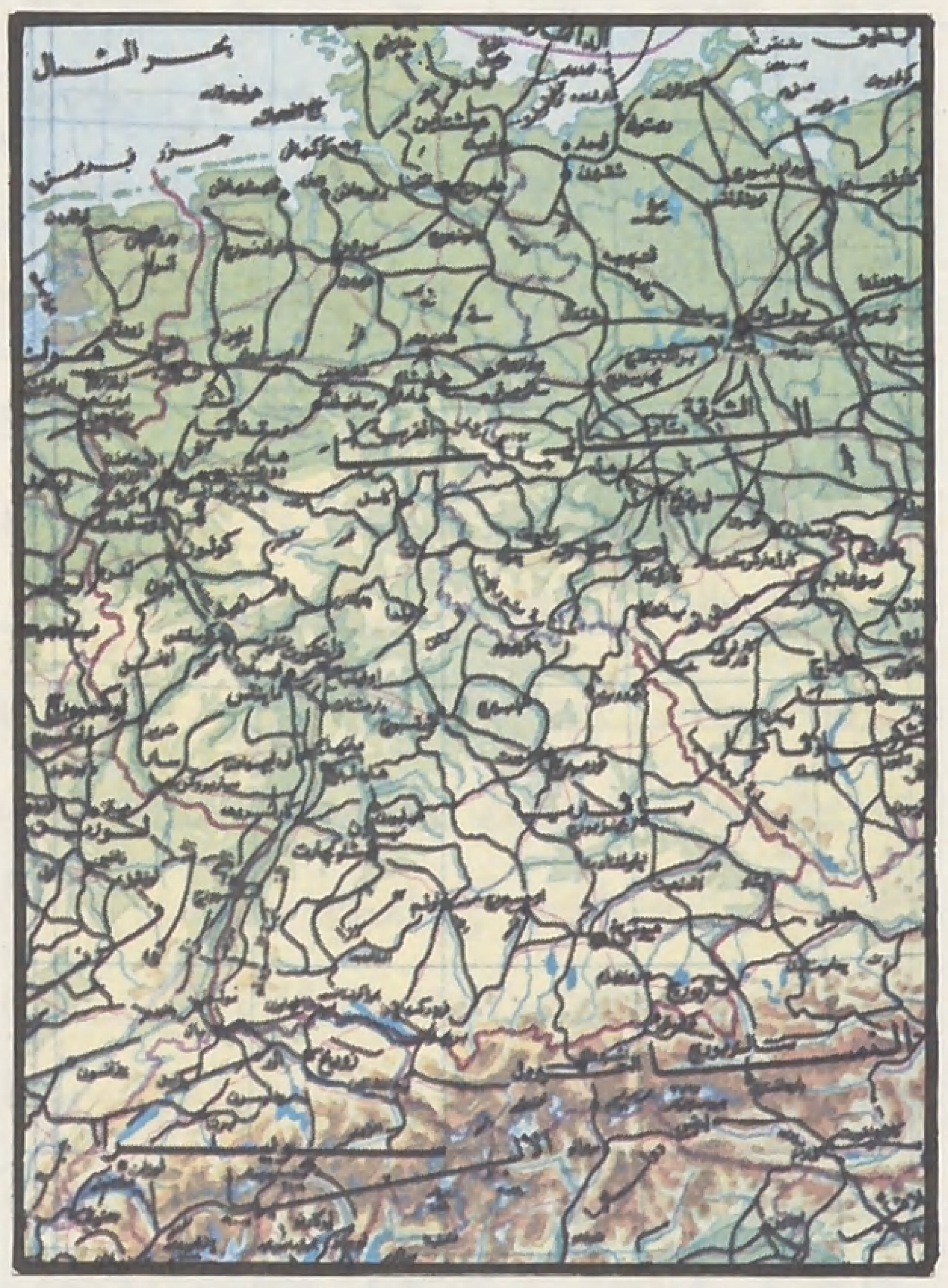

اعتمدت بعد الحرب العالمية الثانية ـ إلى حد بعيد ـ على الأيدي العاملة الأجنبية في تحقيق نهضتها الاقتصادية .. فكما اعتمدت فرنسا على المسلمين العرب من شمالي أفريقيا ، وبريطانيا على الهنود والباكستانيين ومواطني جزر الهند الغربية ، اعتمدت ألمانيا الغربية على « **عمال ضيوف** » من عدة أقطار ، في مقدمتها تركيا والمغرب وتونس ، وبعض بلدان جنوبي أوروبا ـ في تحقيق معجزتها الاقتصادية .

ولعل منطق الأشياء كان يقضي بأن تكون الجالية التركية أقرب إلى ألمانيا ـ بالذات ـ من سائر الجاليات الأخرى ، ذلك أن ألمانيا ـ كجزء من العالم الغربي ـ ساهمت بحمل تركيا على أن تكون جزءاً من الغرب ـ بثقافته وحضارته الأوروبية ، حينما قطعوها عن العالم الإسلامي ، ولكن على الرغم من انسلاخ تركيا الرسمي عن إسلامها ـ لم يتغير موقف العالم الغربي منها ، فلا استطاعت أن تكون قطعة من أوروبا ولا استطاعت أن تحتفظ بموقعها ومكانتها من العالم الإسلامي .. ولا يزال الإنسان التركي في دول أوروبا ـ عامة ، ومنها ألمانيا ـ يمثل في نظرهم المسلم الذي يجب أن يتخذ تجاهه موقف ، من خلال عقدة الحروب الصليبية التاريخية التي ترسبت في أعماق الأوروبي .. وهذا يمكن أن يمثل أنموذجاً لأي مسلم من أي منطقة في العالم الإسلامي .

إن المشكلات الاجتماعية التي يواجهها المسلمون في ألمانيا الاتحادية ، في ظل مجتمع غربي غريب عنهم تماماً ـ مشكلات كثيرة ، ولا يمكن فصلها عن بقية جوانب وضع المسلمين في هذه البلاد على الصعيد القانوني والثقافي .. وتتمثل أبرز المشكلات في أوضاع الناشئة ، الذين تقدر بعض المصادر الألمانية عددهم بنحو مائة ألف مسلم ـ على الأقل ـ بين ١٤ و ١٨ سنة من عمرهم .. معظمهم وُلدوا في ألمانيا أو جاؤوا إليها صغاراً ، فتكاد جذور ارتباطهم بالمناخ الإسلامي في

علامات على طريق الأجيال الثلاثة

الواقع الإسلامي في ألمانيا الاتحادية

استطلاع

مجتمعهم الأول تنقطع ، إلَّا من قدر ضئيل في إطار بعض الأسر .. وهم يواجهون ضغوطاً أكبر بكثير مما يواجهه الأكبر سناً من المسلمين ، فهم على علاقة مباشرة وعميقة بمن هم في سنهم من الناشئة الألمان ، وبطريقة حياتهم الغربية ، بعيداً عن توجيه الأسرة ـ في معظم الأحيان ـ لأن الزوجين يعملان ، أو لأن الناشئة يقضون الجزء الأكبر من يومهم في المدارس أو مراكز التدريب المهني مع أقرانهم الألمان .. في الوقت الذي يفتقدون فيه التصور الإسلامي ـ أصلاً ـ لضعف المستوى الثقافي لدى الأسرة المسلمة ، مع عدم وجود مراكز توجيه ـ كافية وفاعلة ـ تقابل الأثر التوجيهي للمجتمع الألماني .. بينما تركز المدارس والمؤسسات الرسمية والكنسية جهوداً كبيرة لتحقيق ما يسمى بدمج الناشئة المسلمين في المجتمع الألماني ، بكل ما يعنيه ذلك من أنشطة الرحلات والمخيمات والحفلات والندوات المختلفة .. هذا وتؤكد التقارير والتصريحات الرسمية في ألمانيا ؛ أن الجهد الأكبر سيوجَّه ـ في المرحلة القادمة ـ لهذه الفئة من المسلمين بصورة خاصة ، بعد أن تبين أن الجيل الأكبر سناً لم يعد بالإمكان ـ واقعياً ـ دمجه في المجتمع الألماني ، لوجود حصانة عقيدية لديه تمنع انزلاقه إلى طريقة الحياة الغربية ، أو لتفضيله العزلة على مثل هذا الاندماج ونتائجه الخطيرة .

الاستعلاء .. والرفض

ومرة أخرىٰ نؤكد أن هذا لا يعني أن يتحول هؤلاء الأطفال والناشئة المسلمون إلى « **ألمان** » ، حتى ولو حصلوا على الجنسية الألمانية ، إنما يعيشون في وضع المعلق بين وضعين ، فمع كل ما يقال وينشر حول الدعوة إلى « **الاندماج** » ، تبقى في المجتمع الألماني آثار واضحة لرفض « **الغريب** » والمسلم خاصة ، والوقوف منه موقف الاستعلاء والعداء إلى حد بعيد .

وعلى سبيل المثال فإن الصحف ووسائل الإعلام الألمانية تتحدث عن نسبة الجريمة بين « **الأجانب** » ، وتركز أحياناً على « **المسلمين** » ، مع أن التقارير الرسمية لأوضاع الجريمة هناك تثبت بالأرقام أن نسبة انتشار الجريمة بين الألمان أعلى وأسرع منها بين المسلمين الأجانب بالذات ـ وإن لم تكن كذلك بالنسبة للأجانب الآخرين من إيطاليا مثلاً ـ إلَّا أن هذه الحملات تؤثر بزيادة حدَّة موجة العداء تجاه الأجانب عامة ، والمسلمين بصفة خاصة وفي مقدمتهم الأتراك ، بالإضافة إلى أن كثيراً من التصريحات والمواقف الرسمية ، صريحة في تمييزها بين الأجانب المسلمين ، والأجانب غير المسلمين ، فهي تؤكد على عدم وجود « **مشكلة اجتماعية** » مع غير المسلمين الذين ينتمون إلى الأصل الغربي الأوروبي .

ولعل التطورات الأخيرة في العالم الإسلامي ـ المتميزة بوجود صحوة إسلامية ـ قد أدَّت إلى اهتمام الدول الغربية ـ ومنها ألمانيا ـ بالعمل الإسلامي داخل البلدان الإسلامية وخارجها .. وانعكس ذلك الاهتمام ـ نتيجة عوامل الجهل بالإسلام وطبيعة العمل الإسلامي ، وبسبب ظواهر ملاحقته ومحاصرته أحياناً ـ إلى موقف سلبي ، يتسم بعدم الثقة في أدنى الحالات وبالمضايقات في معظم الحالات ، كما تدل على ذلك الأخبار والتقارير الصحفية المتتالية من عدد من البلدان الغربية .

أما المرأة المسلمة في المجتمع الألماني ، فهي أشد تعرضاً لوطأة هذه الظروف من الرجل ، وذلك نظراً إلى تمسك نسبة كبيرة من النساء المسلمات بمظهر إسلامي ـ على الأقل ـ مما يجعلهن عرضة لنوع من السخرية والاستهزاء ، بينما هن غير قادرات على مواجهة الموقف بسبب افتقاد اللغة أو التصور الإسلامي الحصين .. فالمرأة المسلمة ، إمَّا عاملة في مصنع أو في قطاع الخدمات أو هي ربة بيت ، ونادراً ما تكون في وضع ثقافي أو اجتماعي يمكنها من مواجهة المجتمع حولها ، بل نادراً ما يكون زوجها في مثل هذا الوضع .

■ في ألمانيا مائة ألف عامل تركي منظمين في روابط .. نصفهم في روابط إسلامية لكن للأسف لا نستطيع أن نعتبرهم رابطة واحدة .

■ كمال أتاتورك ■

■ هل استطاع تغريب تركيا وإخراجها من العالم الإسلامي ..؟ ■

حملة واحدة.. وأهداف متعددة

وعلى صعيد آخر، فإن المسلمين في ألمانيا ليس لهم كيان اقتصادي أو سياسي، ولذلك فإن طبيعة المشكلات التي تواجههم في هذا المجال تنشأ عن تطور الأوضاع الاقتصادية والسياسية الألمانية، في الوقت الذي لا تكاد السفارات التابعة لدولهم تؤدي دوراً فعلياً على هذا الصعيد، ويشير تطور الأوضاع هذا إلى أن «**المعجزة الاقتصادية**» قد انتكست بسبب الركود الاقتصادي العالمي، وأصبح في ألمانيا ٢٫٥ مليون ألماني عاطل عن العمل (حسب الأرقام الرسمية) يتنافسون بقوة مع العمال الأجانب على الوظائف «**القذرة**» - كما تسمى - والتي يشغلها عادة هؤلاء العمال، وهي لا تحتاج إلى مهارات مهنية .. ولكن من المحقق أن البطالة بين الألمان ليست بهذا الحجم الذي تظهره الأرقام، حيث تتضمن فئات الطلاب الألمان الذين اعتادوا العمل بصورة موسمية، أما حالة البطالة بين العمال الأجانب فإنها أكثر قسوة، فمن بين مجموع ٤٫٥٣ ملايين أجنبي في ألمانيا، لا يجد (٢٧٤) ألفاً (٤٠٪ منهم من الأتراك) أي عمل، وأصبح الاتجاه العام لمواجهة ذلك يتركز في الحد من وجود العمال المسلمين، وقد لا تظهر التصريحات الرسمية - دوماً - ما يشير إلى نتائج هذا الاتجاه في معاملة المسلمين، غير أن الحوادث التي تقع - يومياً - ويعايشها المسلمون في الغرب عامة - وفي ألمانيا من بين بلدانه - تدل على وجود حملة مركزة تستهدف تحقيق عدة أغراض في وقت واحد .. وتتمثل في ترحيل القسم الأكبر، الذي يمكن الاستغناء عنه من العمال المسلمين، ومنع جلب أفراد الأسر بالنسبة لمن لا تزال أسرهم في بلادهم، واستيعاب جيل الأطفال والناشئة ودمجهم في المجتمع الغربي - على المدى الطويل - وتطويق كل عمل إسلامي يمكن أن يؤدي إلى ظهور صوت إسلامي فعَّال على أي صعيد، بما في ذلك الصعيد النقابي، فضلاً عن الصعيد السياسي.

وقد يكون من الضروري الإشارة هنا إلى أن الحركات القاديانية والبهائية الخارجة عن الإسلام تلقى الاحتضان والدعم الإعلامي وغير الإعلامي .. كما أن هذه الحملة واسعة النطاق تتركز على المسلمين دون سواهم من فئات الأجانب، وتؤكد التقارير أنها ستشهد تصعيداً مستمراً في السنوات القليلة القادمة، ولا تكاد توجد جهود فعالة لمواجهتها ..

وفي إطار هذه الحملة، أصدرت حكومة المستشار «**هيلموت كول**» - مؤخراً - قانوناً يعرض على العامل الأجنبي مبلغ (١٠٥٠٠) مارك ألماني حوالي (٢٨٤٠ جنيهاً استرلينياً) إذا هو وافق على مغادرة البلاد نهائياً، كما يعرض إعادة جزء من مساهمته في صندوق التقاعد لتشجيعه على الرحيل .. وعلى الرغم من أن القانون لا يحدد الأتراك والمسلمين خاصة وإنما يتحدث عن العمال الأجانب عامة، إلَّا أنه من الواضح أن معظم أفراد الجاليات الأوروبية الأخرى، إما أن لهم الحق في العمل والإقامة في أي قطر من أقطار السوق الأوروبية المشتركة (وستنضم إسبانيا والبرتغال إلى السوق قريباً) أو أنهم قد ذابوا تماماً في المجتمع الألماني .. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن القانون لا يوفر للمطلوب ترحيلهم ما يكفي لنفقات عودتهم واستقرارهم في بلادهم، كما يقول رئيس قسم العمال الأجانب في وكالة رفاهية العمال في إقليم بافاريا، كما أن مبلغ التعويض لن يدفع - على أي حال - إلا بعد أن يخرج العامل الأجنبي من الحدود ويرسل «**شهادة عبور**» إلى السلطات

معلومـــــات

- المانيا الاتحادية وعاصمتها (بون) تقع في وسط اوروبا - بين الدول الاسكندنافية في الشمال ودول الألب في الجنوب، وتدخل بذلك ضمن دائرة المنطقة الباردة المعتدلة - مساحتها (٢٤٨٫٦٣٠) كيلومتراً مربعاً.
- تتكون من عشر ولايات اتحادية (منذ عام ١٩٤٨م)، وهي: بادن فورتمبرج - بافاريا - بريمن - هامبورج - هسن - نيدر ساكس - نورد راين - فستفالن - راينلاند بفالس - سارلانو - شليزفيج هولشتاين - مضافاً إليها القسم الغربي من برلين.
- الأحزاب الرئيسة فيها: الحزب الاشتراكي الديمقراطي - الحزب الديمقراطي المسيحي - الحزب الاشتراكي المسيحي - الحزب الديمقراطي الحر - الحزب الشيوعي الألماني - الحزب الألماني - الحزب البافاري - حزب الشعب الألماني.
- تصدر فيها (١١٩٠) صحيفة يومية عن (٤٠٠) دار للنشر بمعدل (٢٣) مليون نسخة يومياً (محلية وعالمية) و (٩٤٠٠) مجلة تطبع حوالي مليون نسخة - والتلفزيون والإذاعة اجهزة شبه حكومية وغير تجارية، ويبث التلفزيون من خلال ثلاث قنوات، والإذاعة من خلال تسع محطات، بالإضافة إلى محطتين للبرامج الموجهة للخارج تبثان باربع وثلاثين لغة، وفيها وكالة انباء واحدة.
- تقدر الكنيسة عدد المسلمين من ذوي الجنسية الألمانية - حالياً - بـ(٦٥٠٠) مسلم فقط، منهم (١٥٠٠) من ذوي الأصل الألماني - وهذه الأرقام ادنى من الواقع - حيث اهملت عدد من اعتنق الإسلام من الألمانيات، والأولاد من زيجات مختلطة.
- مجموع عدد المسلمين حوالي ٢٫٥ مليون مسلم - من بينهم نصف مليون دون الخامسة عشرة، وحوالي (٧٠٠) الف امراة مسلمة، وفي مقدمة مجموع المسلمين جالية الأتراك.
- اهم مناطق تجمع المسلمين: ولاية رينانيا وستفاليا، ولا سيما في كولون، ثم برلين الغربية، وولاية هسن ولا سيما في فرانكفورت، وميونيخ وشتوتجارت وهامبورج، فضلاً عن التجمعات الطلابية حيث توجد الجامعات.
- توجد (٤٩) ترجمة لمعاني القرآن الكريم باللغة الألمانية، منها (٧) متداولة، وليس بينها ترجمة واحدة يمكن الاعتماد عليها باطمئنان.

علامات على طريق الأجيال الثلاثة

الواقع الإسلامي في المانيا الاتحادية

استطلاع

الألمانية ، وقد يستغرق ذلك عدة شهور .. ومع ذلك ، فإن الدلائل تشير إلى أن العديد من الأسر المسلمة ، خاصة من بين الأتراك - تفكر بالفعل في العودة ، بسبب ازدياد الضغط النفسي عليهم ونفاد طاقتهم للمقاومة .

وبعـد ، فإن هذه الصورة العامة حول أوضاع المسلمين في ألمانيا الاتحادية قد تشكل إطاراً عاماً ، يسهل من خلاله إجراء دراسات لتحديد خطوات عملية مناسبة لمواجهة الجوانب السلبية من هذه الأوضاع .

ومن أجل إلقاء مزيد من الأضواء حول تفاصيلها .. قد أجرينا هذا الحوار مع واحد من المهتمين بدراسة أوضاع الجالية التركية المسلمة في ألمانيا .. كأنموذج لأوضاع المسلمين في معظم البلدان الأوروبية .. يوسف محمد اكتورك .. عضو جمعية الطلبة المسلمين في كولون ، الذي يدرس العلوم الاقتصادية والاجتماعية بجامعتها منذ سبع سنوات ، يجيد الألمانية ويتعلم الانجليزية ، ويفهم الحديث بالعربية ويحسن قراءة القرآن ويؤم المسلمين في الصلاة ...

■ من ٧٠ إلى ٨٠ بالمائة من الأبناء يرتادون المساجد ويتعلمون القرآن ■

■ مسجد مولانا — برلين :
مدارس القرآن لا توجد إلَّا في المساجد ■

اتفاقية جمع الشمل

● **يقــول اكتــورك :**

كانت الأوضاع الاقتصادية في تركيا زمن عدنان مندريس تتجه إلى الأسوأ ، وعلى الرغم من أنه حاول معالجتها ، إلا أنه لم ينجح في ذلك .. في تلك الآونة ؛ كانت الحرب العالمية الثانية قد وجدت آثارها في أوروبا - وفي ألمانيا بصفة خاصة ، حيث كانت في حاجة ماسة إلى أيدٍ عاملة ، وكان من الطبيعي أن تحصل على هذه الأيدي من دول أوروبية أولها إيطاليا ، ولكنها لم تتمكن من إشباع حاجاتها .

وقد ساعدت الأوضاع داخل تركيا - وبالذات الوضع الاقتصادي السيء - على خروج الأتراك إلى ألمانيا .. ولكن أود أن أوضح هنا بعض النقاط .

فاعتباراً من عامي ١٩٥٥/١٩٥٦م ، بدأ بعض العاملين يأتون إلى ألمانيا عن طريق اتصالات وعلاقات خاصة غير قانونية .. وقبل ذلك كانت الهجرة قد بدأت داخل تركيا نفسها ، حينما رحل العمال والفلاحون من القرى للعمل بالمدن ، ولكنهم فشلوا ، حيث لم يجدوا من المجالات ما يكفيهم ويرفع عنهم آثار الضغوط الاقتصادية .. وعندها توجهوا إلى الخارج ، وكانت ألمانيا بالذات في حاجة إليهم .

■■ **الحقيقة - في تقديرنا - أنه إلى جانب الحاجة إلى الأيدي العاملة في ألمانيا فإن طبيعة صلات ألمانيا بتركيا في الحرب العالمية الثانية ، قد أنشأت علاقات وصداقات من خلال بعض العسكريين ، فسهلت**

■ في مسجد الفاتح .. بنات الجالية التركية المسلمة في جلسات خاصة بهن لتعليم القـــرآن ■

لبعض المهاجرين ـ بشكل فردي وخاص ـ المجيء إلى ألمانيا .

ـ نعم .. والنقطة الثانية أنه : اعتباراً من عام ١٩٦١م سُمح للعمال فقط ، بالهجرة إلى ألمانيا ، وكانت هذه الخطوة هي الأولى التي تتم بطريقة قانونية ، فجاء العمال فقط دون أسرهم ـ في بادىء الأمر ـ واستمر هذا الاتجاه إلى أن وصل قمته عامي ١٩٧١ ـ ١٩٧٢م ، حينما عقدت بين تركيا وألمانيا اتفاقية لجمع شمل الأسر ، فسُمح بعد ذلك بمجيء الأسر والتحاقها بذويها ، فجاءت النساء أولاً ، ثم الأطفال ثم بعد ذلك جاء الأبناء الكبار ، الذين هم في سن التعليم بشكل طبيعي ، فالتحقوا بصفوف التعليم الألماني ، وبدأ ظهور فئة الطلاب من أبناء الجالية ، اعتباراً من عام ١٩٧١م بناء على الاتفاقية المذكورة .. والتي لا تزال سارية المفعول إلى الآن ، وهي اتفاقية « **جمع شمل الأسر** » ، ومن هذا التاريخ أيضاً بدأت المشكلات تظهر .

وعي بعد فوات الأوان

■■ أعتقد أن عدد أفراد الجالية كان قد وصل إلى قمته في تلك الأيام ـ بعد مجيء الأسر والأطفال ، حيث بلغ مليوناً ونصف المليون تقريباً ـ في كل ألمانيا ـ ؟

ـ هذا صحيح ، وهناك ملاحظة أيضاً حول مجيء العمال الأتراك إلى ألمانيا ، فالذين جاؤوا نتيجة الوضع الاقتصادي السيء في تركيا ، كان تفكير بعضهم يتجه للعمل من أجل ادخار مبلغ من المال ، يعود بعدها ليبني داراً له أو ينشىء محلاً تجارياً يكتسب منه أو يشتري قطعة أرض أو عقار ، المهم أن هذه الفئة جاءت وفي نيتها العودة . ولكن للأسف الشديد ، فإن هؤلاء حينما عادوا إلى بلدهم ساءت أحوالهم أكثر بعد أن أنفقوا مدخراتهم ، ولم تتحسن الأحوال الاقتصادية في تركيا ، فاضطروا للعودة إلى ألمانيا مرة أخرى .. أما الآخرون الذين لم يكونوا قد عادوا إلى تركيا ، فقد عدلوا عن العودة ، وفضّلوا الانتظار في ألمانيا حتى تتحسن الأحوال ، وطال انتظارهم حتى اليوم .

وهناك فئة ثانية ، كانت تعيش في تركيا حياة ميسورة ـ نسبياً ـ ولم ترحل إلى ألمانيا هرباً من الفقر ، وإنما تطلعاً لحياة أفضل في أوروبا ـ كما كانت توحي لهم بذلك تصوراتهم الخاصة في تلك الفترة .

أما الفئة الثالثة ، فهم المُلاحَقون سياسياً ـ وبصفة رئيسة اليساريون وقد كانوا على قدر من الذكاء ، فمن خرج منهم في السبعينيات تمكن من التأثير في العلاقات بين ألمانيا وتركيا ، وطبعاً لا يزالون يحتفظون بجنسياتهم مثل جميع الأتراك ، واستطاعوا بأفكارهم ونشاطهم وحيلهم أن يصلوا إلى الجهاز الذي يدير شؤون الجالية التركية ، ويشرف على العمال الأتراك في ألمانيا ، واستطاعوا أن يسيطروا عليهم .

■ دروس الوعظ .. تسبق الصلاة يوم الجمعة ■

■ عمليـات التحصين ضد الذوبان في مجتمع الغربـة ■

علامات على طريق الأجيال الثلاثة

الواقع الإسلامي في المانيا الاتحادية

استطلاع

وعلى سبيل المثال : فإن الإذاعة الألمانية هنا تقوم ببث ساعات من إرسالها كبرامج موجهة باللغة التركية .. ويعمل فيها يساريون أتراك ، وهم أيضاً يعملون ـ حتى اليوم ـ كمستشارين للأجهزة التي ترغب في تشغيل عمال من الأتراك ، وفي كل مكان من أماكن الإقامة يُعين واحد منهم من قبل الدولة للعلاقات ، لأن معظم الأتراك لا يعرفون اللغة الألمانية ، ولذلك فإن الحكومة الألمانية تستعين بواحد من الأتراك في معظم المواقع ليسهل الاتصال بالجالية التركية العاملة .. وقد استطاع الشيوعيون أن يصلوا إليها ..

أما بالنسبة للعمال من ذوي الاتجاه الإسلامي ، فقد جاء وعيهم بهذه القضية متأخراً ، وقد سبق أصحاب الأفكار الشيوعية والاشتراكية المسلمين بزمن طويل ، ولذلك فإن العمل الإسلامي في مثل هذه المجالات جاء متأخراً .

ويوجد في ألمانيا كلها مائة ألف عامل منظمين في روابط ـ سواء أكانت روابط إسلامية أو غير إسلامية ، ونستطيع أن نقول : إن نصف هذا العدد تقريباً أعضاء في روابط إسلامية ، لكن للأسف الشديد لا نستطيع أن نعتبرهم رابطة واحدة .. فهم يتوزعون بين عدد من الروابط ، أما النصف الآخر فتتقاسمه اتجاهات أخرى ، وعلى ذلك فإن المسلمين بانقسامهم لا يأتون في المقام الأول .

■■ وماذا عن موقف المجتمع الألماني .. هل يميز في نهاية المطاف بين أصحاب الاتجاه الإسلامي وبين غيرهم .. أم ينظر إليهم على أنهم جميعاً منحدرون من شعب مسلم ابتداءً ؟

ـ الحقيقة أن الألمان أنفسهم ليسوا فئة واحدة ، نستطيع أن نقول : إن كل الأحزاب الألمانية أو الشعب الألماني ضد المسلمين ، لكن يوجد من بين الألمان من يفضلهم ـ أصحاب الاتجاهات الأخرى ـ ويميل إليهم ويتعاطف معهم .. وعلى سبيل المثال فإن المرأة المسلمة حين تخرج وهي مرتدية الحجاب تثير غضب وسخرية الكثيرين سواء من الألمان أو من الأتراك الذين تربوا في مناخهم !

أقلية في ظل الانقسام

■■ هل يمكن أن نتعرف طبيعة الانقسام في الروابط الإسلامية ، ما هو سبب هذا الانقسام وأساسه ، وهل يرجع إلى انتماءات سياسية ، أم جاء نتيجة علاقات بمنظمات داخل تركيا نفسها ؟

ـ الحقيقة إن الانقسام يعود إلى أسباب تاريخية ، فعندما قامت حركات الكفاح ضد أتاتورك ، ظهرت شخصيات إسلامية مثل الشيخ سعيد النورسي ، وسليمان حلمي ، ونشأت لهم مدارس فكرية ، وقد قامت محاولات من أجل تجميع المسلمين في إطار حزب إسلامي يستطيع أن يصل إلى البرلمان ، وكانت أول محاولة من جانب حزب السلامة لتوحيد كل العاملين على النطاق الإسلامي ، لكن للأسف ، ظل الأشخاص الذين تربوا في المدارس الفكرية متحزبين لهذه الشخصيات ، واستمرت الحركة النورسية والحركة السليمانية وغيرهما .. ثم انتقلت بتنظيماتها وولاءاتها إلى الخارج .

ونستطيع أن نقول : إن الشخصيات التاريخية والمدارس والاتجاهات الفكرية كان لها دورها في وقوع هذه الانقسامات ، كما أن الاتجاهات الجديدة للعمل الإسلامي بتصوراته المختلفة لخدمة الإسلام الآن ، كان لها دورها أيضاً في حدوث الانقسامات .. وهذا الانقسام موجود في الداخل والخارج ـ وبصفة أساسية هنا في ألمانيا ... وتكاد تكون هذه مشكلة المسلمين الأساسية اليوم .

■■ الحقيقة ، هناك مشكلات واحدة وملحة تواجه هذه الأقسام جميعاً .. فهل هناك تصور لتوحيد الجهود والاحتفاظ بالاجتهادات الفكرية داخل المسلمين أنفسهم لمواجهة المشكلات التي لا تميز بين فئة وأخرى من المسلمين ؟

ـ لا يستطيع المسلمون الأتراك أن يتوحدوا لأنهم ليسوا على درجة واحدة من الوعي والمعرفة بعدوهم ، والألمان كذلك ليسوا على درجة واحدة من العداء معهم

■ رجل دين نصراني يتعرف على الإسلام في مسجد الفاتح ببرلين ■

■ الفروسية كانت الصفة المميزة في العسكرية الإسلامية ■

مجتمعات مغلقة

■■ طبعاً توجد هنالك جاليات وروابط إسلامية غير تركية في ألمانيا ، فإلى أي مدى يتحقق لون من التنسيق والتعاون والحس بالأخوة الإسلامية بين الجالية التركية وبين هذه التجمعات الإسلامية ، وهل يمكن أن نعتبر الأتراك يشكلون مجتمعات مغلقة حتى تجاه الإسلاميين أنفسهم ؟

ـ في رأيي أن الجميع ليس لديهم مانع أن يعملوا ، ولكن لا يستطيعون تحقيق ذلك عملياً ، وأستثني من ذلك الحركة السليمانية .. فالسليمانية حزب قومي بالدرجة الأولى ذو اتجاه إسلامي .. فهم يتعاونون مع القوميين الأتراك أكثر مما يتعاونون مع المسلمين الآخرين من الجنسيات المختلفة ، ويصدرون مجلة بالتعاون مع القوميين الأتراك بالإضافة إلى أن لهم علاقات مع الكنيسة ، فهم إسلاميون قوميون .. ليس لهم علاقة بالمسلمين الآخرين ولا يسعون إلى إنشاء هذه العلاقة .

هذا ويمكن أن نعتبر اللغة عاملاً أساسياً في عملية الاتصال وتكوين علاقات ناجحة ، فالحقيقة أن الأتراك هنا يتكلمون اللغة التركية ، لكنهم لا يحسنون الألمانية ، وفي الوقت نفسه يرغبون بشدة في تعلم اللغة العربية ، وبصفة عامة ، فإن العاطفة الإسلامية موجودة والرغبة في التعاون وإنشاء علاقات قائمة في نفوسهم ، ولكنهم لا يستطيعون تحقيق ذلك بسبب مشكلة اللغة .

وهناك نقطة أخرى تأتي في مجالات العلاقات ، وهي خاصة بالمذهب ، فالأتراك حنفيون ، وحين يصلون ـ مثلاً ـ فإنهم يصلون حسب ما ورثوه عن الآباء والأجداد ، وليس تبعاً للمذهب في حقيقته ، وحين يرون العرب لا يتبعون طريقتهم .. يعتقدون بأنهم على دين آخر .. وذلك ناتج عن جهلهم وعدم ثقافتهم الإسلامية .

وهكذا فإن العوامل المؤثرة سلبياً في قضية العلاقات بين الجالية التركية والمسلمين الآخرين هي : عدم وجود لغة مشتركة ـ أولاً ـ ثم اتباع المذهب عن جهل وليس عن علم ، بمعنى التقليد الأعمى الذي يجعل الإنسان لا يعرف أبعاد علاقته مع المسلمين الآخرين .. وهناك نقطة هامة أخرى في هذا المجال ، وهي ما غُرس في عقول المسلمين الأتراك ، كما غُرس في عقول غيرهم من المسلمين أنهم كانوا يستعمرون العالم العربي ، فمعاملة العرب للأتراك من هذا المنظور التاريخي لها آثارها التي تمتد حتى اليوم .

الأجيال الثلاثة

■■ ننتقل إلى نقطة أخرى في الحوار تتعلق بالناحية الثقافية للجالية ، فمن المعروف أن معظم أفراد الجالية من العمال ، الذين يستغرق الجهد العضلي يومهم كاملاً ، وقد انحدروا أصلاً من بيئات فقيرة لم تمكنهم من سوية ثقافية معينة ..

وبعد أن وصلوا إلى هنا ـ ومن خلال الواقع الثقافي ـ ما هي مظاهر الاحتفاظ بقضية الدين واللغة والمستوى اللازم من التعليم الإسلامي ؟

وهل استطاع الأبناء الذين جاؤوا للالتحاق بأسرهم أن يتابعوا تعليمهم الثانوي والعالي ، وأن يحققوا تخصصات دقيقة ونادرة تفيد مستقبل العمل الإسلامي والعالم الإسلامي وتنعكس على مكانتهم في المجتمع الألماني ؟

ـ بشكل عام حققت الجالية أشياء كثيرة في هذا المجال .. واستعصوا على الذوبان إلى حد بعيد .. وأستطيع أن أميز بين ثلاثة أجيال :

* **الجيل الأول** : الذي جاء وعمر أفراده بين الأربعين والخمسين .. فهؤلاء جاؤوا محتفظين بعاداتهم ، صحيح أنهم لم يتعلموا تعليماً جيداً ولكنهم ورثوا عقيدتهم الإسلامية كعادات وتقاليد .. واستطاعوا أن ينشئوا لأنفسهم ظروفاً اجتماعية مثل تلك التي كانوا يعيشونها في تركيا ـ تماماً ـ كأنما أحضروا معهم المجتمع التركي ، وتجد الصورة واضحة حينما يشكلون حياً كاملاً ، وهي الظاهرة التي يسميها الألمان « **الأحياء المغلقة على الأتراك** » .. وهنا تبدو ملاحظة ، فهؤلاء حينما جاؤوا انقسموا إلى ثلاثة أقسام : قسم انحرف متأثراً بطبيعة المجتمع الغربي ، وقسم أُتيحت له الفرصة ليبني نفسه ويتطور في الاتجاه الإسلامي ، والغالبية بقيت على ما هي عليه ، كأنها قطعة من المجتمع التركي .. هذا هو الجيل الأول .

* أما **الجيل الثاني** : فهم الذين جاؤوا وهم أطفال صغار ، في مرحلة جمع الشمل في السبعينيات ، وكان لا بد من دخولهم المدارس الألمانية حتى سن السادسة عشرة على الأقل أو الثامنة عشرة ، وهي المراحل التي تعادل الثانوية العامة عندنا ، ونستطيع أن نقول : إن هؤلاء

علامات على طريق الأجيال الثلاثة

الواقع الإسلامي في ألمانيا الاتحادية

استطلاع

انقسموا أيضاً إلى ثلاثة أقسام .. قسم تأثر بالوالدين ـ رغم خروجه إلى المجتمع الألماني من خلال المدرسة ـ فحافظ على تقاليد وعادات الأسرة التركية المسلمة ، وقسم نشأ ضائعاً ، فلا هو انتمى إلى الإسلام وعادات الأسرة التركية ، ولا استطاع أن يكون ألمانياً ، هو خليط بين الاثنين ، فتجده ـ مثلاً ـ يذهب إلى المسجد وفي الوقت نفسه يتردد على أماكن المشروبات ودور اللهو .. أما القسم الثالث فقد تربى تربية ألمانية كاملة وذاب في المجتمع الألماني ، ولا يعلم شيئاً يذكر عن الإسلام .

* **والجيل الثالث** : هم الأطفال الذين ولدوا هنا في ألمانيا ، وهؤلاء ببساطة في حالة خطر ، لم يروا تركيا ، وإذا زارها بعضهم فخلال العطلات ولفترة محدودة جداً ـ مع الآباء ـ وهم لا يعرفون شيئاً عن الحياة التركية .. يخرج الواحد منهم إلى المجتمع الألماني فيرى مظاهر الحياة التي ولد فيها ، ثم يذهب إلى البيت فيجد بعض العادات الغريبة عنه ، ولهذا فإن هذا الجيل يعيش حالة من التمزق الشديد في الواقع ، وإذا لم نجد طريقة لإنقاذه فسوف يضيع منا تماماً .

■■ وما هي ـ في تصوركم ـ وسائل المواجهة لهذه الظواهر ؟ وإلى أي مدى استطاعت الجالية أن تحقق شيئاً من الحماية لهذا الجيل ؟

ـ أعتقد أنه لا بد أن ننظر إلى المشكلة من زاويتين .. زاوية الألمان .. وماذا يريدون ، وزاوية الأتراك وماذا يريدون .. من زاوية الألمان ، فإنهم يقولون : إن الجيل الأول قد أدى مهمته ولم تعد هناك حاجة إليه ، أما ما يهمهم فهو قضية الجيل الثاني والجيل الثالث ، وتعاني ألمانيا الآن من مشكلة التناقص في عدد مواطنيها ـ بسبب زيادة عدد الوفيات على عدد المواليد ـ بينما تزداد الولادات بين الأتراك ، ويحل أطفالهم مشكلة هذا النقص ، ولذلك فإن الألمان يسعون إلى تذويبهم في المجتمع .. وتقوم الكنيسة بدور كبير في هذا ، حيث تعمل على تحويلهم إلى نصارى ، أو على الأقل تجعلهم ينسون عقيدة الإسلام .. وتنشط في هذا الاتجاه أيضاً المدارس نشاطاً ملحوظاً ..

أما من وجهة نظر الأتراك ، فإنها تنقسم إلى قسمين نظرة يتبناها غير الإسلاميين ، وأخرى يتبناها أصحاب الاتجاه الإسلامي والقوميين .. فالقسم الأول يتوافق في نظرته تقريباً مع وجهة النظر الألمانية ، الأمر الذي يتفق مع أفكارهم .. أما القسم الثاني فإنه حريص على بقاء الأبناء على إسلامهم ولكن من منظور قومي تركي ـ أي الاحتفاظ بهويتهم كمسلمين أتراك .

ومع ذلك فإن نسبة ٧٠ إلى ٨٠٪ من الأبناء يرتادون المساجد ويتعلمون فيها القرآن .. (٧٠٠ إلى ٨٠٠ ألف طفل ، لأن معظم أفراد الجالية من الأطفال) ، يستوي في ذلك أصحاب الاتجاهات المختلفة ، إلَّا أن أصحاب الاتجاه الإسلامي يتفوقون في درجة حرصهم على تعليم الأبناء الإسلام وتربيتهم على تعاليمه .. هذا مع العلم بأن مدارس القرآن لا توجد إلا في المساجد حيث لا يُسمح في ألمانيا بإنشاء مدارس خاصة ، كما لا يوجد نظام تدريس التربية الإسلامية في المدارس الألمانية الرسمية لأبناء الجالية ، كما يتم في بلجيكا على سبيل المثال .

■■ ... ولا يبقى سوى المسجد والأسرة .. والسؤال هنا : هل توجد أعداد كافية من المساجد لتستوعب هذا العدد الكبير من الأطفال ؟

ـ الحقيقة هناك حرص كبير على إقامة المساجد لتغطية هذه الحاجة ، خصوصاً في المواقع التي تتجمع فيها الجالية ، وقد بذلت محاولات لإنشاء دور للحضانة ، ولكنها لم تنجح .. فالحضانة الآن هي الأسرة .. والمدرسة هي المسجد .

التخصصات النادرة

■■ هناك نقطة نود السؤال عنها ، وهي خاصة بالطلاب الأتراك : هل تأثروا بوضع آبائهم فانصرفوا للعمل في المصانع أم أدركوا قيمة التخصص العلمي ، فارتادوا المؤسسات التخصصية في المجتمع ، لأن الجاليات المسلمة ـ في الحقيقة ـ نادراً ما يحقق الفرد منها مستوى عالياً من التعليم إلَّا إذا كان قادماً للتخصص من الخارج في الجامعات والمعاهد ..

فهل أدرك الأتراك المسلمون هنا أهمية التخصص العلمي ، فدفعوا أولادهم إليه ، أم الحقوهم بالمعامل والمصانع ، وبقوا يشكلون طبقة وسوية ثقافية معينة في المجتمع الألماني ؟

ـ للأسف الشديد ، فإنه نادراً ما يصل الابن إلى مستوى الثانوية العامة ، وما رأيت أحداً حصل عليها ليدخل الجامعة ، أما الذين يلتحقون بالجامعة فهم الذين درسوا في تركيا أولاً ثم ابتعثوا لاستكمال دراساتهم هنا .. وقد نجد عدداً من الأبناء هنا درسوا دراسات مهنية ـ ولكنه أيضاً عدد قليل .

■■ سؤال أخير ـ حول هذه القضية ـ فقد نرى أن عدم وصول الطلبة من ابناء الجالية إلى مستويات علمية متفوقة سيُبقي الجالية الإسلامية والجالية التركية في مواقع

■ الأتراك في ألمانيا لا تختلف أحياؤهم عنها في تركيا ■

■ الإحتفاظ بالظروف الاجتماعية التركية نفسها ... ■

لا تستطيع مغادرتها ـ مهما طال بقاؤها في هذه البلاد ـ فلا بد من التفكير بتهيئة الفرص لهم لمتابعة دراساتهم العالية، التي تمكنهم من عمليات التغيير المستقبلية، أي تغيير موقع الجالية التي هي فيه.

والحقيقة يمكن أن نضرب مثالاً على ذلك، قد يكون له علاقة بهذه القضية ـ فالجالية اليهودية ـ التي قد يساعدها وضعها المالي، استطاعت أن تحصل على التخصصات العلمية الدقيقة والنادرة، وبعد ذلك استطاعوا أن يؤثروا على المجتمع، سواء أكان ذلك على وضعه السياسي أو الاقتصادي، على الرغم من أعدادهم القليلة ـ من خلال النبوغ ـ لا أقول النبوغ العرقي، ولكن النبوغ العلمي والانصراف إلى التخصص.. فلو بقينا نحن على هذه الصورة سوف لا نؤثر في هذا المجتمع ـ مستقبلاً ـ إطلاقاً لأننا لا نغادر مواقعنا، بينما الجاليات الأخرى استطاعت أن تعتلي منابر علمية متخصصة، مكنتها من أن تؤثر على القرار السياسي والاقتصادي والفكري، لألمانيا وغيرها من الدول الأوروبية.. ولأمريكا أيضاً.

ـ أعتقد أن هناك نقطتين لا بد من توضيحهما ابتداء، النقطة الأولى: أن اليهود لهم وسائلهم وطرقهم الخاصة التي لا نستطيع نحن ـ بوصفنا مسلمين ـ أن نستخدمها أو نسلكها، هذا بالإضافة إلى أنهم قطعوا في الجانب العلمي شوطاً كبيراً، كما أن لهم طرقهم في الوصول إلى الأحزاب وغيرها.

أما بالنسبة لنا نحن المسلمين، فأعتقد أن هناك مشكلة كبيرة جداً، وهي لا تتمثل فقط في عدم قدرة شاب تركي على الوصول إلى الجامعة، لأننا لا نريد أن يصل هذا الشاب إلى الجامعة ليقوم بدور مثل ما قام به عدد من الأتراك في تغريب تركيا، وإنما لا بد أن نصل بنوعية خاصة من المسلمين إلى الجامعات وإلى الدراسات المتخصصة.

■■ نحن نتكلم في إطار الشباب الذي يمتلك الثقافة الإسلامية والذي إذا ذهب إلى الجامعة يكون قادراً على أن يعطي أنموذجاً آخر.. وأذكر هنا أنه في البلاد العربية استطاع بعض الشباب المسلم أن يحقق تفوقاً علمياً فحلّوا بذلك المشكلة.. مشكلة أن العلم حكر على الملحدين والمغرّبين، فالحقيقة تركيا الآن في حاجة إلى نماذج من التخصصات العالية التي تجمع ـ إلى جانب التخصص العلمي ـ الثقافة الإسلامية والتوجه الإسلامي، ليكون شاهد صدق أمام الجيل القادم. على أن العلم والتخصص العلمي ليس حكراً على الملحدين أو المغربين.

ـ لقد بدأ الجيل الذي أنتمي إليه ـ في تركيا ـ هذه الخطوة.. وأرجو أن تؤتي ثمارها، وأحاول من جانبي الآن كخطيب في عدد من المساجد هنا في ألمانيا أن أنشر الوعي بين الآباء ليوجهوا أبناءهم هذه الوجهة، وأحثهم على ذلك، ويكاد يكون ذلك هو عملي الأساسي، فأبين للآباء الذين لم يتربوا تربية إسلامية ولم يتعلموا تعليماً كافياً، ليشعروا بالمشكلة ويسعوا إلى تلافيها.. وأدعو الله تعالى أن نحقق نتائج طيبة في المستقبل القريب إن شاء الله.

■■ إذا آمنا بأن الإنسان هو الأداة والهدف لأي جهد حضاري ، فإن جوهر التخلّف الذي تعيشه المجتمعات المسلمة والقصور الذي يعوقها عن اللحاق بركب الحضارة المعاصرة على جميع مستوياتها ، يكمن في توجّه ذهنيّة الفرد المسلم ، وهو ما عجزت البنية الثّقافيّة في الوطن الإسلامي عن تجاوزه بسلام لبناء الفرد المسلم ، الذي خرج من معركته مع المستعمر خائر القوى ، مهدود الكيان ، محطّم الشخصية ■■

قصور السياسة التربوية في الوطن الإسلامي

وإذا نجح المستعمر في زعزعة الثقة بالنفس لدى الفرد المسلم ، وإخفاء روح المبادرة لديه ، وتعطيل طاقات التّساؤل والخيال والإبداع ، وسلب الرّغبة في الاعتراض ، وتكريس النزوع إلى الاستسلام والخنوع وطمس روح الاستقلالية .. إذا نجح الاستعمار في مخطّطه فإن مخطّطاتنا التّربوية فشلت في إيجاد بديل للسياسة التربوية الاستعمارية التي بلّدت الذهن وجمّدت الفكر .. لقد كان فشلها على مستويات وميادين مختلفة :

فشل السياسة التربوية

أ ـ عجزت السياسة التربوية عن تحقيق حلم ظلّ يراود أبناء الوطن الإسلامي طيلة عقود من الزمّن ـ عجزت **عن تحقيق محو الأميّة** التي تنخر السّواد الاعظم من شعوب الأمة الإسلامية .. فمما لاشك فيه أنّ محو الأمية أداة جوهرية لإحداث التّغييرات الاجتماعية على كل المستويات ، إذ هي المجال الأساسي لإثارة الوعي ، وليصبح الإنسان قادراً على تفهم المواقف المحيطة به ، وقادراً على تحرير نفسه وتغيير واقعه .. بل إنه من المستحيل تغيير المجتمع إذا كان معظم أفراده لايلقون نظرة نافذة على الحقائق الاجتماعية وظواهر السيطرة ، وإذا لم يكونوا على وعي بأنفسهم وبتاريخهم ، وإذا لم يحسوا بالرّغبة في إقامة مستقبل أفضل ، والاضطلاع بالمسؤولية من أجل مصيرهم الخاص .

وإذا كان للمستعمر عذره في إبقاء الحالة على ماهي عليه ، لأنه لايهمه محو الأميّة عن الشعوب المستضعفة التي يتسلط عليها ، مادامت هذه العملية قد تفتح الباب أمامهم للمطالبة بالاستقلال ، وللمشاركة الإيجابية في صنع القرارات الوطنية ، ولأن الأمة الجاهلة أسلس قياداً من الأمة المتعلمة ، ذلك أن الأميين في المجتمع كمثل الجماد الأصمّ المجرّد من الحياة والفكر والإرادة لاحول لها ولا قوّة ، فإنه ليس لنا اليوم أيّ عذر ، خاصة إذا عرفنا أنّ محو الأمية لايعني تعلّم الكبار القراءة والكتابة والحساب فحسب ، إنّما يعني تحرير الإنسان واكتمال وعيه بكل ما يحيط به من حقائق ؛ مما يمكنه من المشاركة الفعالة في اتخاذ القرارات التي تهم وطنه من قريب أو من بعيد ، لا أن يكون مجرد أداة طيّعة في يد هذا النظام أو ذاك[1] .. فإن محو الأمية هو عملية إعادة تربية للأفراد بحيث ترفع عنهم الأميّة السياسية والأميّة الاقتصادية والأمية الاجتماعية ..

ولايخفى على أحد ماسببه تأخر عملية محو الأميّة في الوطن الإسلامي ، لقد تسبب في العجز عن إحداث تغييرات جوهرية في بناء القيم والاتجاهات التي تحكم ذهنية الفرد المسلم والمؤسسات الاجتماعية ، كالانفتاح نحو التجديد والتغيير والميل نحو الابتكار ، والميل الديمقراطي المبني على احترام كرامة الآخرين والثقة فيهم ، والثقة في قدرة الإنسان على السيطرة على بيئته ، والثقة في العلم والتقنية .. كما تسبب في إبقاء التفكير الخرافي الذي لا يزال يسود أنحاء

■ إن مخططاتنا التربوية فشلت في إيجاد بديل للسياسة التربوية الاستعمارية التي بلّدت الذهن وجمّدت الفكر ..

عديدة من المجتمع الإسلامي، كالاعتقاد بالعفاريت واستخدام الأحجبة واللجوء إلى قراءة الكف والاستنجاد بالأولياء !! والمشعوذين، وتسبب في العجز عن تنقية بنيتنا الثقافية التي لاتزال تعج بالتصورات والاتجاهات الخاطئة المحسوبة على الدين، وعن إيجاد مواءمة بين المقولات العلمية وجوهر الدّين الذي لم يقف قط في وجه التطور العلمي أو التطور الحضاري بمفهومه الواسع .. ولقد تسبب تأخّر محو الأمية في كل ذلك، فعجزت سياستنا التربوية بالتالي على تكوين الإنسان الواعي، بذاته الواثق من نفسه، المعتز بتاريخه، القادر على التفاعل مع ماضيه وحاضره ومستقبله، القادر على الأخذ بوسائل العلم الصحيح مع الاحتفاظ بقيمه وتعاليم دينه القويم .. وبكلمة واحدة : عجزت عن تكوين الإنسان المتحضر. مما يدعو المعنيين في الوطن الإسلامي إلى الإسراع بوضع البرامج والخطط الشاملة لمحو الأميّة حتّى تصبح الجماهير المسلمة قادرة على التماس كل الطرق للتغلب على المصاعب التي تقف عقبة في سبيل تقدمها .. وليدرك الجميع أننا إذا لم نقف كلنا بحماس وراء العملية، فإن الجهود المبذولة للخروج من التّخلف ستصطدم بالفشل الذريع.

ب - فشلت السياسة التربوية في **تغيير النظام الاستعماري في التعليم** الذي وضع ليعمل على تزييف الطابع الإسلامي، وعلى طمس تراث الوطن الإسلامي وتقاليده وعاداته بحيث تصبح العملية التربوية نفسها عملية تنصيرية تمجد آثار المستعمر وثقافته، وتقدم لجهازها الاستعماري الرجال القادرين على القيام بمهمته الاستعمارية في المجالات السياسية والاقتصادية إذا اضطر في يوم من الأيام إلى مغادرة البلاد. يقول الاستاذ محمد قطب :

« .. ولكن السياسة التي رسمها دنلوب لم تكن تهدف إلى تخريج متعلمين .. وإنما تهدف إلى تخريج عدد من العبيد يؤمرون فيطيعون ويشار إليهم فينفذون .»[٢]

لقد فشلت سياستنا التربوية في تغيير هذا النظام، ولم تستطع أن تقتلعه من جذوره لتحل محلّه سياسة تعليمية مؤسسة على نظريات تربوية نابعة من تراثنا الإسلامي، مستلهمة في ذلك التّراث الإنساني كله.

ج - عجزت السياسة التربوية في الوطن الإسلامي عن **تغيير نظرة الرجل إلى المرأة والتي لا تزال تحمل سمات النظرة الجاهلية التي جاء الإسلام ليبني على أنقاضها نظرة جديدة تتسم بالواقعية .. ومما لاشك فيه أن المرأة هي النصف الثاني في المجتمع، وأي تعطيل لدورها - المنضبط بحقائق الشريعة - إنما هو تعطيل للنصف الحيوي منه - أي المجتمع - « وكلما تقلص دورها كلما تقلص دور الأمة واستقر الاستبداد. يقول - فوربيه - : « تتم التطورات الاجتماعية وتبدلات الزمن وفقاً لتقدم النساء نحو الحرية. إن اتساع امتيازات النساء يشكل الأساس العام لجميع التطورات الاجتماعية ..» أما - براسيل - فكان يرى في النساء « ليس فقط خميرة أي تقدم إنساني، بل القوة التي تفجر تحديدات المبدأ الديمقراطي .. » بل إن الإسلام يذهب إلى أبعد من ذلك « إذ يربط بين صلاح المجتمعات بالدور الجهادي لكل أفراده في إزهاق الظلم وإحقاق الحق عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل الوسائل المتاحة، ويجعل دور النساء في ذلك لا ينفصل عن دور الرجال .. فهن شقائق الرجال »**[٣]

مع بيان هذه الحقيقة، نرى المرأة المسلمة لاتزال مبعدة نسبياً عن المشاركة في بناء المجتمع، غير موثوق بقدرتها على الابداع. مما يسبب خرقاً في البناء الحضاري مهما كانت قوته ومهما كان تكامله .. ولاتغرنك هذه الجموع الغفيرة من النساء المشتغلات، وما تتمتع به المرأة في بعض البلدان الإسلامية من استرجاع لكثير من الحقوق !!، وما أصبحت عليه المرأة من تبرج واستهتار بالقيم .. فتلك مظاهر التحضر الكاذب ..

د - **وأخيراً - وليس آخراً - عجزت السياسة التربوية في الوطن الإسلامي على تنشئة المواطن الذي يعيش لقيمه** ويضحي في سبيل مبادئه بالنفيس .. ولعلّ ذلك أهم ما يميز الإنسان المتحضر عن الإنسان المتخلف أو إنسان ما قبل الحضارة كما يسميه مالك بن نبي رحمه الله .. يقول الأستاذ راشد الغنوشي في كتابه «طريقنا إلى الحضارة» : « أما الأمر الثاني الذي يختلف فيه إنسان الحضارة عن إنسان ما قبل الحضارة أو المتخلف، فهو أن المتحضر وإن بذل نشاطاً في دائرة حفظ البقاء إلا أنه لايظل سجين هذه الدائرة، بل يتجاوزها إلى أفق آخر هو أفق القيم والمبادىء والمثل والأفكار، معتبراً أن هذا الأفق هو الأفق اللائق به، بل هو الذي خلق من أجله، حتى إنه يعتبر أن نشاطه في دائرة حفظ البقاء ليس غاية في ذاته، وإنما هو سلّم

أصحاب المبادىء هم صفوة الجنس البشري والمصابيح التي تنير الدروب إذا اختلطت الأمور وعم الظلام ..

قصور السياسة التربوية في الوطن الإسلامي

ضروري للخروج إلى الأفق الثاني ، ومتى تبين له أن نشاطه في دائرة حفظ البقاء لن يتحقق إلا على حساب ما يؤمن به من مثلٍ وأفكار ومبادىء ، لم يتردد في المخاطرة ، بل التضحية بهذا البقاء الذي يتصادم وما ارتضاه لنفسه من قيم ومبادىء .. وأصحاب المبادىء هم صفوة الجنس البشري ، وهم المصابيح التي تنير الدروب إذا اختلطت الأمور وعم الظلام .»

كيف نتجاوز مرحلة العجز ؟

ولابدّ قبل أن أنهي حديثي أن أتعرض لبعض الحلول التي أراها تعيننا على تجاوز هذا العجز ، وتحقيق آمال أمتنا المسلمة .

١ ـ أن نسارع بوضع أنظمة تربوية نابعة من واقعنا بمعطياته التاريخية والجغرافية والثقافية والحضارية . وأن نستمد برامج التعليم في بلداننا من الفكر الإسلامي الخالص الذي يتميز عن غيره بنظرته الخاصة للفرد وللجماعة ، وبنظرته للذكر وللأنثى ، وبنظرته الخاصة للحياة والكون والمعرفة الخ .. وقد بينت الدراسات الجامعية العديدة مايزخر به الفكر التربوي الإسلامي من قدرات وطاقات تنتظر من يفجرها ويستثمرها .

٢ ـ أن نعيد للمسجد دوره في القيام بمهمته التربوية جنباً إلى جنب مع المدرسة والمعهد والجامعة ولا ننسى أن المسجد كان في أول عهده مدرسة للعلوم الحربية والعلوم السياسية والعلوم التجارية وغيرها .. وفي المسجد وقعت المعاهدات واتخذت القرارات الهامة والخطيرة ، ومن المسجد تخرج أعلام الفكر الإسلامي في الطب وفي الفكر وفي الحساب وفي الجغرافيا .. كل ذلك أمر طبيعي ، إذ في المسجد يتحسس المسلم خطواته نحو الطريق الصحيح ، ويتلقى المبادىء التي ستعبد له طريق حياته بأكملها .. ومادام المسجد ـ كما هو الحال في معظم البلدان الإسلامية ـ معطلاً عن القيام بهذا الدور ، فستكون العملية التربوية قاصرة عن بلوغ أهدافها ..

٣ ـ ان نعيد نظام التعليم في الجامعات كما كان في المدارس الإسلامية قديماً ، وما يسمى في المصطلح الغربي اليوم بالجامعة المفتوحة ، ويعني ذلك فتح أبواب الجامعات لكل طالب علم دون تمييز ، بسبب شهاداته العلمية أو سنه أو غير ذلك .. وقد أثبتت هذه التجربة جدواها قديماً مما دفع رجال الغرب إلى تطبيقها في بلدانهم .

٤ ـ ان نتحكم بوسائل الإعلام المختلفة وخصوصاً (التلفزيون) ، فنوجهها نحو خدمة الأهداف الفاضلة ، وتكوين المواطن الصالح كما تراه العقيدة الإسلامية ، مع التأكيد على أن حرية التعبير لاتعني الاستهتار بعقيدة الأمة .

٥ ـ العمل على نشر الكتاب الهادف وتنقية سوق الكتب من كل ما من شأنه أن يشوه شخصية الفرد وثقافته .. والعمل على إيصال الكتاب إلى القارىء بأبخس الأثمان .. وإنه لمن المؤسف جداً أن نجد كتباً لأعلام الفكر الغربي والتنصيري معروضة في أسواقنا بأثمان أقل بكثير من أثمان الكتب العربية نفسها ، مع اختلاف واضح في جودة الإخراج والطباعة والورق ..

٦ ـ ان نوقف زحف الأفكار الغربية والإعجاب بها لدى شباب أمتنا ، وذلك بالتعرض لنقدها النقد الموضوعي العلمي وليس العاطفي ، لنقنع هؤلاء الشباب بأن ما عندهم يفوق ما يأتيهم من الخارج .. وأن نحتاط جداً في تعيين المدرسين ، مع بيان أن الجامعات ليست محلاً لنشر المبادىء والأفكار الدخيلة الهدامة ، بل هي حصن الأمة ضد كل غزو فكري غريب عنا .. ومتى اكتسب الطالب الثقة في نفسه ، وآمن بعظم مسؤوليته في حماية أمته من الذوبان ، أصبح قادراً على العطاء والبذل ..

هذه بعض المقترحات التي استحضرتها ، وأعتقد ان هناك مئات من المقترحات الأخرى عند غيري من الغيورين على ثقافة الإنسان المسلم ، تنتظر من يفجرها ويستثمرها في ميدان التطبيق ... والله الموفق للسداد

هوامش :

١ ـ الأمية خطر يتهدد الوطن العربي : مجلة الشورى ربيع الأول ١٣٩٧

٢ ـ هل نحن مسلمون : محمد قطب

٣ ـ القضية الفلسطينية على مفترق طريقين : معاذ الصابر

بريد الأمة

●● في العالم الإسلامي اليوم أكثر من صحيفة ومجلة إسلامية .. وهي على محدودية إمكاناتها البشرية والفنية إلَّا أنها تحاول أن تغطي مساحة مقدورة من مساحات العمل الإسلامي المتعددة .. ويلتزم كل منها بمنهج وأسلوب خاص في طرح وتناول المشكلات والقضايا ذات العلاقة بالإسلام والمسلمين .. ولذلك يمكن القول بأن من الصعب الاستغناء بصحيفة أو مجلة عمَّا سواها ..

ويلاحظ القارىء أننا ننشر في بريد كل عدد مجموعة من المقترحات التي قد لا نستجيب لبعضها .. إلَّا أننا نعتقد بأن ما لا نمتلك قدرة الاستجابة له أو قد نرىٰ أن تحقيق غيره أجدىٰ منه ، نرجو الله أن يوفق غيرنا إلى تحقيقه حتى تتكامل الجهود ●●

رسالة ..

■■ تعقيباً على بعض ما جاء في باب « تصريحات وأقوال » - العدد الثامن والأربعون - كتب الأخ ربحي إبراهيم (الأردن) الرسالة التالية :

[... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد ؛

فقد قرأت في العدد الثامن والأربعين التصريح الذي أدلى به الكاتب السوفييتي الذي لجأ إلى الغرب « أناتولي جبولستين » وجاء فيه :

(إنَّ مظاهر عدم الاستقرار المتزايدة في الاتحاد السوفييتي ، التي تثير اهتماماً كبيراً في الغرب ، هي نتاج أساليب متطورة في فن الخداع ، تهدف إلى تبني الاعتقاد السائد بأن « الامبراطورية السوفييتية » تتجه بسرعة كبيرة نحو الانهيار ، وبذلك ينشأ لدى أعدائها إحساس خادع بالأمن) .

وبالتأمل قليلاً في هذا التصريح ، ينتهي المرء إلى أن الكيان الصهيوني الجاثم على أرضنا المغتصبة ، ومن خلفه الغرب كله ، يتبع الأسلوب السوفييتي نفسه لخداع العرب وإيهامهم بأن عدوهم مهدد بالانهيار نتيجة الأزمات الاقتصادية المتوالية والارتفاع المتنامي في معدلات التضخم إلى غير ذلك من المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها الكيان الصهيوني .. بينما الواقع يؤكد غير ذلك ، فدولة الكيان الصهيوني تعتبر الآن في مصاف الدول المتقدمة تقنياً وتمتلك من العتاد الحربي والأسلحة المتطورة ما يمكنها من تدمير أيِّ هدف استراتيجي في الوطن العربي والعالم الإسلامي وربما في خارجه ..

إنَّ هذا الكيان الذي يتبادر إلى أذهاننا قرب انهياره كلما أشاعت أجهزة الإعلام أن أزمة تعصف به ، هو الذي يحتل أرضنا ويسفك دماءنا ويذيقنا من العذاب ما لا نزال عاجزين عن دفعه أو ردِّه ..

أرجو أن نوفق لإعادة النظر في كل حساباتنا السابقة التي توهمت أن عدونا على حافة الانهيار .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..] ■■

ربحي إبراهيم (الأردن)

■■ ومن المغرب كتب الأخ ب . محمد إسماعيل حول القضية المطروحة للنقاش : « أين الخلل ؟ » ، فقال :

[... « أين الخلل ؟ » قضية طرحتموها للنقاش بعد أن أشرتم إلى كثير من جوانب الخلل الذي أدىٰ إلى تدهور وتخلف العالم الإسلامي .. وهذه القضية تناولها بعض المفكرين بالتحليل والتمحيص وانتهوا إلى أن أمر المسلمين اليوم لا يصلح إلَّا بما صلح به أمر المسلمين الأوَل .. وهذا يقتضي إعادة النظر بالدعامات الأساسية التي تُبنى عليها شخصية المسلم والاهتمامات بالمقومات المادية والروحية التي تحفظ لهذه الشخصية توازنها وتحول دون سقوطها وانحرافها .

ولذلك يمكن القول بأن البدايات الأولى لإصلاح الخلل ، لا بد وأن تأخذ في اعتبارها ضرورة إعادة الثقة للفرد المسلم وتنمية إحساسه بأنه عزيز مكرم فهو « ابن آدم » الذي نزل فيه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ... ﴾ ، وأن مقياس المفاضلة بين بني البشر لا يقوم عند الله إلَّا على أساس التقوىٰ والعمل الصالح إذ (لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلَّا بالتقوىٰ) .

وتنمية الإحساس لدى المسلم بأنه مكرم ، تتطلب من المصلحين أن يعملوا لأجل توزيع مال الله المكدس في خزائن بعض المسلمين ، حتى لا يبقى مسلم جائع وآخر يصحو ويبيت متخوماً .. وكثيراً ما نرىٰ بعض الإخوة يفهمون قوله تعالى : ﴿ واللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ في الرِّزْقِ ﴾ (النحل : ٧١) ، خطأ متغافلين قوله تعالى : ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (الذاريات : ١٩) .

إن الخلل - في تصوري - يكمن في وجود أمَّة عريضة غنية بمواردها الطبيعية (نفط ، فوسفات ، منجنيز ، يورانيوم ... أراض زراعية وغير ذلك) وبمواردها البشرية (حوالي ٨٠٠ مليون نسمة) ، ومع ذلك فهي الأمة التي تحتضن في أحشائها أكبر نسبة من الفقراء والمتسولين في العالم ..

إن إصلاح الخلل ، من بعض جوانبه ، بأيدي من يملكون الثروة إن هم نظروا إلى قضية الفقر في عالم المسلمين نظرة إسلامية .

أسأل الله أن يهدينا سواء السبيل .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .] ■■

أخوكم : ب . محمد إسماعيل (المغرب)

مقترحـــات

● تجاوباً مع ما نشرته « الأمة » في أعدادها السابقة عن « الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية » ، كتب الأخ صالح الصغير (المغرب) يقترح :
[... زيادة أسعار بيع « الأمة » و « كتاب الأمة » ، على أن تذهب هذه الزيادة للمشروعات الخيرية التي تعتزم الهيئة القيام بها في ديار المسلمين] ..

● ويقترح الأخ بشير الفرجاني (تونس) :
[أن تضيف « الأمة » إلى قائمة الخدمات القيمة التي تقدمها للمسلم ، زاوية شهرية تضم عناوين الجامعات والكليات والمعاهد التي تهتم بإعداد كوادر إسلامية مؤهلة في مختلف المجالات وذلك حتى لا تتشرد أعداد كبيرة من الطلاب الذين يكملون دراستهم الثانوية] ..

● وهو الاقتراح نفسه الذي أشار به علينا الأخ عبد الله (السعودية) من بين عدة مقترحات استهلها متسائلاً :
[لماذا تكتبون التاريخ الميلادي إلى جانب التاريخ الهجري على غلاف مجلتكم الكريمة ؟.. إنَّ المجلات الأخرى ، غير الإسلامية والصليبية بشكل خاص لا تكتب التاريخ الهجري على صفحاتها مطلقاً] ..

● ومن الصومال يكتب الأخ موسى عجال حول الأسلوب الذي تكتب به « الأمة » مقالاتها ويرى أنه فوق مستوى القارىء المسلم العادي ولذلك يقترح علينا أن ننزل بالأسلوب قليلاً إلى مستوى كل القراء ..
ويقترح الأخ موسى أيضاً أن نضيف صفحات [للرياضة والأدب الشعبي في أفريقيا والبلاد الإسلامية ، وصفحات لكل ما هو جديد في مجتمع المسلمين ، وأخرى لتشجيع البحث العلمي وسط الشباب المسلم] ..

● ومن بين عدد من المقترحات التي تدور حول تخصيص باب للقرآن الكريم ، مقترح من الأخ رشدي محمد بدوي الورداني (مصر) يقول فيه :
[... حبذا لو رسمتم خطة طويلة المدى لفهم وحفظ آيات القرآن الكريم .. ولتكن البداية بقصار السور .. على أن تكتب السورة بخط جميل واضح وأن تكون مضبوطة بالشكل حتى يمكن قراءة الآيات بصورة صحيحة ، وأن يرافق ذلك شرح لمعاني الكلمات الصعبة ، أسباب النزول ، أحكام التجويد وتفسير إجمالي للسورة .. وجزاكم الله خيراً] ..

واحة الإخـــاء

○ في رسالة كلها تفاؤل بإطلالة فجر جديد على العالم العربي ، أرفق الأخ عبد الوهاب الإدريسي (المغرب) قصيدة للشاعر المغربي محمد الحلوي بعنوان « ياليلُ أصبح » ، نجتزىء منها المقطع التالي :

يـاليـلُ أصْبِـحْ ، إن يَكُـنْ
لِلْـعُـرْبِ فـي ليـلٍ صباحْ
نـام المجـاهـد واستـرا
حَ عـلـى سـواعـده السـلاحْ !
وخشـيـتُ أن تلتـا
مَ في أعمـاقنـا تلـك الجـراحْ !
فـإذا الـعيـونُ البـاكيـا
تُ عـلـى قضيتنـا شِحـاحْ !
لـم يبـق فـي سـاحـاتنـا
إلَّا المـراثـي والنُّـواحْ
ومـراكـب الـعُـرب التـي
تـرسـو تـعـاكسـهـا الـرِّيـاحْ
والقُـدْسُ لَيْسَ بِـعـائِـدٍ
إن لَـم يَكُـنْ فينـا صـلاحْ

○ ويسعى الأخ خالد أبراو (المغرب) إلى تحليل الأنباء التي ترددت مؤخراً حول دعوة أفريقية لإنشاء منظمة خاصة بالدول الأفريقية السوداء .. ويرى الأخ خالد (أن هذه الدعوة ما هي إلَّا بادرة لا يقصد منها سوى إبعاد العنصر العربي عن منظمة الوحدة الأفريقية [الأم] ليتسنى للصهيونية من ثم أن تتغلغل في أعماق القارة السمراء) ..

ويضيف الأخ خالد في رسالته إلى « واحة الإخاء » :
(... إن إسرائيل تقف وراء هذه الدعوة ، وذلك لتمزيق الوفاق العربي - الافريقي ، الأمر الذي يمكنها من الوصول إلى البلاد الافريقية ، جنوبي الصحراء الكبرى ... فهي إلى جانب حاجتها إلى تأييد البلاد الافريقية سياسياً ، محتاجة أيضاً لأسواق جديدة لتصريف منتوجاتها وخاصة الحربية .. وهي تدرك أن هذه السلعة ذات رواج كبير في دول العالم الثالث .. كما أنها تحتاج إلى كثير من المواد الخام التي تذخر بها الأرض الأفريقية) .

ردود خاصة

●● نشكر للأخ **محمد السيد إسماعيل (قطر)** مواظبته على الكتابة إلينا واستجابته الكريمة لما جاء بكلمة « **بريد الأمة** » ـ العدد الثامن والأربعين ـ وتسديده رسوم اشتراك لعدد من الإخوة الذين لا يستطيعون ـ لسبب أو لآخر ـ ذلك ..

■ **الأخ أحمد آدم حمد (السودان) ..**

●● سبق أن أجرينا حواراً مع المفكر « **رجاء جارودي** » نشر بالعدد التاسع والعشرين ، السنة الثالثة تحت عنوان : الفيلسوف العالمي « رجاء جارودي » اعتنق الإسلام : نصف قرن من البحث عن الحقيقة ..

■ **الأخ أبو طلعت محمد (إيران) ، والأخ مراحي إبراهيم (الجزائر) ..**

●● قد استجيب لطلبكم ابتداءً من هذا العدد ..

■ **الأخ عاشور عبد السميع (مصر) ..**

●● لا تعتمد « **الأمة** » على الوكالات العالمية في الحصول على ما تنشره من استطلاعات مصورة .. وإنما تعتمد بشكل رئيس على محرريها وما يقومون به من جولات صحفية للبلاد المختلفة ..

■ **الأخ محمد نجيب لطفي محمد (مصر) ..**

●● نشكر لك ملاحظاتك حول ما جاء بكتاب الأمة السابع من توجيه الرسول ﷺ : « **من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم** » .. وما نريد توضيحه هو أن هذا النص ليس حديثاً نبوياً إلَّا أنه يعتبر خُلقاً ومطلباً إسلامياً تشهد له بذلك قواعد الشريعة ومقاصدها ..

■ **الأخت بحورة نصيرة (الجزائر) ..**

●● (**الإسلام دين ودولة**) ، هذه قضية حُسم أمرها ولم يعد أحد يحترم عقله ، يمكنه القول بأن الإسلام دين للعبادة وأداء الشعائر فقط إلَّا إذا كان صاحب قصد ومأرب ، وهذا الصنف لا يخلو منه زمان ولا مكان .

■ **الأخ ز غ ـ ر ث (مكناس ـ المغرب) ..**

●● حبذا لو أرسلت إلينا نسخة من الكتاب الذي أشرت إليه في رسالتك حتى نتمكن من الاطلاع عليه ومناقشة ما نراه مناسباً .

■ **الأخ محمد أمين الجندي (مصر) ..**

●● نعتذر عن الخطأ ـ غير المقصود ـ الذي وقع « باسمك » في ذيل قصيدتك [**أمي**] المنشورة بالعدد [٤٧] ، في زاوية « **بأقلام القراء** » .. أما قصيدتك [**إلى الدين .. أيها المسلمون**] ، فسنوافيك بما تم بشأنها قريباً .

■ **الإخوة : أبو طلعت محمد (إيران) ، الحسن باع (المغرب) ..**

●● تصلنا يومياً رسائل عديدة يطلب أصحابها أعداداً سابقة من « **الأمة** » ، ونتمنى أن نلبي كل الطلبات .. لكن ذلك ليس بالمستطاع ، ونرجو أن نوفق مستقبلاً لإعادة طبع ما صدر ..

■ **الأخ عاطف إبراهيم هارون (قطر) ..**

●● ليس هناك طابع بريدي خاص يوضع على الرسائل المرسلة إلى « **الأمة** » .. وكل رسالة ترد إلينا ، نطلع عليها ، وننشر ما نعتقد بأن فيه ما يفيد القارىء المسلم .

أصـــداء

● **حول انطباعاته لما ينشر بـ « الأمة » وخاصة ما جاء بالعدد الثامن والأربعين ، كتب الأخ ظ . عبد العالي (المغرب) رسالة جاء فيها :**

[... منذ أن رأت عيناي « الأمة » حرصت ألَّا يفوتني عدد منها ، فقد أعجبت بها شكلاً ومضموناً .. وإليها يرجع الفضل في إثراء ذخيرتي الفكرية واللغوية وفي لفت نظري إلى مواضيع وقضايا شتى ..

وأعجبني كثيراً العدد الثامن والأربعون منها وخاصة ما جاء فيه تحت عنوان : « رَبَّنَا أَرِنَا مَنَاسِكَنَا » ، فقد كانت بحق مقالة رائعة في محتواها ، عميقة الغور في استيعابها للنصوص القرآنية ، ضاربة في جذور الفهم السليم للمغزى البعيد من وراء الشعائر والعبادة في الإسلام ، لا سيما ما كان ذا علاقة بشعيرة الحج التي بعُد الناس عن أهدافها ومقاصدها ونسوا المنافع وربما نسوا الذكر أيضاً في تلك الأيام المعلومات .. فجزاكم الله خيراً على ما بذلتم لإخراج القارىء من دياجير الجمود الذي اكتنف فريضة الحج إلى أنوار المقاصد التي أرادها الله لمؤدي هذه الشعيرة] .

ويختتم الأخ عبد العالي رسالته بالإشارة إلى ما هداه الله إليه من محاولة لمساعدة الإخوة في أفغانستان ويقول :

[لقد هداني الله ـ مع إخوة لي ـ إلى التفكير الجاد بإعانة إخواننا المجاهدين في أفغانستان ، فهم في مسيس الحاجة إلى دعم ومساعدة كل مسلم على ظهر البسيطة .. لقد شرعنا منذ عدة شهور في جمع بعض المال لأولئك الإخوة وأنشأنا لهذا الغرض صندوقاً باسم صندوق الجهاد الأفغاني .. والزمنا أنفسنا باقتطاع نسبة معينة من كل مالٍ يرزقنا الله إيَّاه ونضعه في هذا الصندوق .. وذلك على أمل أن يتوفر لنا من المال ما نسد به حاجة من حاجات إخواننا المجاهدين ، ونحن إذ نحب أن يصل ما نجمع إلى أيدي إخواننا المجاهدين وخاصة في الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان ، نرجو مساعدتكم في الإشارة علينا بأكثر السبل ضماناً وأماناً لإيصال مساعدتنا إلى إخواننا المجاهدين :

ولا يساورني شك في أنكم ستبذلون كل ما في وسعكم لمساعدتنا في أمرنا هذا .. وأرجو أن تدعو الإخوة قراء « الأمة » وكل المسلمين لإنشاء صناديق مماثلة لدعم الجهاد الأفغاني وجزاكم الله خيراً] .

● **وحول « أريتريا أرض الصدق بين الأحقاد الصليبية وأطماع الشيوعية » ، العدد السابع والأربعين ، كتب الأخ عثمان غليونجي (تونس) :**

[... ما جالست أحداً من الشباب المثقف إلَّا وأحسست بأنه يجهل كثيراً عن قضايا ومشكلات الشعوب الإسلامية .. وعندما قرأت استطلاعكم حول « أريتريا أرض الصدق بين أحقاد الصليبية وأطماع الشيوعية » أدركت أننا لم نكن نعرف شيئاً عن قضية الشعب الأريتري المسلم .. وما ذلك إلَّا بسبب غياب الإعلام الإسلامي عن ساحة العمل السياسي وعن القضايا الإسلامية التي تدور في إطاره .. أتمنى مزيداً من الاستطلاعات عن قضايا الشعوب الإسلامية المضطهدة والمعذبة] .

باقلام القراء

لا يدخل الجنَّة قاطع رحم

في مجتمعنا الإسلامي فتن كقطع الليل المظلم حيث نجد التناحر والتقاطع والتدابر بدل الإخاء والمودة والتلاطف وكل هذا راجع أساساً لانقلاب في المفاهيم وعدم احتكامنا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ومن بين هذه الفتن ظاهرة قطع الأرحام التي نجدها قد تفشت بصفة مهولة في مجتمعنا بأسره وذلك لأسباب تافهة منها :

١ ـ الكراهية والبغض والتنازع .
٢ ـ التعصب من طرف الأبناء أو أفراد الأسرة لرئيس العائلة وذلك بمتابعته لقطع الأرحام ونصرته عليهم .. وهذا راجع أساساً إلى ضغط الأب واستبداده بالراي بدل التفاهم .
٣ ـ فقدان الشعور الديني وذلك بعدم الاحتكام إلى شرع الله تعالى .

وقد جاءت بعض الآيات القرآنية لتنكر وتحرم قطع الأرحام ، وقد قرن الله سبحانه وتعالى فساد الأرض بقطع الأرحام .. يقول الله عز وجل : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (محمد : ٢٢) .

وفي هذا المجتمع نجد من يعق اباه وامه ويبر صديقه وزوجته بعد أن أبعد أقرباءه .. وواقعنا المرير زاخر بهذه الأحداث الأليمة من عقوق للوالدين وقطع للأرحام ومن انحراف عن طريق الله .. وغير ذلك ، وهذه بعض الأحاديث نقدمها لهؤلاء الغافلين حتى يتبين لهم الحق ، وهي تبين فضل صلة الرحم وعقاب قاطع الرحم والمصير الذي ينتظره :

عن عبد الرحمن بن عوف ، عن رسول الله ﷺ قال : قال الله تعالى : « أنا الله ، وأنا الرحمن ، خلقت الرَّحم وشققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بتتُّه » .

ولأحمد عن رسول الله ﷺ : « إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة ، فلا يقبل عمل قاطع رحم » .

ويقول أيضاً : « الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان : صدقة وصلة رحم » [رواه النسائي] .

وهناك من الناس من يجد المعاناة والحرج والمضايقة والمعارضة مع أنه كان يحسن لأقاربه ويعطف عليهم .. لهذا قال ﷺ مصبراً هذا الرجل ، في الحديث الذي يرويه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : « أن رجلاً قال يا رسول الله إن لي قرابة ، أصلهم ويقطعونني ، وأحسن إليهم ويسيؤون إلي ، وأحلم عنهم ويجهلون علي ، قال : لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ (الرماد الحار) ولن يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك » .

الهادي الحاج لطيف ـ [اللطائفة ـ تونس]

اللَّهُ أكْبَـر

اللَّـهُ أكْبَـرُ يـا ذَوي الإيقـانِ ... اللَّـهُ أكْبَـرُ جاهِـدوا بتَفانِ
اللَّـهُ أكْبَـرُ فَهْيَ مَصْدَرُ عِـزِّنـا ... اللَّـهُ أكْبَرُ فَـوْقَ كُـلِّ جَبانِ
فَتَضامَنوا يا أُمَّـةَ الإسْلامِ لَا ... تَتَفَرَّقـوا كَتَفَـرُّقِ القُطْعـانِ
لَا تركنوا للهو يا رَكْبَ الهدىٰ ... حتَّىٰ نبيد الكفر بالنيران
أعْداؤنا يَغْزونَنا مِنْ حَيْثُ لا ... نَدْري « بفلمٍ » ساقِطٍ وَأغاني
وَثَقافَةٍ فِكْرِيَّـةٍ هَدَّامَـةٍ ... كالسُّمِّ بَيْنَ نَواجِذِ الثُّعْبانِ
لٰكِنَّنا نَحْنُ الحُماةُ لِدينِنا ... سَنَزُودُ عَنْهُ بِنُصْرَةِ الدَّيَّانِ
اللَّـهُ أكْبَرُ لا تَكُونوا أُمَّـةً ... تَبْغي العُلا بتَكاسُلٍ وَأماني
فاسْتَمْسِكُوا بِكتابِكُمْ وَنَبِيِّكُمْ ... فَبِغَيْرِهِ لا هَدْيَ للإنْسانِ

حسين أحمد النجمي [السعودية ـ صامطة]

على قبر صلاح الدين الأيوبي

وقف « غورو » الفرنسي بحقده الصليبي على قبر صلاح الدين وخاطبه بقول الحاقد الشامت « ها قد عدنا يا صلاح الدين » .

[يا صلاح الدين عذراً]

وَقَفَ الحِقْدُ على قبرِ الدَّفينْ ... شامتاً بالمَجْدِ مَجْدِ الغابرينْ
قائلاً قولَ عَدُوٍّ كاشِحٍ ... يا صلاحَ الدِّينِ عُدْنا قاهرينْ
أيُّها الحاقدُ مهلاً واتَّئِدْ ... واخْفِضِ الهامَ لدىٰ لَيْثِ العَرينْ
واسألِ التَّاريخ عنه إنَّهُ ... مِثْلما تَعْلَمُ .. نَسْلُ الفاتحينْ

****

يا صلاح الدينِ عُذْراً إنَّنا ... من صُروفِ الدَّهْرِ صِرْنا حائرينْ
هٰذهِ صهيونُ في أرْبُعِنا ... تَقْتُلُ الأهْلَ وَتَسْبي الآمنينْ
قد أرَتْنا النَّجم في رَأدِ الضُّحىٰ ... وَأرَتْنا كلَّ عَسْفٍ لا يَلينْ
أيُّها النُّوامُ هبُّوا أنقذوا ... عِزَّةَ العُرْبِ ودينَ المُسْلِمينْ
اذْكُروا ما كانَ مِنْ وَحْدَتِنا ... يومَ حِطِّينَ وَكُنَّا الظَّافرينْ
هل نَسيتُمْ ذٰلِكَ اليَوْمَ الذي ... حَقَّقَ اللَّهُ بِهِ الفتحَ المُبينْ
وَحِّدوا الصَّفَّ وكونوا أُمَّةً ... خَلْفَ مَنْ لا يشتري دُنيا بِدينْ
هٰكذا جاءَ بِهِ قُرآنُنا ... ورسولُ اللَّهِ خيرُ المُرْسَلينْ
فاهتدوا من نورِه واقتبسوا ... خيرَ ما جاءَ بِهِ الرُّوحُ الأمينْ

عبد الرحمن عثمان سلامة عويدات [جمهورية مصر العربية]

من قضايا الأدب الإسلامي

الأدب مرآة حياة

بقلم الدكتور :
صالح آدم بيلو

■ يراد بهذا أن الأدب هو التعبير الصّادق الرّائع الجميل، والتصوير النّابض الحيّ للمجتمع، وأنّه هو المرآة التي ينعكس عليها وجه الحياة وما يجري في جنباتها وأعطافها، فيعطينا صورة مصغّره، ولكنّها صادقة ورائعة تأخذ بالقلوب والألباب، فتظل محفورة على خد الزمان، يقرأها أبناؤه جيلاً بعد جيل، ويتفرسون فيها متى شاؤوا في سهولة ويسر، وفي تمتع وإعجاب !..

وبتعبير آخر، الأدب مرآة حياة، يعني : أننا إذا أردنا أن نتعرف على حياة أمّة ما من الأمم، أو مجتمع ما من المجتمعات في عصر من العصور، فالأدب الذي انتجته هذه الأمة أو الفئة في عصرها ذاك، هو أحد المصادر والمراجع الهامة التي ينبغي أنْ تؤخذ في الاعتبار، ولابُدّ من الرّجوع إليها، واستشارتها لتمدنا بصورة حياة الأمة في كل جوانبها : الاجتماعية والأخلاقية والثقافية والسياسية ... الخ وما يصح لطالب يود دراسة أمّة أن يهمل هذا المرجع والمصدر الحي، والصورة الواضحة الملامح والقسمات .. لأنه حين يهتم بهذا المصدر، فسيوفر على نفسه كثيراً من العناء والجهد الضائع، إضافة إلى مايجده من المتعة الروحية والفنية التي يمتع بها نفسه في الوقت ذاته.

نعم .. الأدب مرآة حياة .. مافي ذلك شك !...

ولكن .. المسألة ليست مُسلّمة على إطلاقها، وليست صادقة في كلّ حين، وإنّ أخذها كقضيّةٍ مسلّم بها قد يُؤدي إلى نتائج غير صحيحة، بل قد ينقلب إلى شرٍ مستطير إن لم تؤخذ في حرص وحذر شديدين !

ولنصل إلى نتائج صحيحة يجب أن نضع في اعتبارنا دائماً الحقائق الآتية :

أولاً : علينا أنْ نتأكد ونستوثق من أن هذا الأدب منتسب حقاً وصدقاً إلى تلك الأمة في تلك الفترة من الزّمان، وأنه من جانب آخر أدب صادق وأصيل غير مزور ولا مزيف، ولا مصنوع صناعة، ولكنه صادر عن أحاسيس صادقة، ليعطينا نتائج صادقة كذلك.

ثانياً : علينا أن نستوثق من أن جميع هذا الذي نريد أن نستخلص منه تلك النتيجة، قد سجل تسجيلاً شاملاً وكاملاً ... بمعنى أنّ مادوّن من أدب هذه الأمة في تلك المرحلة من مراحلها قد دُون بأمانة وشمول، حيث لم يُهملْ جانب، ويكتب جانب، أو دُوِّن أدب فئة من الأدباء من مشرب معين ورُوِّج له، وأهملت فئاتٌ، من مشارب واتجاهات أخرى وغُتِّم على أدبها تعتيماً !..

ثالثاً : عندما تجيء مرحلة الدراسة والنظر في هذا الذي سجل ودون لنستخلص منه صورة العصر والأمة، ينبغي أن يكون النظر متكاملاً وشاملاً لكل الجوانب - أيضاً - فلا تقتصر على أخذ نماذج من أدباء يمثلون مشرباً أو اتجاهاً معيناً، أو فناً بذاته، أو موضوعات دون غيرها، ونهمل الأدباء الآخرين والفنون والموضوعات والألوان الأخرى .. كأنْ نتناول الأدب الذي يُركز على تصوير حياة اللهو والعبث والتبطل، ونغض الطرف غضّاً عن الألوان الأخرى من الفنون والموضوعات، ثمّ نروح نصدر الأحكام الجائرة والظالمة، فنقول : إن حياة هذا المجتمع في هذه الفترة كانت حياة لهو وعبث .. لأن مرآة العصر قالت كذلك !!..

إنّ الاكتفاء بعينات محدودة من الأدباء من مشرب معين، وَتَخَيُّرَ نماذج بعينها من ألوان الأدب وموضوعاته، مهما كان منتجوه عباقرة وممتازين، ومهما كانوا قادرين على التَّعبير والتصوير لما تقع عليه حواسهم من أدب رائع جميل ؛ فإنَّ ذلك لن يعطينا الحقّ في تعميم الحكم لنقول : إنَّ أدبهم كان مرآة حياة عصرهم ومجتمعهم ...

إنه مهما كان أدبهم رائعاً وصادقاً ؛ فلن يكون بحال من الأحوال إلا مرآة أنفسهم هم - وعلى أحسن الفروض مرآة لقطاعٍ صغيرٍ من مجتمعهم وعصرهم، أو لشريحة من شرائحهما !..

إنه نتيجة لمثل هذا التعميم الخاطىء، والتطبيق الجائر لقاعدة «الأدب مرآة حياة ..» فقد ظلمت مجتمعات وعصور بكاملها في تاريخنا العربي الإسلامي، ورزئت أفدح الرُّزء ؛ إذ عمد بعض الدّارسين إلى انتقاء ألوان وموضوعات معينة لأدباء ما كانوا يمثلون في تلك المجتمعات إلا قطاعاً صغيراً وشاذاً، فاعتبروا أدبهم مرآة حياة لعصرهم كله، ومجتمعهم جميعه، فكان أنْ وُصِمَ العصر كله - جوراً وظلماً - بأنّه عصر فسادٍ وانحراف .. وفي عصرنا الحاضر ويومنا الماثل نرى أنواعاً من الأدب وفنونه فيها نُبُوٌ عن قيم الأمة وخروج عليها لقلة شاذة من الكاتبين بالقياس إلى الكثرة الكاثرة .. نخاف إنْ نحن استخدمنا مصطلح « الأدب مرآة حياة ..» بغير شروطه الخاصة التي أشرنا إليها آنفاً .. نخاف ونرتجف أنْ تاتي أجيال من بعدنا فتستنتج من هذا اللون من أدب القلة الشاذة أنه مرآة لحياة عصرنا ومجتمعاتنا ..

فهلا كُنا على حرص وحذرٍ في استخدامنا للمصطلح إلّا بشروطه الخاصة تلك ؟!...

ذلك مانؤمل !

ندوة التغيرات السكانية في العالم الإسلامي

■■ عقدت في مدرج كلية الهندسة بالجامعة الأردنية ندوة التغيرات السكانية والاجتماعية في العالم الإسلامي خلال القرن الرابع عشر الهجري والتي نظمها اتحاد الجامعات العربية بالتعاون مع الجامعة الأردنية ... وكان السبب الذي دعا إلى عقد مثل هذه الندوة ما « يشهد العالم العربي خاصة والإسلامي عامة من تغيرات سكانية واجتماعية سريعة ، نجم عنها بعض المشكلات ، فكان لا بد من معرفة هذه المتغيرات ، وجذور هذه المشكلات وإيجاد الحلول لها ... » خاصة وأن العالم الإسلامي يمتاز بسمة حضارية تميزه عمن سواه حيث إن الخلفية الثقافية الدينية تؤثر على سكانه ... وهذه النقطة بالذات كانت من ضمن أهداف هذه الندوة لمحاولة بلورة سمة العالم الإسلامي ودوره الذي كان ريادياً في الماضي ، لا سيما وأن كثيراً من الأمم والشعوب قد نقلت بعض المعالم الحضارية والثقافية من الحضارة الإسلامية ...

وعالجت الندوة خمسة موضوعات رئيسة هي : النمو السكاني والإنتاج الغذائي في العالم الإسلامي ، الهجرة الداخلية من الريف إلى المدينة وأثرها على توزع السكان في العالم الإسلامي ، التغيرات السكانية في فلسطين ، وتشمل الصراع الديمغرافي فيها وهجرة الفلسطينيين من بلادهم وأثرها على البلاد العربية ، البترول والقوى العاملة ، الهجرة في العالم الإسلامي ...

وشاركت في هذه الندوة وفود من : قطر ، سورية ، الجزائر ، السعودية ، السودان ، العراق ، الكويت ، البحرين ، لبنان ... إضافة إلى مندوبين يمثلون ثماني عشرة جامعة عربية إلى جانب بعض الوزارات والدوائر الحكومية ذات العلاقة بموضوع الندوة ■■

مؤتمر الطب الإسلامي الثالث

■■ عقد في استنبول في الفترة من ٢٨ سبتمبر [أيلول] إلى ٢ أكتوبر [تشرين الأول] ١٩٨٤م مؤتمر الطب الإسلامي الثالث الذي نظمته تركيا لمناقشة « الطب في الإسلام وإدمان الخمور والمخدرات في العالم الإسلامي » وقد شارك في المؤتمر حوالي مائة وعشرين عالماً وطبيباً ومسؤولاً عن الصحة في ثلاث وعشرين دولة إسلامية وغربية ... ومن الموضوعات التي ناقشها المؤتمر : الطب النفسي في الإسلام وإدمان الخمور والمخدرات . كما بحث عدداً من الموضوعات منها : أثر الحضارة الإسلامية على الحضارة الأوروبية في عصر النهضة في مجال العلوم الطبية ، وأثر الإسلام وتعاليمه في الحفاظ على الصحة العامة للفرد والمجتمع ، والدراسات السريرية لبعض النباتات المذكورة من قبل علماء المسلمين ، ودور الإسلام في مكافحة المسكرات والمخدرات ، والأمراض النفسية وعلاجها في الإسلام ... ■■

هل يعود عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس ؟

■■ أقيم مؤخراً بمدينة (المنكب) أسبوع اللقاء العربي الإسباني في الأندلس ، احتفالاً بذكرى أول أمير يعلن الخلافة الإسلامية في بلاد الأندلس : عبد الرحمن بن معاوية ، الملقب بالداخل ، حفيد هشام بن عبد الملك عاشر الخلفاء الأمويين في الشام (منتصف القرن الثاني الهجري) .. وكان ذلك إثر هروب عبد الرحمن من تعقب العباسيين للأمويين عقب سقوط دولة بني أمية (١٣٣هـ) (٧٥٠م) .

ولم يكن عبد الرحمن الداخل هو أول من أدخل الإسلام إلى بلاد الأندلس ، ففي نهاية القرن الأول كان طارق بن زياد وموسى بن نصير ينتصران على ملك إسبانيا (لوذريق) وتدخل بلاد (شبه جزيرة أيبريا) الإسلام ، ولم يبق على ديانته السابقة من أهلها سوى القليل من اليهود والنصارى ، وقد تمتعوا بحقوق أهل الذمة التي حفظها الإسلام لهم .

كان وصول عبد الرحمن الداخل إلى أخواله - قبيلة نفرة - في تونس ، وهو متخفٍ - فترة - عقب هروبه من بني العباس ، وقد اتخذ طريق مصر وبرقة ، حتى كان عام (١٣٩هـ) (٧٥٦م) حيث بويع أميراً لقرطبة بالأندلس بعد أن اجتاز مضيق جبل طارق (١٣٨هـ) ومكث في قرية (طرش) لمدة عام .. وحيث إنه كان أول ثلاثة من حكام بني أمية في الأندلس ، يسمون بعبد الرحمن ، وهو أول من دخل الأندلس فقد أطلق عليه عبد الرحمن الداخل .

وإذا كانت مظاهر الحياة الإسلامية التي بقيت اليوم في بلاد الأندلس - وبعد قرون نادرة من تاريخ الحضارة الإسلامية وازدهارها بالعلوم والفنون المختلفة - لا تتعدى بعض آثار في غرناطة وقرطبة واشبيلية ، فإن ما تعرضت له البلاد من تخطيط صليبي هدف أصلاً لاقتلاع ووأد كل ما هو متصل بالإسلام سواء أكان من المسلمين أو من مظاهر الحياة الإسلامية في الأندلس .. كان عنيفاً ، جاء عبر محاكم التفتيش المشهورة وغيرها من وسائل التعذيب والإفناء الصليبي لكل ما هو حضاري إسلامي .

رغم كل ذلك ، فإن الاحتفال بأسبوع عبد الرحمن الداخل في الأندلس (إسبانيا الآن) والذي شاركت فيه بعض الهيئات الرسمية هناك [المجلس الإقليمي لمحافظة غرناطة وبلدية المنكب (المونيكار)] ومكتب الجامعة العربية والبعثات الدبلوماسية العربية والمعهد العربي الإسباني للثقافة ، وبعض الجامعات الاسبانية] . يأتي هذا الأسبوع مذكراً بحضارة كانت تمتلك يوماً القيادة الفكرية والعلمية للعالم الغربي بل والعالم بأسره .. مما يعزز بشائر الصحوة الإسلامية داخل بلاد الأندلس والمتمثلة في نشاط المسلمين القاطنين فيها أو دخول الاسبان من جديد في الإسلام ، ويجعل هذه البشائر مرتبطة بجذور متينة من الأصالة الحضارية ، وقد تستطيع يوماً أن تعيد الأندلس للإسلام إذا هي درست جيداً سنن الله عز وجل التي طُبِّقت على أهل الأندلس قبل سقوطها ووعت أسباب النصر ، واجتنبت عوامل السقوط .. فتكون ذكرى عبد الرحمن الداخل فرصة للتدبر ، لا بكاء على ماضٍ وكفى ! ■■

الدكتور هشام شرابي :

الجمعيات العربية الأمريكية بدأت تنحرف عن خدمة القضايا العربية

■■ أعلن الدكتور هشام شرابي ، أستاذ التاريخ في جامعة « جورج تاون » الأمريكية أن الجمعية الوطنية للأمريكيين العرب اتخذت خطاً منحرفاً على صعيد ممارسات بعض الأشخاص القائمين عليها ، وأخذت الخلافات الداخلية القائمة على النعرات الطائفية والتنافس على المناصب فيها سمة مميزة لها .

وقال الدكتور شرابي : « إن الخروج عن الأهداف المرسومة لهذه الجمعية هو انعكاس لما يجري من تفكك وتمزق في العالم العربي » .

ويذكر أن الرئيس الحالي للجمعية الوطنية للأمريكيين العرب هو سام فيليب المعروف بميوله الكتائبية . وقال الدكتور شرابي : « لقد استغلت قيادة الجمعية صمتنا وامتناعنا عن نشر غسيلها على السطوح لكي تستمر في سياستها الطائفية » .

وفي رده على سؤال حول تكوين نفوذ عربي داخل المجتمع الأمريكي ، شبيه باللوبي الصهيوني ، قال الدكتور شرابي : إن اللوبي هنا في هذا النظام السياسي والاقتصادي ، يتخذ شكلين : الأول تكوين لوبي مبني على الضغط الذي يمارسه الناخبون على أعضاء الكونجرس ، والثاني تكوين لوبي مالي أو تجاري أو نقابي يعمل فيه أشخاص محترفون تكون مهمتهم الاتصال بأعضاء الكونجرس ونقل المعلومات الأكيدة منهم لضمان وصول أصواتهم ومطالبهم للكونجرس الأمريكي .

وقال الدكتور شرابي : على الصعيد العربي لم ننجح نجاحاً كلياً في الوصول إلى الناخبين أو إلى إقامة نواة متخصصة للإعلان عن الصوت العربي .

وأوضح أن العامل الحاسم في استخدام الضغط هو العلاقة مع الوطن الأم ، فبينما نجد هناك علاقة بين إسرائيل ويهود أمريكا ، لا نجد علاقة مماثلة بين الدول العربية والعرب الأمريكيين ■■

الطلاب الأجانب في الاتحاد السوفييتي والمخابرات السوفييتية

■■ أفادت تقارير واردة من مصادر موثوقة في الاتحاد السوفييتي أن ما يزيد عن (٦٠٠) طالب معظمهم من الباكستان ودول الخليج يتلقون الآن التدريب الفكري (الأيديولوجي) في مدارس تابعة للحزب الشيوعي السوفييتي .

يتم اختيار هؤلاء الطلاب من بين آلاف الطلاب الأجانب في الاتحاد السوفييتي عن طريق الهيئات الطلابية التابعة لمختلف الجامعات السوفييتية .

وتشير هذه التقارير إلى أن لجنة الشؤون الخارجية (كيد ـ KID) تقوم باستدراج الطلاب الأجانب إلى اللهو والمجون عن طريق ما يسمى بأنشطة اجتماعية ، وعندما ينجذب الطالب الأجنبي إلى هذه الأنشطة يتعود على شرب الخمر والليالي الحمراء وسرعان ما تحدث «حوادث» إما بسبب الطالب نفسه أو بتدبير من لجنة «كيد» تؤدي إلى اعتقال الطالب بتهمة تواجده في حالة سكر في مكان عام وعندئذ تتدخل لجنة كيد متظاهرة بالعطف على الطالب الأجنبي وتستخرجه من هذه الورطة بشرط أن يتعهد الطالب بالتعاون مع اللجنة ومع الوكالات السوفييتية الأخرى المماثلة .

وإذا رفض الطلاب الأجانب الانضمام إلى الأنشطة الاجتماعية التي ذكرت يصبحون هدفاً من قبل المخابرات السوفييتية لشتى أنواع المضايقات في الدراسة والإقامة ... إلخ .

وكثيراً ما ينتهي بهم الحال إلى الفصل من الجامعة بتهم موهومة ، ويتم ترحيلهم نهائياً .. وقد حدث هذا بالفعل لطلبة مسلمين متمسكين بإسلامهم من السودان واليمن ■■

[مجلة أرابيا] ـ عدد أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٤م ـ المحرم ١٤٠٥هـ

الاحتلال والمقاومة

■■ شهد الثلث الأخير من شهر سبتمبر (أيلول) الماضي ، تسابقاً حاداً بين الإرهاب الإسرائيلي والمقاومة اللبنانية . بدأ ذلك بالمجزرة التي ارتكبها ما يسمى بـ « جيش لبنان الجنوبي » الذي يقوده العميل انطوان لحد ، وتدعمه القوات الإسرائيلية ، في قرية « سحمر » في البقاع الغربي . وكانت مجموعة من جيش لحد قد دخلت القرية وفتحت نيران أسلحتها بشكل عشوائي على المارة والمنازل مما أدى إلى مقتل (١٢) شخصاً وإصابة (٢٣) آخرين بجروح ، وقد بررت القيادة العسكرية الإسرائيلية المجزرة بأنها جاءت رداً على مقتل أربعة من جيش « لحد » في وقت سابق قرب القرية .

ولكن ما أن مرّ وقت قليل على ارتكاب مجزرة « سحمر » التي اعتبرت « صبرا وشاتيلا » جديدة ، حتى كانت السفارة الأمريكية ببيروت تتعرض لهجوم انتحاري ، هو الثالث من نوعه الذي تتعرض له أهداف أمريكية في لبنان هذا العام ، وقد أسفر الهجوم عن مقتل وجرح عدد كبير من الأمريكيين .

وفي الفترة نفسها خاضت المقاومة الفلسطينية معركة بحرية مع العدو ، إثر اعتراض زوارقه لقارب فلسطيني كان يتجه لتنفيذ عملية في الأرض المحتلة . ■■

قراءة ثقافية

آفاق جديدة للأدب الإسلامي في المغرب

■■ في المغرب استطاع جمع من الشعراء والمثقفين أن يدركوا أصول المشكلة الثقافية إدراكاً واعياً، فربطوا بين الثقافة النابعة من ذات الأمة، وبين التحول الحضاري المطلوب [فالفعل الثقافي - التربوي شرط أساسي لكل تحول حضاري] وحيث إن الحضارة الغربية قد فقدت مقوماتها وشروطها الإنسانية رغم تقدمها المادي المطرد ولم تعد قادرة على العطاء الحضاري الكامل .. فلا بد أن يقوم زلزال ثقافي عنيف يحرر الأمة الإسلامية من: الخوف والتواكل والإحجام - كما بشر بهذا الشاعر حسن الأمراني.

وبين حين وآخر تتحول أصداء هذا الزلزال .. لكن وصوله إلى المشرق قد يأتي متأخراً .. هل يعود هذا إلى البعد المكاني، رغم تطلع الأنظار إلى الدور الذي يمكن أن يؤديه المثقفون المسلمون المغاربة في حل المشكلة الثقافية في العالم الإسلامي ؟!

ومنذ فترة .. انعقدت في كلية الآداب والعلوم الإنسانية « بوجدة » تحت عنوان [جوانب من الأدب في المغرب الأقصى] جاء برنامجها شاملاً .. وكان حضور الأدب الإسلامي ملفتاً للنظر، من خلال أربع محاضرات:

الأولى: بعنوان « الإسلامية في الأدب المعاصر بالمغرب » للأستاذ حسن الأمراني، تناول فيها موضوعات هامة منها: الأدب والدين، مفهوم الإسلامية في الأدب، أصول الإسلامية، الإسلامية في الشعر، الإسلامية في القصة. وأتى بنماذج للشعراء والأدباء المغاربة: محمد المنتصر الريسوني وديوان « على درب الله »، محمد بنعمارة، وديوان « نشيد الغرباء »، محمد علي الرباوي .. ومجموعة من الأشعار، خناثة بنونة وقصة « قتلى ولا موت » ومحمد صلاح الدين الفرحي وقصة « المعرض العجيب ».

والمحاضرة الثانية: « آفاق الدعوة السلفية في الشعر المغربي الحديث للأستاذ محمد المنتصر الريسوني، وضح فيها الإطار التاريخي لمصطلح السلفية ومدلولها ومحاورها الفكرية التي تتمثل في الوحدانية. ثم تحدث عن حركة الدعوة السلفية في المغرب، وعن تصور الماركسيين لها تصوراً خاطئاً .. وأشار إلى أن آفاق هذه الدعوة قد تمثلت في المغرب في: محاربة بدع الصوفية واستنهاض الهمم والدعوة إلى الجهاد وذلك عبر قصائد الشعراء: محمد الجزولي، محمد تقي الدين الهلالي، محمد الحجوي، محمد القري، محمد الناصري، محمد أبو خبزة، محمد المنتصر الريسوني.

والثالثة: عن « أوليات النقد الأدبي بالمغرب » للأستاذ عبد السلام شقور، أشار فيها إلى مناهج النقد الدخيلة والغريبة عن واقعنا الثقافي وماضينا الحضاري، ودعا إلى منهج نقدي أصيل يتجاوب وطبيعة الأدب العربي لغة وحضارة.

والمحاضرة الرابعة: بعنوان « النقد الأدبي القديم في المغرب - روافده واتجاهاته » للأستاذ علي لغزيوي.

ورغم أن هذه المحاضرات قد أثارت مزيداً من المناقشات عن الأدب الإسلامي ومفهومه وغايته من خلال أسئلة الحاضرين، فإن الحقيقة التي أكدتها وجاءت أكثر وضوحاً - للراصد لما يثار حول الأدب في العالم الإسلامي - هي أن هذا الأدب ليس قادراً فحسب على أن يخرج الأمة من الكم المتعفن من الآداب التي تنتشر في ثقافتها وجاءت كرد فعل لحدث خاطىء في حضارة غريبة - مثل اللا معقولية والوجودية والماركسية - بل إن الأدب الإسلامي قادر على أن يقود، بل يسود، بما يملكه من نظرية كلية للكون، وبما يتيحه من انطلاقية في الفكر وحرية تلتئم مع الذات الإنسانية مما يجعله ركناً حصيناً في الحل الإسلامي للمشكلة الثقافية المعاصرة.

وصدر مؤخراً في المغرب أيضاً العدد الثالث من مجلة المشكاة - وكنا قد عرضنا للعدد الأول منها في العدد [39] من الأمة - وهي مجلة ثقافية فصلية يرأس تحريرها الأستاذ حسن الأمراني، وقد احتوت على دراسات نقدية هامة، منها: [ماذا يبقى من أدب الجنس والجريمة ؟] للناقد الأستاذ حلمي محمد القاعود، قرأ فيها رواية (الطريق) لنجيب محفوظ - الروائي المصري - الذي حاول فيها التماس العذر لكل أشخاص روايته في ارتكابهم الجريمة والجنس، مما حدا بالناقد في قراءته للرواية أن يقول:

إن نجيب محفوظ ينطلق في هذه الرواية من مفهوم واقعي يركز على الجانب الأرضي من الإنسان، مضحياً بالجانب الإلهي أو الجانب الروحي، مما يفقد هذا العمل صفته التكاملية، ودوره الجمالي، وهذا المفهوم الواقعي يتميز بالبشاعة والدمامة والتحجر، وإلَّا فما معنى أن يدور ذهن القارىء ووجدانه داخل حمأة من الواقع المليء بضجيج الجنس والجريمة دون أن يجد لذلك كله مبرراً واحداً ؟.. إذا كان تصوير دنيا العهر والقتل هدفاً في حد ذاته، فإن الفن الأدبي حينئذ يعني المزيد من الأحزان والأسى والكآبة !

وجاء مقال: « ملاحظات للناقد المسلم » للناقد الدكتور عماد الدين خليل تخصصياً، لمس فيه جوانب هامة من نظرية الأدب الإسلامي - وإن لم يسم هو التسمية - وأبرز

متابعة ثقافية

■ يصدر قريباً في بريطانيا اطلس جراحة باللغة العربية، يضعه أساتذة من كليات الطب في الدول العربية، ويشرف عليه الدكتور محمد عبد اللطيف إبراهيم أستاذ الجراحة بجامعة الزقازيق بمصر.

■ عارض الصهاينة « بالكونجرس » الأمريكي فكرة إنشاء مركز للفنون والثقافة الإسلامية في معهد (سميث سونيان) بواشنطن، وذكر (ديلون ريبلي) مدير المعهد أن مزاعم هؤلاء لا أساس لها من الصحة، ولا توجد شروط من الدولة التي تبرعت بجزء من تكاليف إنشاء المركز .. ومن المعروف أن العمل قد توقف في إنشاء المركز، ولن يناقش الكونجرس المشكلة مرة ثانية قبل العام القادم.

■ أعلن في بانكوك - عاصمة تايلاند - أن العالم المسلم تبتي سياموالا قد تمكن من تطوير جهاز « كومبيوتر » صغير يمكنه

مجال التحديات التي تستوجب على الناقد المسلم إعادة النظر في أمور كثيرة أهمها التقسيمات الزمنية التقليدية لتاريخ الأدب الإسلامي .

هذا وقد أفردت المجلة جزءاً خاصاً استوعب معظم صفحات العدد ، وهو ملف عن « معركة بيروت والقضية الفلسطينية » ، ويبرز هذا الملف رسماً جديداً لدور الأدب في حياة الأمة ، فهو لا يقتصر على مجرد عملية الانعكاس المردود للأحداث والوقائع أو تأوه عاطفي - كما يحاول بعضهم حصره في ذلك - بل يقوم بدور ريادي وتوجيهي في مختلف أمور الحياة .. فبما يملكه من وسائل تؤثر في النفس الإنسانية ، وكفكر وعاطفة تستمد من الفطرة السليمة منطلقاتها قادرة على المساهمة بصورة إبداعية في استبصار الحلول ، ورؤية آفاق المستقبل من خلال تفاعله مع الأحداث والتحديات مما يؤهله لاستلهام بشائر النهضة الحضارية المأمولة في كل عصر ، سعياً نحو التقدم .

وإذا كانت المجلة - المشكاة - تنزع دوماً - عبر أعدادها الثلاثة - إلى نشر القصائد الجيدة فإنها تأتي مغايرة لبحور الشعر الخليلية عبر ما يسمى بشعر التفعيلة ، لذلك فالقضية المتعلقة بالشعر وأشكاله وحداثته وقدمه - رغم أنها قد ملَّت من الطرق عليها - فإن الطرق الجديد لها من خلال رؤية إسلامية قد يكون هاماً من خلال مجلة ثقافية متخصصة عُدَّت مجلة للأدب الإسلامي .. أملًا في رؤية صحيحة للدارسين والقراء معاً .

ويبقى الحدثان : ندوة وجدة ، والعدد الثالث من مجلة المشكاة منطلقين جديرين بالرصد والتعقيب ، وخطوة هامة في مسيرة الأدب الإسلامي عامة . ■■

التعبير بالصورة

الحرمان من الحنان :

[بعد ذهاب الوالدين للعمل خارج المنزل]

تعليم القرآن الكريم للآخرين وذلك بإعطائه قراءات سمعية وبصرية لآيات القرآن الكريم بثلاث لغات هي الانجليزية والفرنسية والتايلاندية .

■ أصدرت منظمة (اليونسكو) معجماً لمصطلحات المؤتمرات الدولية باللغة العربية . وهو عبارة عن ثلاثة معاجم ، إذ يرتب المصطلحات ترتيباً هجائياً في كل من اللغات الثلاث العربية والانجليزية والفرنسية .. يخدم المشتغلين بالترجمة الفورية والتحريرية من اللغة العربية وإليها ، خاصة تلك التي تستخدم في وثائق المنظمات ، وفي الإجراءات الإدارية والمالية ، وفي المؤتمرات الدولية .

■ بعد (٤٨) عاماً من نشر أول كتاب باللغة العربية في يوغسلافيا - كان قد أعد لطلبة المدارس الدينية فقط - صدر أول كتاب مدرسي للغة العربية الحديثة وينتظر أن يدرج في مناهج الدراسة لبعض الجامعات اليوغسلافية ، وقد ألَّفه الدكتور (ريد بوزو فيتشك) أستاذ اللغة العربية بجامعة بلجراد ، الذي أعده للطلاب العرب الدارسين في جامعتي (سراييفو وبريشتينا) .

■ حفاظاً على التراث العربي الإسلامي المعماري فناً وفكراً ومضموناً ، قررت منظمة المدن العربية (تأسست في ١٩٦٧م) تخصيص ثلاث جوائز معمارية تمنح لأفضل مشروع معماري ، وأحسن مهندس معماري ، وجائزة خاصة بالتراث المعماري .

في عالم الاقتصاد

الربـــــا مصيبة على الفقراء

■■ مصيبة الربا لا تقتصر على المتعاملين به .. وهو كما يدمّر الأفراد والجماعات ، يدمر الشعوب ويحطم الحكومات ويهدد كيان الدول .. ولعل مشكلة الدول الفقيرة في العالم الثالث اليوم تنحصر في إطار ما فرض عليها من تعامل بالربا ، أو ما يسمى في المصطلح الحديث « بالفائدة » ، لمواجهة متطلبات التنمية والحياة العصرية ..

وتشير الإحصاءات الاقتصادية إلى أن الدول الفقيرة أصبحت تعاني ، ليس بسبب عجزها عن تسديد ما هو مستحق عليها من ديون للبلاد الغنية أو المتقدمة وإنما لعجزها عن تسديد فوائد تلك الديون .. ومنذ سنوات ، لم تعد الدول الفقيرة تقترض من الدول الغنية لتمويل مشروعاتها التنموية وإنما لتسديد ما عليها من ديون تزداد كل عام بزيادة سعر الفائدة عليها .. ومنذ عام ١٩٨٢م أصبحت الدول الفقيرة تسدد فوائد ديون سابقة يفوق مجموعها ما تحصل عليه من مساعدات جديدة من الدول الغنية ..

وفي عام ١٩٨٣م دفعت الدول الفقيرة للدول الغنية المتقدمة أكثر من (٢١) مليار دولار أمريكي وهو مبلغ يفوق ما حصلت عليه هذه الدول من مساعدات وقروض في العام نفسه .. وأصبح الاعتقاد السائد في عالم الاقتصاد اليوم أن الدول الفقيرة بدأت تموّل الدول الغنية المتقدمة وأن الأخيرة تتقدم على حساب تخلف وتأخر الدول الفقيرة ..

وكمثال على ذلك ، فقد بلغت جملة الديون المستحقة على دول أمريكا اللاتينية ، وهي من الدول الفقيرة ، في السنوات الثماني الأخيرة (٣٥٠) مليار دولار أمريكي ولم تستطع هذه الدول تسديد هذا المبلغ ، لأنها اشتغلت بتسديد الفوائد المستحقة عليها ، وهي مبلغ يتجاوز في مجموعه (١٧٥) مليار دولار ..

وفي الاجتماع السنوي الأخير « لصندوق النقد الدولي » بواشنطن ، تقدمت الدول الأكثر فقراً في العالم الثالث (٢٤ دولة بينها ٤ دول أعضاء في جامعة الدول العربية) بمذكرة تشتمل على وجهة نظر هذه الدول في السياسة التي ينتهجها « صندوق النقد » لمساعدة الدول الفقيرة ..

وكان أبرز ما جاء في المذكرة أنّ الصندوق يقدم مساعداته وفق شروط قاسية تتمثل في : تخفيض عجز الميزان التجاري ، تخفيض عجز الميزانية ، إلغاء الدعم الحكومي للمواد الغذائية الرئيسة .. وقد أدت هذه السياسة في كثير من البلاد الفقيرة إلى زيادة أزماتها الاقتصادية ، والسياسية أيضاً ..

إلّا أن أهم ما أشارت إليه المذكرة هو أن معظم القروض التي حصلت عليها دول العالم الثالث - الفقيرة منها بشكل خاص - من المؤسسات المالية الدولية - ومن بينها صندوق النقد - تمت الموافقة عليها وفقاً لمعدلات فائدة تتغير بحسب عوامل لا يد للمقترض فيها .. ولذلك فإن كثيراً من البلاد المقترضة لا تدري نسبة الفائدة التي ستدفعها للدول المقرضة ..

من جانب آخر ، فإن معدلات الفائدة على الدولار والتي تزداد يوماً بعد يوم ، تزيد من تعقيد مشكلة الدول الفقيرة .. فإذا ارتفعت نسبة الفائدة على الدولار - وهو العملة التي تتم بها معظم القروض - بواقع ١٪ فقط ، فإن ذلك يعني زيادة الفوائد المستحقة على دول العالم الثالث بما يقدر بأربعة مليارات دولار .

من هنـــا ، فإن دول العالم الثالث بصفة عامة والدول الفقيرة بصفة خاصة ، في حاجة إلى نظام اقتصادي عالمي لا يعتمد الربا (الفائدة) كأساس للتعامل بين المقرض والمقترض .. والأمل معقود على المصارف الإسلامية التي بدأ تأسيسها في أكثر من بلد إسلامي . ■■

أخبـــار قصيـــرة

●● دعت الندوة الإسلامية العالمية التي انعقدت بالقاهرة مؤخراً لإنشاء (برلمان) إسلامي ، ومحكمة عدل إسلامية ، ونشر الدعوة الإسلامية في مختلف الدول خاصة القارة الافريقية ، كما أوصت بضرورة التنسيق بين أجهزة الدعوة في مختلف الدول ، وأهمية إنقاذ الأقليات من الاضطهاد الذي تتعرض له ، وعقد مؤتمر سنوي للمسلمين المغتربين .

●● ذكرت صحيفة الدعوة الهندية أن ندوة علمية قد عقدت مؤخراً في « داكا » بمناسبة يوم استقلال بنجلاديش ، طالب المجتمعون فيها أن يكون الإسلام ديناً رسمياً في بنجلاديش ، وقالوا : إنه لا يتوقع ازدهار للبلاد أو سلامة لوحدتها إلّا إذا أصبحت دولة إسلامية .

●● قام بيت الزكاة في الكويت بتنظيم مشروع لحوم الأضاحي وتوزيعها بين (٤٣) جهة هذا العام ، وقد استفاد من هذا المشروع (١٩٢٢٠) مسلماً بين لاجئين وأرامل وأيتام ومرضى .

●● (٣٤) بلداً افريقياً يتعرض للجفاف ، و(٢٤) بلداً آخر يعاني من عجز في الأغذية ، إلى جانب ارتفاع الديون الخارجية خمسة أضعاف العقد الماضي .. وقد وصلت إلى (٧٧) مليوناً ونصف المليون دولار .. جاء ذلك في التقرير الذي قدم إلى المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية (يونيدو) الذي عقد مؤخراً بالنمسا .

●● أعربت صحيفة (البرافدا) الناطقة بلسان الحزب الشيوعي السوفييتي عن قلقها من تأثر سكان بعض مناطق روسيا بالدين ! وعزت ذلك إلى الأعداء ! ثم أضافت : إن حكومة روسيا تخشى تصاعد الاتجاهات الإسلامية إليها من الدول المجاورة .

العام الثاني لمجلة النور

■■ منذ اثنى عشر شهراً صدرت في الكويت عن بيت التمويل الكويتي مجلة إسلامية اقتصادية اجتماعية هي مجلة « النور » .. وتهدف إلى [البحث العلمي والعرض العملي للنظرية الإسلامية في فقه المال وعالم المعاملات الحديثة والمستجدة] كما تود « توفير الجسور بين المسلم وبين الثقافة التي يقرؤها في كتاب الله ، ويسمع عنها في سيرة الرسول ﷺ ، ولا يتمكن من التخاطب مع هذه الثقافة بلغة العلماء المتخصصين » وأخيراً فالمجلة ترجو بصدورها أن توفر سجلاً مستمراً يؤرخ تطور المعاملات ويسطر متغيراتها الفقهية والمالية - مثل العلوم الاجتماعية الحديثة - لتكون متوافرة ، فيشترك القطاع العريض من المسلمين في مسيرة المصارف الإسلامية ، فقد ولدت هذه المصارف بين المسلمين ونمت بهم ، ومن أجلهم » .

وإذا كانت العلاقة بين الاقتصاد والإعلام علاقة وثيقة فإن مجلة النور قد وعت هذه العلاقة .. والدور الذي يمكن أن يؤديه الإعلام في الاقتصاد ، أو الاقتصاد في الإعلام ، فقد أشارت في عددها الأول إلى أن الإعلام قد يؤثر في الاقتصاد فيقويه او يضعفه . وكذلك الاقتصاد .. وضربت مثلاً على ذلك بالصحيفة إذا منعت عنها الإعلانات التجارية ، وقطعت عنها المعونات فاضطرت إلى التوقف عن الصدور ، كذلك المؤسسة الاقتصادية حين تحاربها الأجهزة الإعلامية فتنشر عن غشها أو تشهِّر بها أو تشكك في إنتاجها ، فينفض الناس عنها ، وتقاطعها الشركات .. فتتوقف عن العمل .

ثم ذكرت المجلة أن اليهود قد فطنوا لهذا الأمر ، فجمعوا بين السيطرة على المؤسسات الاقتصادية والمؤسسات الإعلامية ، فحفظوا مؤسساتهم الاقتصادية من نقد الإعلام ، وكفلوا الاستمرار لصحفهم ، وحصروا الإعلانات التجارية لمؤسساتهم الاقتصادية في صحفهم ..

وطرق المجلة لهذه الرؤية طرق عام ، كان يحتاج إلى متابعة ورصد ودراسة .. وكان يمكن أن يؤدي - لو طرق عبر أعداد السنة الماضية - إلى نتائج إيجابية في قضية الإعلان في الصحافة - وهي قضية اقتصادية تمس انطلاقات الاقتصاد الإسلامي قطعاً - ومدى ما يؤديه هذا الإعلان من دور في دعم المؤسسات المعلن من خلالها .. خاصة فيما يتصل بإعلانات بعض المؤسسات الإسلامية في صحف معادية - إن لم تكن موالية لليهود !

وبعد مرور اثنى عشر شهراً من إصدار المجلة تحدثت في عددها الأخير عن قضية الإعلام الإسلامي فرات أنه ضعيف ، فعلى الرغم من وجود صحوة إسلامية فالإعلام الإسلامي غائب في كثير من أجهزة الإعلام ، وإذا وجد ففي المجلات الأسبوعية أو الشهرية مع ضعف في إمكاناتهما ، أما الجريدة اليومية فغائبة ولا وجود لها .

وتطمح مجلة النور إلى أن تكون هناك برامج « تلفزيونية » ، وأن يزيد عدد الدوريات الإسلامية وأن يكون هناك إعلاميون إسلاميون ، يجمعون بين الثقافة الإسلامية والدراية الإعلامية الخبيرة .

وإلى جانب المقالات المسلسلة أو المستقلة التي طرحت طوال العام الماضي فإن اهتمامها كان مركزاً في أمور عدة لعل أهمها معالجة جوانب الاقتصاد الإسلامي ، وتغطية المشروعات الاقتصادية والاجتماعية الهامة إعلامياً ابتداءً من : الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ، وبيت الزكاة ، ومشروع كافل اليتيم ، ومؤتمر الزكاة الأول .. إلى مناقشتها لفكرة إنشاء البنك الإسلامي العالمي الذي سيؤسس قريباً ويجري اختيار مقرٍ له .

ونتمنى للمجلة في بداية عامها الثاني مزيداً من التقدم في خدمة الأهداف التي خططتها لنفسها كمجلة إسلامية اقتصادية اجتماعية .. فهي بلا شك خطوة جديدة سواء في مجال الصحافة الإسلامية أو صحافة الاقتصاد الإسلامي . ■■

مجلة المال والاقتصاد

■■ صدر في السودان العدد الأول من مجلة المال والاقتصاد ، وذلك عن إدارة البحوث والإحصاء والإعلام ببنك فيصل الإسلامي السوداني ، وكانت المجلة قبل ذلك عبارة عن نشرة تحمل الاسم نفسه ..

وتعنى المجلة بالبحث في المجالات الاقتصادية والمصرفية واستعراض وتحليل مبادىء ونظريات وفقه الاقتصاد الإسلامي .. كما تتناول بالتحليل السياسات الاقتصادية وآثارها وعرض المنجزات الإنمائية بجانب الإسهام بإدلاء الرأي حول مشكلات الاقتصاد الإسلامي .. وتأمل المجلة - عبر تطورها - أن تكون أكثر إسهاماً في خدمة المصارف الإسلامية بإذن الله . ■■

اجتماع للمسؤولين بشركات التأمين بالدول الإسلامية

■■ أعلن في « دكا » أن كبار المسؤولين عن التأمين في الدول الإسلامية سيعقدون اجتماعاً عاماً في « دكا » في وقت لاحق لتمهيد الطريق لإنشاء شركة إسلامية لإعادة التأمين . وذكر راديو بنجلاديش أن نحو خمسين مندوباً من الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي سيدلون برأيهم فيما إذا كان مفهوم التأمين يتناقض مع مبادىء الشريعة الإسلامية ، وذكر مسؤول بوزارة التجارة أنه إذا لم يعترض الحاضرون في هذا الاجتماع الذي يستغرق ثلاثة أيام على فكرة التأمين فإنه من المتوقع أن يوافق المندوبون على إنشاء شركة إسلامية تتمثل مهمتها في إعادة التأمين في الدول الإسلامية ، ويذكر أن مسؤولي التأمين في الدول الإسلامية قد اجتمعوا لأول مرة في « دكا » في شهر نيسان (أبريل) عام ١٩٨٢م . ■■

متابعـــات

●● اعتدنا في باب « مع الصحافة في العالم » بين حين وآخر ، أن نخصص جميع المقتطفات لموضوع معين يكون المحور الذي تدور حوله تلك المقتطفات ، بدلاً من تناول عدة مواضيع ؛ وعادة ما نفعل ذلك عندما نجد أن هناك موضوعاً مهماً فرض نفسه على الساحة العربية والإسلامية ، وقد لا تكفي لمعالجته فقرة واحدة ، وتكون وجهات النظر حول ذلك الموضوع أو الحدث متعددة ، تستدعي منا أن نوردها كلها أو معظمها ، ليرى القارىء الحدث من خلال وجهات النظر المختلفة ، مع أننا قد لا نتفق أحياناً مع بعض وجهات النظر تلك ؛ وما ننشره في هذا الباب بالذات يعبر عن رأي الصحف والمجلات التي نقتطف منها ، وقد نتفق أو نختلف معها في كثير أو قليل .

في هذا العدد بالذات كان المحور الذي دارت حوله المقتطفات الصحفية : تفجير السفارة الأمريكية ببيروت والذكرى السنوية الثانية لانطلاق المقاومة اللبنانية التي تتزامن مع الذكرى السنوية لمذابح صبرا وشاتيلا ؛ وبين الأحداث الثلاثة أكثر من رابط يجعلها تبدو موضوعاً واحداً .

لقد احتفل الإعلام العربي كعادته بالذكرى السنوية لمذابح صبرا وشاتيلا ، واحتفل على استحياء بذكرى انطلاق المقاومة اللبنانية ...

الاحتفال بذكرى المذابح عادة ما يتسم بالجلد المرضي للذات ، وقد يخرج عند بعضهم إلى التلذذ المنحرف بالألم والمأساة ، وعادة ما يعكس ذلك شعوراً بالذنب ورغبة في التكفير عن العجز ، لذلك أفردت وسائل الإعلام العربية مساحات شاسعة لتلك الذكرى ، ومن يفعل ذلك لا يتبقى لديه وقت طويل للاحتفال بالذكرى التي تزامنت معها ، ذكرى انطلاق المقاومة اللبنانية ، لأن الاحتفال بها يتطلب بذل جهد صحي لدعمها .

على أية حال ، ربما كان من مصلحة المقاومة اللبنانية عدم تسليط الأضواء الإعلامية عليها ، وربما استفادت هي من التجربة المرة للمقاومة الفلسطينية في هذا الميدان ، فلم يكن ذلك الاهتمام الإعلامي بالمقاومة الفلسطينية في مصلحتها ، ولا يفهم أحد من هذا أننا نجهل دور الإعلام أو نقلل من شأنه ، ولكننا نقصد التعامل الخاطىء مع الإعلام والمعالجات الإعلامية الخاطئة ؛ وقد وصل الحذر بالمقاومة اللبنانية إلى درجة تجنب الإعلان عن العمليات التي تقوم بها ، ناهيك عن المقابلات والمؤتمرات الصحفية والتحقيقات ..

أما تفجير السفارة الأمريكية فهو مرتبط بهذه الذكرى وتلك ، فلولا الدعم الأمريكي الأعمى للغزو الإسرائيلي لما كانت هناك صبرا وشاتيلا . والغزو الإسرائيلي المدعوم أمريكياً هو الذي فجر المقاومة اللبنانية ؛ ولا نعتقد أن أحداً بات يجهل تلك العلاقة التي تربط الولايات المتحدة بإسرائيل ؛ ومع أن المرء يقف ضد قتل الأبرياء وضد الاعتداء على السفارات ، إلا أن السلوك الأمريكي هو الذي يجلب على المؤسسات الأمريكية هذه الهجمات ، كما تشير إلى ذلك الصحف والمجلات الأمريكية نفسها التي اقتطفنا منها ، وإلا فلماذا لا تتعرض مؤسسات الدول الأخرى ورعاياها لمثل تلك الهجمات ؟ ●●

TIME

جـذور العنـــف

■■ للمرة الثالثة خلال هذا العام تتعرض إحدى المنشآت الأمريكية في لبنان لهجوم انتحاري . ولكن الهجوم الأخير على السفارة الأمريكية في بيروت في أيلول (سبتمبر) الماضي كان مزعجاً جداً للمسؤولين الأمريكيين . لقد أثبت أنه بالرغم من سلسلة الإجراءات الأمنية الجديدة التي اتخذت في العام الماضي ، فإن السفارات والمنشآت الأمريكية ، ظلت عرضة لهجمات الانتحاريين المستعدين للتضحية بأرواحهم .

وقد أثبت الهجوم أن بيروت الشرقية ليست أكثر أمناً من بيروت الغربية ، كما كان يظن ، كما أثبت أيضاً أنه بالرغم من الانخفاض الحاد في النشاط العسكري الأمريكي في المنطقة ، والحضور الديبلوماسي الأمريكي أيضاً في الشهور السبعة الماضية ، فإن المصالح الأمريكية تبقى هدفاً مرغوباً فيه للانتقام من المواقف الأمريكية ، فقد تزامن الهجوم الأخير مع الفيتو الأمريكي في مجلس الأمن ، ضد قرار يدعو إلى تحسين ظروف المواطنين في جنوبي لبنان المحتل .

ولكن الحقيقة أن جذور العنف تعود إلى أبعد من ذلك ، وكما قال دبلوماسي بريطاني فإن المصالح الأمريكية والغربية عموماً ، ستبقى عرضة للهجمات ما دامت المشكلة الفلسطينية بلا حل . وقد عبر عن ذلك أيضاً السفير الأمريكي السابق لدى السعودية (روبرت نيومان) الذي علق على الهجوم قائلاً : إن مشاكل الولايات المتحدة لا تنتهي في المنطقة بانسحاب المارينز . إن المنطقة لم تبرد يوماً لتسخن من جديد .. واختتم (نيومان) تعليقه قائلاً : « شدوا الأحزمة فسوف يكون هناك المزيد » .

والحقيقة أنه لا يمكن الفصل بين الهجمات التي تتعرض لها المصالح الأمريكية وتلك التي تتعرض لها القوات الإسرائيلية في جنوبي لبنان ، فبعد عامين من الغزو ، وبعد الانسحاب الإسرائيلي الجزئي من منطقة بيروت إلى الجنوب ، قتل ستون جندياً إسرائيلياً وجرح (٤٦٩) حسب الإحصائيات الإسرائيلية الرسمية ، التي تشير إلى أن عدد الهجمات التي تتعرض لها القوات الإسرائيلية في الجنوب تبلغ ٧٠ ـ ٨٠ هجمة شهرياً . وقد علّق وزير الدفاع الإسرائيلي « رابين » على هذا الوضع قائلاً : « أي وجود عسكري إسرائيلي دائم في الجنوب يعتبر قنبلة موقوتة » . وقد لخص مواطن من الجنوب الوضع بقوله : « تشن المقاومة عدداً من الهجمات ، فيزيد الإسرائيليون من إجراءاتهم القمعية ، فيتعرضون لمزيد من الهجمات » .

واختتمت «تايم» تعليقها قائلة : « قد يضطر (بيريز) في النهاية إلى قبول النتيجة التي انتهت إليها الولايات المتحدة في فيتنام (أعلن الانتصار وانسحب) ، وعند ذلك سوف يترك الإسرائيليون في تلك المنطقة ميراثاً سيئاً ، سوف يتركون شعباً يكرههم أكثر من ذي قبل » . ■■

[العدد ٤٠ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٤م]

THE TIMES

الهجوم : رسالة واضحة

■■ ربطت صحيفة « التايمز » اللندنية بين الهجوم على السفارة الأمريكية ببيروت ودعم الولايات المتحدة للاحتلال الإسرائيلي لجنوبي لبنان مالياً وعسكرياً وديبلوماسياً ، ذلك الدعم الذي توّج بالفيتو الأمريكي الأخير في مجلس الأمن ، ضد قرار يدين الإجراءات الإسرائيلية في جنوبي لبنان .

وقالت الصحيفة : « إن الهجوم يحمل في طياته رسالة واضحة مفادها أن على الولايات المتحدة أن تدفع ثمن دعمها للاحتلال الإسرائيلي للجنوب » .

كذلك فإن الهجوم يحمل رسالة إلى سكان بيروت الشرقية مفادها أن عليهم أن يحذروا من لعب دور « حامي المؤسسات الأمريكية » أو إيواء « أعداء لبنان » ، كما يحددهم المهاجمون أنفسهم ، وأن عليهم أن يقلعوا عن أوهام « تقسيم الأمر الواقع » على أساس طائفي .

واختتمت الصحيفة تعليقها قائلة : « كلما أسرعت إسرائيل بالانسحاب من جنوبي لبنان كان ذلك أفضل لها وللوضع في الشرق الأوسط بصورة عامة . وإلى أن يتم ذلك فسوف تبقى أهداف أمريكية ومصالح غربية

كثيرة عرضة لهجمات الانتحاريين » ■■

[العدد ٢٢ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٤م]

الراية

أمريكا والموقف ؟

■■ وضعت الولايات المتحدة نفسها في موقف لا تحسد عليه نتيجة سياستها العمياء في الشرق الأوسط، والمندفعة بلا حدود أو تفكير منطقي خلف ما تخططه وترسمه السياسة الإسرائيلية القائمة على الاغتصاب والقهر والعنصرية.

ولو أعاد ساسة البيت الأبيض النظر في سجل الأحداث التي تعرض لها وجودهم في لبنان، واستعرضوا حادث السفارة الأول، وحادث المارينز، وحادث السفارة الأخير، لأدركوا بأن إرسال قطع من أسطولهم إلى المياه اللبنانية وتهديداتهم المتكررة بالانتقام، وبياناتهم المصرة على التمسك بالسياسة نفسها والخط اللذين يسيرون فيهما ... لن توصل إلى بر الأمان، ولن تخدم وجودهم المهتز في المنطقة، ولن يؤثر على إصرار المقاومين الذين أصبحوا ينظرون إلى مقاومة الوجود الأمريكي في المنطقة بالمنظار نفسه الذي ينظرون فيه إلى الوجود الإسرائيلي.

ومهما كان الإنسان مناهضاً للعنف.. ومهما كان أسفه في مثل هذه الحوادث، فإن القول الفصل يبقى للذين اكتووا بنار الدعم الأمريكي الإسرائيلي، ذلك الدعم الأعمى الذي بلغ ذروته في الموقف الظالم وغير الأخلاقي، المتمثل في الفيتو الأمريكي الأخير.

لن يفيد أمريكا بناء سفارة أخرى في موقع تتخيله أكثر أمناً في لبنان، ولن يفيدها الانتقام وإطلاق التهديدات، وإنما سيفيدها كثيراً أن تقف موقف المتأمل المفكر الناظر بعين الحق، الذي يدرك أن الشعوب ذات الحق المؤكد لا يمكن أن تهدأ أو تستكين إلَّا إذا بلغت مرادها وحصلت على كل حق لها. ■■

[العدد ١٤٧١]

الاتحاد

التجربة الأمريكية في لبنان !!

■■ التجربة الأمريكية في لبنان وحدها كافية لأن يستخلص منها صناع القرار الأمريكي العديد من الدروس والعبر، فليست هذه هي المرة الأولى التي تتعرض فيها السفارة الأمريكية للتدمير.

التفسير الوحيد الذي اعتمده صانعو القرار الأمريكي ـ لهذه العمليات ـ هو تلك العبارة اليتيمة التي ظلوا يرددونها عبر السنين « إنه الإرهاب الدولي ». هذه العبارة التي لا تعدو أن تكون تفسيراً مبتسراً ووصفاً منحازاً لكل عملية ضد الولايات المتحدة أو إسرائيل أو حلفائها. لكن لماذا هذا « إرهاب » وما هي دوافعه، إذا سلمنا معهم بأنه « إرهاب »؟! فهذا ما يتجاهلونه عمداً.

هذا التجاهل المتعمد لتفسير الأحداث لا يلحق الضرر بالشعوب التي تقاتل من أجل حريتها، وإن كان يطيل معاناتها، ولكنه قبل كل شيء يلحق الضرر وبالغ الأذى بالمصالح الأمريكية في العالم كله وفي الشرق الأوسط بالذات.

إن سلسلة الهجمات التي تعرضت لها أهداف أمريكية وغربية وإسرائيلية ـ في لبنان ـ رسائل بالغة الدلالة لو أراد الأمريكيون فهمها، وهم سيرتكبون خطأ تاريخياً لو حاولوا الانتقام منها بتورط عسكري جديد، لأن المقاومة اللبنانية قد قوي عودها وشبت عن الطوق. ■■

[العدد ٤٠٢٠]

الوطن

[دروس من الذكرى]

■■ بين الذكرى الثانية لمجزرة صبرا وشاتيلا، والذكرى الثانية لانطلاقة المقاومة اللبنانية، ثلاثة أيام فقط، كافية لاختصار مرحلة من تاريخنا العربي الحديث، لا لأن المقاومة اللبنانية مثلت رداً منطقياً على سيف العدوان الذي امتد إلى رقاب الأبرياء الفلسطينيين واللبنانيين فحسب، وإنما لكون هذه المقاومة انبعثت مثلها مثل المقاومة الفلسطينية، من رحم هزيمة شاملة على كافة الجبهات العربية.

وإذا كانت « أمة الاحتفالات » تخشى أن يفوتها يوم واحد دون أن تتذكر المآسي التي عاشتها خلال العقود الأخيرة، فإن عليها وهي تحتفل بهذا اليوم أن تعطيه بعداً آخر بوصفه يمثل منعطفاً مهماً في الصراع العربي الإسرائيلي. لقد احتفلت المقاومة اللبنانية في ذكراها الثانية بتنفيذ أربع عمليات ضد قوات الاحتلال، اعترف بها العدو نفسه.

وإذا كان هناك من دروس أفرزتها ظاهرة المقاومة اللبنانية، فإنها تتمثل في إثبات قدرة الشعوب العربية على العطاء عندما تتاح لها فرصة التصدي للعدوان بنفسها، وبغض النظر عن قلة الإمكانات التي تواجه بها المحتلين.

إن هذه الشعوب لا تحتاج إلى ترسانات الأسلحة الحديثة للتصدي لإسرائيل، وهي لم تهزم من قبل، لأنها لم تمنح الفرصة للقتال. ■■ [العدد ٣٤٤١]

البيان

الأسلوب الوحيد

■■ وحول الموضوع نفسه كتبت « البيان » الصادرة في « دبي »:

هناك أسلوب وحيد أثبت عملياً أنه كفيل بإقناع العدو الإسرائيلي باستحالة بقائه في الأراضي العربية التي احتلها غصباً وعدواناً... وكانت المقاومة المسلحة ـ بغض النظر عن حجمها ـ هي ذلك الأسلوب الذي لا يفهم كل المعتدين في أي بقعة من العالم لغة سواه.

إن سلسلة العمليات التي تنفذها المقاومة اللبنانية في جنوبي لبنان، زادت من حدة الأصوات الإسرائيلية التي تنادي بالخروج من لبنان بأي شكل ممكن. وليست هذه الأصوات كلها لأمهات ثكلى، بل إن بعض كبار السياسيين والقادة العسكرين يشاركون بها، لأنهم أدركوا أنهم وقعوا في شرك لا يستطيعون حماية أنفسهم من مخاطره.

ولكن الخوف أن تبقى هذه المقاومة الرائعة محصورة في الشعب الرازح تحت الاحتلال، فيما يملك العالم العربي الجيوش المدربة والأسلحة المقدسة. ■■

[العدد ١٥٧٩]

حل مسابقة العدد ٤٨

١ ـ المعنى الصحيح ونص الآية :

○ الرهط : الجماعة دون العشرة .

﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ ﴾ (النمل : ٤٨)

○ دحاها : بسطها .

﴿ وَالأرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ (النازعات : ٣٠)

○ جَاثِمِين : باركين على الركب

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ (الأعراف : ٧٨ و٩١) كما وردت في (هود : ٦٧ و٩٤) و (العنكبوت : ٣٧)

○ الصَّابِئِينَ : قوم بين المجوس واليهود

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة : ٦٢)

○ وَقَاسَمَهُمَا : حلف لهما .

﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ (الأعراف : ٢١)

٢ ـ المقصود بقوله ﷺ « أفلاذ كبدها » : خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص رضي الله عنهما وذلك عندما قدما المدينة المنورة مسلمين .

٣ ـ الصحابي الجليل قُطبة بن حديدة الانصاري .

٤ ـ الشاعر : عبد الرحمن صالح العشماوي .

٥ ـ [المؤلف] : عبد الرحمن الجبرتي .
[الكتاب] : عجائب الآثار في التراجم والأخبار .

٦ ـ شهود يهوه .

أسماء الفائزين في مسابقة العدد ٤٨

الفائز الأول :
● جمال المرزوقي ـــــ تونس

الفائز الثاني :
● فرحة حمزة عبد المطلب ـــــ السودان

الفائز الثالث :
● عبد الغني عبد الهادي ـــــ الأردن

الفائز الرابع :
● علاء صلاح عثمان ـــــ مصر

الفائز الخامس :
● باسمة دعدوش ـــــ ألمانيا الغربية

الفائز السادس :
● فارس عز الدين بن بشير ـــــ الجزائر

الفائز السابع :
● جمانة أحمد القطّان ـــــ الكويت

الفائز الثامن :
● محمد سباع محمد الصوافي ـــــ عُمَان

الفائز التاسع :
● الأزمي حميد ـــــ المغرب

الفائز العاشر :
● خالد أحمد حمود السخي ـــــ البحرين

مسابقة الأمة

الجوائز

• الفائز الأول
خمسمائة ريَال قطَري

• الفائز الثاني
ثلاثمائة ريَال قطَري

• الفائز الثالث
مائتا ريَال قطَري

• الفائز الرابع حتى العاشر
اشتراك مجاني بالمجلة لمدة سنة

■ ترسل الإجابات إلى ■
مجلة الأمَّة
ص . ب ٨٩٣ ـ الدوحة ـ قطر

ويكتب على الغلاف :
مسابقة الأمة
ورقم العدد

مسابقة العدد ٥٠ السنة الخامسة

١ ـ قاموس المسابقة :

كلمات من القرآن الكريم ، هل تعرف المعنى الصحيح لها من بين المعاني الواردة أمام كل كلمة ؟ .. اذكر المعنى الصحيح ، ونص الآيـة التي وردت فيها :

● أَسْفاراً	: كُتُباً	حصاداً	نباتاً
● مُسْفِرَةٌ	: مُظلمة	مسودّة	مُضيئة
● طُمِسَتْ	: أذهب ضوؤها	جمعت	أمرت بالسقوط
● يُغـاثُ	: يعصر	يمطر	يغرس
● فالِـقُ	: زارع	حاصد	شاق

٢ ـ كانت الغزوات والسرايا ، مدارس يتعلم فيها المسلمون الكثير من أمور الدين وآداب التعامل مع الحياة الدنيا ، ومنبراً للوعظ والتوجيه والإرشاد .. وعندما خرج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في سرية إلى « كَلْب » بدومة الجندل ، قال له رسول الله ﷺ :

« اغدُ باسمِ الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله .. لا تَغُلَّ ولا تغدر ولا تقتُل وليداً » . ثم بسط يده عليه الصلاة والسلام فقال :

« يا أيها النَّاس ! اتَّقوا خمساً قبل أن تحل بكم : ما نقص مكيال قوم إلَّا أخَذَهُمُ الله بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يرجعون ، وما نكث قوم عهدهم إلَّا سَلَّطَ الله عليهم عدوَهم ، وما منع قوم الزَّكاة إلَّا امسك الله عنهم قَطْرَ السَّماء ولولا البهائم لم يُسقوا ، وما ظهرت الفاحشة في قوم إلَّا سلَّط الله عليهم الطَّاعون ، وما حكم قوم بغير آي القرآن إلَّا ألبسهم شيعاً وأذاق بعضهم بأس بعض » .

لمـاذا خرج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه إلى « كَلْب » ؟

٣ ـ مـن هـو ؟ :

- ● آخى رسول الله ﷺ بينه وبين مَرْثَد بن أبي مرثد الغَنَوي رضي الله عنهما .
- ● شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ .
- ● أول من ظاهر في الإسلام .. قال يوماً لزوجته خَوْلَة بنت ثعلبة : (انتِ عليَّ كظهر أمي) .. ثم ندم على ذلك وقال : (ما أراكِ إلَّا قد حَرُمْتِ عليَّ) .. فاتت رسول الله ﷺ فأخبرته بما قال .. وجادلت رسول الله ﷺ مراراً ، ثم قالت : (اللهم إني أشكو إليك شدة وحدتي وما يشق عليَّ من فراقِه) .. قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : (فلقد بكيتُ وبكى من كان في البيت رحمةً لها ورقةً عليها) .

ونزل على رسول الله ﷺ الوحي فَسُرِيَ عنه وهو يبتسم فقال :

« يا خولة قد أنزل الله فيك وفيه : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ... ﴾ » ثم قال : « مُريه أن يعتق رقبة » .. قالت : (لا يجد) .. قال : « فمريه أن يصوم شهرين متتابعين » .. قالت : (لا يطيق ذلك) .. قال : « فمريه فليطعم ستين مسكيناً » .. قالت : (وأنَّى له ؟) .. قال : « فمريه فليأت أمَّ المنذر بنت قيس فلياخذ منها شَطْرَ وسق تمر فليتصدق به على ستين مسكيناً » .. فرجعت إلى زوجها فقال : (ما وراءك ؟) .. قالت : (خير وأنت ذميم) ثم أخبرته ، فاتى أمَّ المنذر فاخذ منها فجعل يُطعم مُدّين من تمر كلَّ مسكين .

٤ ـ مـن القائـل ؟ :

في ظلِّ السَّيف تربينا ... وبنينا العزَّ لدولتنا
عَلَم الإسلام على الأيَّام ... شعار المجد لملَّتنا
قولوا لسماء الكون لقد ... طاولنا النجم برفعتنا
يا دهر لقد جربت على ... نيران الشدَّة عزمتنا
طوفانُ الباطلِ لم يُغْرِقْ ... في الخوف سفينة قوتنا

٥ ـ مؤلـف وكتـاب :

- ● [المؤلـف] قاض ، مفسر ، علاّمة .
- ● ولد في المدينة البيضاء (بفارس ، قرب شيراز) .
- ● وليَ قضاء شيراز مدة . وصرف عن القضاء فرحل إلى تبريز وتوفي فيها سنة (٦٨٥هـ) (١٢٨٦م) .
- ● ألَّف بالعربية والفارسية في : التفسير ، التوحيد ، الفقه ، الأصول والنحو وغيرها .
- ● [الكتـاب] : من أهم كتب التفسير .. اعتمد المؤلف في تاليفه اعتماداً كبيراً على تفسير « الكشاف » للزمخشري » ، كما اعتمد أيضاً على « التفسير الكبير للفخر الرازي » .. فاقتبس من « الكشاف » طريقته في تحليل الألفاظ والتراكيب لاستخراج المعاني وبيان إعجاز القرآن .. واقتبس من « التفسير الكبير » طريقته في استخراج الحكمة القرآنية من استقراء العلوم الكونية .
- ● جمع المؤلف فيه بين التفسير والتاويل على مقتضى قواعد اللغة العربية ، كما قرر القواعد الفقهية على مقتضى أصول أهل السنَّة .
- ● اشتمل على حواشٍ كثيرة (حوالي خمسين حاشية) .
- ● تمت طباعته عدة مرات منها طبعة نشرها المستشرق « فيشر » في « ليبزغ » عام ١٨٤٨م في سبعة مجلدات .

٦ ـ ميناء عربي مشهور ، أطلق عليها العرب أسماء كثيرة منها : « خزانة العرب » ، « قبة الإسلام » ، « الثغر الباسم » و « الفيحاء » .. وأطلق عليها الحجاج بن يوسف لقب : « العجوز النجراء » .. وسماها الفرزدق : « الرعناء » بسبب رطوبة الجو فيها .

ما اسمها حاليـاً ؟

اقرأ في الأعداد القادمة

- ☐ الحركة الحضارية وغياب المشاركة الإسلامية المعاصرة
  عبد القادر عبَّار
- ☐ تجديد القديم وتقويم الجديد في الشعر المعاصر
  صالح عبد الله العييري
- ☐ اقتصاد الأمة ... قوة ضاربة
  اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ
- ☐ دور الأديب المسلم في مجتمعه
  الدكتور عباس محجوب
- ☐ فقه المرحلة والانتقال من المبادىء إلى البرامج
  في حوار مع الدكتور حسن الترابي
- ☐ (رسائل جامعية) :
  الإعلام الإسلامي الطباعي في الدول غير الإسلامية
  عرض أحمد زرزور
- ☐ (استطلاع) :
  المسلمون في الصين بخير ... ولكن !!
  أحمد ماهر

خواطر وأفكار

أصول الأفكار وجذورها

□□ تابعت في إحدى الصحف اليومية معركة حول خطأ صلاح الدين الأيوبي في موقفه من إعدام (السَّهْرَوَرْدي) . كان ذلك بين كاتب أديب ، وقاضٍ فاضل .

ولست لتلخيص القضية ، أو عرضها وإبداء الرأي فيها الآن .

وإنما الذي راعني هو أن يقع هجوم على صلاح الدين الأيوبي (الآن) في هذه الأيام بالذات . فقد جزعت أشد الجزع ، وفزعت كل الفزع وأنا أرى هذا العنوان يتصدر موضوعات العدد الأسبوعي للصحيفة :

(إعدام حكيم الإشراق وإحراق مؤلفاته .. كان أبشع ما اقترفته يدا صلاح الدين الأيوبي)

وأنا على ثقة بأن الأخ الأديب لم يكن منتبهاً لما قال ، أو بالأحرىٰ لخطورة ما قال .. وقد كان صادقاً كل الصدق حينما جعل عنوان ردِّه ودفاعه عن نفسه (لست بالفقيه ولا المؤرخ ، وإنما أنا امرؤ شاعر) .

والذي يلفت النظر حقاً هو : كيف جمح القلم بصاحبه وهو يكتب عن الشعر والشعراء ، واستطرد إلى دمغ البطل صلاح الدين بما دمغه به ؟

ولا شك أن هذا لا يكون إلَّا لأن هذا المعنى حيّ قائم في نفسه ، مختزن في شعوره ، وضمن مكوِّنات ثقافته ، ومفردات أفكاره ، وجزئيات معلوماته !!

فمن أين جاءه هذا المعنى ؟ ومن الذي ألصق هذه التهمة بدءاً بصلاح الدين قاهر الصليبيين ؟

لقد ذكرتُ أني قرأت هذا الكلام من قبل ، وحاولت أن أبحث عن مصدره في زوايا الذهن ، وحنايا الذاكرة ، فلم أستطع ، إلَّا أن القدروحده ساق النص لي ، فوجدته أمامي . وجدت أن صاحب هذا الكلام أصلاً هو (سلامة موسى) ذلك الصليبي المعروف ، في كتابه (حرية الفكر وأبطالها في التاريخ) .

وأبداً لا أريد أن أقول : إن الأخ الأديب الكاتب قد نقل عن سلامة موسى ، فلو كان هذا لهان الأمر .

ولكن المأساة أن كلام سلامة موسى هذا سرى من قلم لقلم ، ومن لسان للسان ، ومن مكان لمكان ، وصار متداولاً معروفاً حتى أصبح (تراثاً) شائعاً لا ينسب لقائل ، ولا يعرف له مصدر ، وهنا مكمن الخطر ، حين تسري الأفكار والآراء سريان السم البطيء ، لا يتنبه له المصاب ، وهو يفتك به ويمزق أحشاءه .

ولقد أدرك غزاتنا ذلك ، فراحوا يلقون الفكرة ويبذرون الكلمة هنا وهناك ، في غير تطلع إلى ثمرتها ، ودون دعوة إليها ، أو محاولة حمل الناس عليها وشعارهم : (إن كانت هذه الكلمات تتفرق اليوم في كل واد فغداً تقتلع الأوتاد) إن الأفكار المسمومة تنثر نثراً خبيثاً ، وكأن صاحبها لا يُعْنىٰ بغرسها وريها وسقيها ، ويظهر كأنه لا يريد جناها وثمرها . ولكنه يعلم أنها كالبذور التي تطوحها الرياح في الصحراء ، يوماً ما سيأتيها مطر أو طل ، فتنبت ، وتثمر ، وساعتها لن يعلم أحد من كان وراءها ، ومن بثها ، ومن هنا تكون الخديعة ويكون الخطر .

لقد كتب سلامة موسى هذا الكتاب عن حرية الفكر وأبطالها في التاريخ ، جَلَد فيه تاريخ المسلمين حكاماً وفقهاء وجماهير ، ودافع فيه عن اليهود ، « لأن هذه الكراهية (لهم) قائمة على عصبيات وأغراض قديمة تحتاج لتربية طويلة لقشعها عن الجماهير » . [ص ١٢٩] ، كما دافع عن القرامطة والحشاشين ، ومن نحا نحوهم وسماهم « أحرار المفكرين الذين لا يرون في الدين سوى وسيلة لإذلال الشعب » [ص ١٠٦] . وعنده أن جمهور المسلمين في الأندلس « أغبى جمهور في العالم الإسلامي كله ، قد ركبه الفقهاء ، واستغلوه لمصالحهم ، ويوجهونه إلى أية ناحية يريدونها » [ص ١٣١] . أما صلاح الدين الأيوبي « فكان رجلاً كردياً غير مثقف فاستطاع الفقهاء أن يؤثروا فيه » [ص ١٣٣] . وعلى طول كتابه يدس السم في الدسم .

ولو أنصف (سلامة موسى) لقال : إن أبطال حرية الفكر في التاريخ ، ليسوا السهروردي ، وابن رشد ، والقرامطة ، وإنما كل مسلم معاصر يعتبر بطلاً من أبطال حرية الفكر ، إذ سمحوا له أن يكتب ما كتب عن دين الأمة وعقيدتها ، وسخر من شريعتها ومبادئها ، وطبع كتبه وباعها لهم وربح من أموالهم .

فليست هناك حرية فكر بل (حرية إلحاد) ، بل (حرية عدوان) بل (حرية خيانة) بل (حرية تزييف) أكثر مما مارسه سلامة موسى بين المسلمين ، وهم ساكتون ، بل راضون ، بل منهم من يطالب بتخليد ذكره وتسمية الشوارع والميادين باسمه ... وإلى الله المشتكى □□

بقلم : د. عبد العظيم الديب

صدر:

كتاب الأمة
Al Ummah

٨

نظرات في
مسيرة العمل الإسلامي

عمر عبيد حسنه

■ لقد كان الأولى بالذين يخافون ويخوفون من تطبيق أحكام الشريعة - تحت عنوان الغيرة على الإسلام، أو مصالح الناس، أو حماية الاقليات التي ما طبقت الشريعة إلا وضمنت لهم العدل والمساوة - أن ينكروا ويستنكروا الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي، والأنظمة الجبرية والأحكام الاستثنائية وقوانين الطوارىء، التي تطبق في كثير من بلدان العالم الإسلامي، حيث تلغى إنسانية الإنسان وتطارد الحرية وتصادر باسم مواجهة المحتل واسترداد الأرض. الأمر الذي أضاع الحرية والأرض معا..

■ مهما ارتفعت أصواتنا في استدعاء «صلاح الدين» جديد، واشتدت معارك الشعارات على أرضنا، فلا سبيل إلى التحرير واسترداد بيت المقدس دون إعداد جيل التحرير.. الوليد الشرعي لعقيدة الأمة ووجودها التاريخي..

■ قد يكون صحيحاً أن الإنسان في مراحل التخلف ومناخ التخلف يصبح عاجزاً عن الإبصار والاعتبار، ولكن من المحقق أيضاً أن التحدي الثقافي والحضاري والانكسار العسكري يوقظ الحس ويلهب المشاعر ويذكي الروح ويجدِّد الانتماء ويدفع إلى الالتزام ويجمِّع الطاقات النفسية والمادية لتبدأ عملية الإقلاع من جديد...

■ حينما ندعو إلى تحديد موقع العمل الإسلامي الفاعل من خلال الإمكانات المتاحة والظروف المحيطة؛ فإن ذلك لايعني - بحال من الأحوال - عملية تقطيع للإسلام ووقوع في النظرة الجزئية التي تؤدي إلى النمو غير الطبيعي في بعض أطراف الجسم الإسلامي.. وإنما الذي نريد له أن يكون واضحاً هو أننا ونحن نعيش الإسلام في الموقع المتاح لنؤدي مسؤوليتنا كاملة، لانعدم القدرة على إبصار الساحة الكاملة التي يجب أن يملأها الإسلام وأن يرتادها العاملون والدعاة إلى الله..

يطلب من وكلاء توزيع الأمة Al Ummah في العالم

■■ الصهيونية والصليبية العالمية الحاقدة يفزعها ويرعبها أن ترى العالم الإسلامي اليوم يزخر بمثل هذه الطاقات البشرية الشابة من عناصر الصحوة الإسلامية المتنامية ، لما ترى فيها من الخطر المستقبلي على استراتيجيتها المهيمنة وسيادتها الاستعمارية .. لذلك تحشد كل طاقاتها من فكر ومكر وتقنية حتى تتمكن من تدجين هذه الشبيبة الإسلامية وتوجيهها إلى غير صالح مجتمعاتها ورسالتها الحضارية ، وتغري بضربها عند العجز عن احتوائها .. ■■

مجلة الأمة - Al Ummah

العدد ٥٠ السنة الخامسة صفر ١٤٠٥ هـ